



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية
عليه السلام

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

شرح منہج البلاغة

لابن ابی الحدید

بتحقیق

محمد ابو الفضیل ابراہیم

(۵)

دارالافتاء القرآن العربیہ
بیس البانی اعلیٰ و سیکرٹری

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح نهج البلاغه ابن ابى الحديد

كاتب:

ابن ابى الحديد معتزلى

نشرت فى الطباعة:

كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى - قم

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريرات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٨	شرح نهج البلاغه المجلد ١٣
٨	اشاره
١٠	اشاره
١٢	تتمه باب الخطب و الأوامر
١٢	اشاره
١٢	٢٢٤ و من كلام له ع فى وصف بيعته بالخلافه
١٤	٢٢٥ و من خطبه له ع
١٨	٢٢٦ و من خطبه له ع خطبها بذى قار و هو متوجه إلى البصره
١٩	٢٢٧ و من كلام له ع كلم به عبد الله بن زمعه
١٩	اشاره
١٩	عبد الله بن زمعه و نسبه
٢١	٢٢٨ و من كلام له ع
٢١	اشاره
٢٢	ذكر من أرتج عليهم أو حصروا عند الكلام
٢٧	٢٢٩ و من كلام له ع
٣٣	٢٣٠ و من كلام له ع
٣٣	اشاره
٣٦	ذكر طرف من سيره النبي ع عند موته
٥٦	٢٣١ و من خطبه له ع
٥٦	اشاره
٦٢	من أشعار الشارح فى المناجاه
٦٩	فصل فى ذكر أحوال الذره و عجائب النمله
٧٩	ذكر غرائب الجراد و ما احتوت عليه من صنوف الصنعه

- ٢٣٢ و من خطبه له ع في التوحيد ٨١
- ٢٣٣ و من خطبه له ع تختص بذكر الملاحم ١٠٧
- ٢٣٤ و من خطبه له ع ١١١
- ٢٣٥ و من خطبه له ع ١١٣
- اشاره ١١٣
- قصه وقعت لأحد الوعاظ ببغداد ١١٩
- ٢٣٦ و من خطبه له ع ١٢٢
- ٢٣٧ و من خطبه له ع ١٢٧
- ٢٣٨ و من خطبه له ع و من الناس من يسمى هذه الخطبه بالقاصعه ١٤٠
- اشاره ١٤٠
- فصل في ذكر الأسباب التي دعت العرب إلى وأد البنات ١٨٧
- استدلال قاضي القضاة على إمامه أبي بكر و رد المرتضى عليه ١٩٧
- ذكر ما كان من صله على برسول الله في صغره ٢١١
- ذكر حال رسول الله في نشوئه ٢١٥
- القول في إسلام أبي بكر و على و خصائص كل منهما ٢٣٠
- ٢٣٩ و من كلام له ع قاله لعبد الله بن عباس و قد جاءه برسالة من عثمان ٣١٤
- اشاره ٣١٤
- وصيه العباس قبل موته لعلی ٣١٥
- ٢٤٠ و من كلام له ع اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجره النبي ص ثم لحاقه به ٣٢١
- ٢٤١ و من خطبه له ع ٣٢٥
- ٢٤٢ و من خطبه له ع في شأن الحكمين و ذم أهل الشام ٣٢٧
- اشاره ٣٢٧
- فصل في نسب أبي موسى و الرأي فيه عند المعتزله ٣٣١
- ٢٤٣ و من خطبه له ع يذكر فيها آل محمّد ص ٣٣٥
- فهرس الخطب ٣٣٧
- فهرس الموضوعات ٣٣٨

شرح نهج البلاغه

شارح: ابن ابى الحديد، عبد الحميد بن هبه الله

گرداورنده: شريف الرضى، محمد بن حسين

نويسنده: على بن ابى طالب (عليه السلام)، امام اول

شماره بازيابى : ۵-۷۶۹۲

پديد آور : ابن ابى الحديد، عبد الحميد بن هبه الله، ۵۸۶ - ۶۵۵ ق.

عنوان قراردادى : نهج البلاغه. شرح

Nhjol-Balaghah. Commantries

عنوان و نام پديد آور : شرح نهج البلاغه [نسخه خطى] / ابن ابى الحديد

وضيقت كتابت : محمد طاهر ابن شيخ حسن على ۱۰۸۳-۱۰۸۴ ق.

مشخصات ظاهرى : ۳۴۵ گك [عكس ص ۶-۶۸۹]، ۳۰ سطر، اندازه سطرها: ۱۲۰×۲۴۰؛ راده گذارى؛ قطع: ۲۰۰×۳۴۰

آغاز ، انجام ، انجامه : آغاز: الجزء الرابع عشر من شرح ابن ابى الحديد على نهج البلاغه. بسملة. و منه الاستعانه و توفيق التتميم.

باب المختار من كتب امير المومنين على عليه السلم و رسائله الى ...

انجام:.... و من دخل ظفار حمر و النسخه التى بنى هذا الشرح على قصها اتم نسخه وجدتها بنهج البلاغه فانها مشتمله على

زيادات تخلو عنها اكثر النسخ... و يكف عنى عاديه الظالمين انه سميع مجيب و حسبنا الله وحده و صلواته على سيدنا محمد

النبي و اله و سلامه. اخر الجزء العشرين و تم به الكتاب و لله الحمد حمدا دائما لا انقضاء له و لا نفاذ.

انجامه: قد فرغ من تسويده فى ظهر يوم الثلاثاء غره شهر جمدى الاول سنه اربع و ثمانين و الف كتبه الفقير الحقيير ... ابن شيخ

حسن على محمد طاهر غفرالله تعالى له و لوالديه تمت.

يادداشت كلى : زبان: عربى

تاريخ تاليف: اول رجب ۶۴۴- صفر ۶۴۹ ق.

یادداشت مشخصات ظاهری: نوع و درجه خط: نسخ

نوع کاغذ: فرنگی نخودی

تزیینات متن: کتیبه منقوش به زر، سیاه، آبی، قرمز با عناوین زرین در آغاز هر جلد و خطوط اسلیمی به زر در کتیبه و بالای متن در ص: نخست، ۱۱۶، ۲۲۲، ۳۱۶، ۴۰۴، ۵۰۲، ۶۰۰. عناوین، علائم و خطوط بالای برخی عبارات به سرخی. جدول دور سطرها به زر و تحریر.

نوع و تزیینات جلد: کاغذ گل دار رنگی، مقوایی، اندرون کاغذ

خصوصیات سند موجود: توضیحات صحافی: صحافی مرمت شده است.

حواشی اوراق: اندکی حاشیه با نشان "صح، ق" دارد.

یادداشت تملک و سجع مهر: شکل و سجع مهر: مهر بیضی با نشان "محمدباقر"، دو مهر چهار گوش ناخوانا در بسیاری از اوراق در میان متن زده شده است.

توضیحات سند: نسخه بررسی شده. جداشدگی شیرازه، رطوبت، لکه، آفت زدگی، وصالی. بین فرازهای متفاوت، برگ های نانوشته و عناوین نانوشته دارد.

منابع، نمایه ها، چکیده ها: ملی ۸: ۷۵، ۱۵: ۱۱۱، ۴: ۳۶۰؛ الذریعه ۱۰: ۲۱۰، ۱۴: ۲۵۵؛ دایره المعارف بزرگ اسلامی ۲: ۶۲۰.

معرفی سند: شرح ابن ابی الحدید به دلایل متعددی اهمیت دارد اول تبصر شارح بر ادبیات عرب، تاریخ فقه و کلام؛ دیگر این که وی نخستین شارح غیر شیعی نهج البلاغه است. اهمیت دیگر این شرح در گزارش های مفصل تاریخی است شارح در تدوین این گزارش ها علاوه منابع مشهوری چون اغانی ابی الفرج اصفهانی، سیره ابن هشام و تاریخ طبری، از برخی منابع نادر استفاده کرده که امروزه از میان رفته یا در دسترس قرار ندارند. شارح در نقل حوادث تاریخی به گونه ای مبسوط عمل می کند که می توان تاریخ ابن ابی الحدید را از شرح نهج البلاغه وی به عنوان کتابی مستقل استخراج نمود هر چند در پاره ای موارد هم اشاره ای به حوادث تاریخی نمی کند. این شرح مورد نقد دانشمندان شیعی قرار گرفته از جمله نقد احمد بن طاوس با نام "الروح فی نقض ما برمه ابن ابی الحدید"، شیخ یوسف بحرانی با نام "سلاسل الحدید لتقید ابن ابی الحدید"، مصطفی بن محمد امین با نام "سلاسل الحدید فی رد ابن ابی الحدید"، شیخ علی بن حسن بلاذری بحرانی با نام "الرد علی ابن ابی الحدید"، شیخ عبدالنبی عراقی با نام "الشهاب العتید علی شرح ابن ابی الحدید"، شیخ طالب حیدر با نام "الرد علی ابن ابی الحدید". ابن ابی الحدید این اثر را در بیست جزء و به نام ابن علقمی وزیری تألیف کرد. او در پایان کتاب خود می نویسد تدوین این اثر چهار سال و هشت ماه طول کشید که برابر است با مدت خلافت حضرت علی علیه السلام. ترجمه های فارسی این شرح از جمله عبارتند از شمس الدین محمد بن مراد از دانشمندان عصر صفوی، ترجمه ای دیگر با نام "مظهر البینات؛ اثر نصرالله تراب بن فتح الله دزفولی؛ نسخه حاضر شامل: جلد: ۱۴: صفحه (۶-۱۰۹)، جلد ۱۵: (۱۱۶-۲۱۸)، جلد ۱۶: (۲۲۲-۳۱۳)،

جلد ۱۷: (۳۱۶-۴۰۰)، جلد ۱۸: (۴۰۴-۵۰۰)، جلد ۱۹: (۵۰۲-۵۹۷)، جلد ۲۰: (۶۰۰-۶۸۹). مطالب باعناوین الشرح ، الاصل بیان شده است. برای توضیح بیشتر به شماره بازیابی ۴۸۳۶-۵ در فهرست همین کتابخانه بنگرید.

شناسه افزوده : محمدطاهر بن حسن علی، قرن ۱۱ق.، کاتب

شناسه افزوده : عاطفی، فروشنده

دسترسی و محمول الکترونیکی : <http://dl.nlai.ir/UI/c۴۱۲c۵۱b-c۴b۸-۴e۰۹-۹۴۲b-۸cb۶۴۴۸۲۴۲e۲/Catalogue.aspx>

ص : ۱

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله الواحد العدل

٢٢٤ و من كلام له ع في وصف بيعته بالخلافه

وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفه و بسطتم يدي فكففتها و مددتموها فقبضتها ثم تداككتم علي تداكك الإبل الهيم على حياضها يوم
وزدها حتى انقطعت النعل و سقط الرداء و وطئ الضعيف و بلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير و هدج إليها
الكبير و تحامل نحوها العليل و حسرت إليها الكعاب .

التداكك الازدحام الشديد و الإبل الهيم العطاش .

و هدج إليها الكبير

مشى مشيا ضعيفا مرتعشا و المضارع يهدج بالكسر.

و تحامل نحوها العليل

تكلف المشى على مشقه.

و حسرت إليها الكعاب

كشفت عن وجهها حرصا على حضور البيعه و الكعاب الجارية التي قد نهد ثديها كعبت تكعب بالضم.

قوله حتى انقطع النعل و سقط الرداء شبيهه

٣٥٩٤

بِقَوْلِهِ فِي الْخُطْبَةِ الشَّقِيقِيَّةِ

حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ ٣٣ الْحَسَنَانِ وَ شُقَّ عِطْفَايَ

(١)

و قد تقدم ذكر بيعته ع بعد قتل عثمان و إطباق الناس عليها و كيفية الحال فيها و شرح شرحا يستغنى عن إعادته

ص: ٤

١-١) الجزء الأول ص ٢٠٠.

فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سِدَادٍ وَ ذَخِيرَةُ مَعْيَادٍ وَ عِثْقٌ مِنْ كُفْلِ مَلَكِهِ وَ نَجَاةٌ مِنْ كُفْلِ هَلَكِهِ بِهَا يَنْجِيحُ الطَّالِبُ وَ يَنْجُو الْهَارِبُ وَ تُنَالُ الرَّغَائِبُ فَاعْمَلُوا وَ الْعَمَلُ يُرْفَعُ وَ التَّوْبَةُ تَنْفَعُ وَ الدُّعَاءُ يُسْمَعُ وَ الْحَالُ هَادِيَةٌ وَ الْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ وَ بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمْرًا نَاكِسًا أَوْ مَرَضًا حَابِسًا أَوْ مَوْتًا خَالِسًا فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمٌ لِدَاتِكُمْ وَ مُكَدِّرٌ شَهَوَاتِكُمْ وَ مُبَاعِدٌ طِيَّاتِكُمْ زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ وَ قَرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ وَ وَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ قَدْ أَعْلَقْتُمْ حَيَاتِلَهُ وَ تَكَنَّفْتُمْ غَوَائِلَهُ وَ أَقْصَيْتُمْ مَعَابِلَهُ وَ عَظُمَتْ فِيكُمْ سَيِّطَوْتُهُ وَ تَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عِدَوْتُهُ وَ قَلَّتْ عَنْكُمْ نَبَوْتُهُ فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلْمِهِ وَ احْتِدَامُ عِلَلِهِ وَ حَنَادِسُ غَمْرَاتِهِ وَ غَوَاشِي سَكَرَاتِهِ وَ أَلِيمٌ إِرْهَاقِهِ وَ دُجُوُّ أَطْبَاقِهِ وَ [خُشُونُهُ]

جُشُونُهُ مِذَاقِهِ فَكَأَنَّ قَدْ أَتَاكُمْ بَعْتَهُ فَأَسِيكَتْ نَجِيَّتَكُمْ وَ فَرَّقَ نِدْيَكُمْ وَ عَفَى آثَارَكُمْ وَ عَطَّلَ دِيَارَكُمْ وَ بَعَثَ وُرَاثَكُمْ يَقْتَسِمُونَ تِرَاثَكُمْ بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعِ وَ قَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعِ وَ آخِرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَ الْإِجْتِهَادِ وَ التَّأَهُبِ وَ الْإِسْتِعْدَادِ وَ التَّرْوُدِ فِي مَنَزِلِ الزَّادِ وَ لَا تَغْرَبَنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ الَّذِينَ اخْتَلَبُوا دِرَّتَهَا وَ أَصَابُوا غِرَّتَهَا وَ أَفْنَوْا عِدَّتَهَا وَ أَخْلَقُوا جِدَّتَهَا

وَ أَصِيبَحْتِ مَسَاكِنُهُمْ أَجِيدَانًا وَ أَمْوَالُهُمْ مِيرَاثًا لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ وَ لَا يَحْفَلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ وَ لَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا
فَإِنَّهَا غَدَارَةٌ غَرَارَةٌ خَدُوعٌ مُعْطِيَةٌ مُنُوعٌ مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ لَا يَدُومُ رَخَاوَةٌ وَ لَا يَنْقُضِي عَنَاوُهَا وَ لَا يَزُكُّ بِلَاوُهَا .

عتق من كل ملكه

هو مثل

٣٥٩٥

قَوْلُهُ ع

الَّتَوْبَةُ تَجِبُ مَا قَبْلَهَا .

أى كل ذنب موبق يملك الشيطان فاعله و يستحوذ عليه فإن تقوى الله تعتق منه و تكفر عقابه و مثله قوله و نجاه من كل هلكه .

قوله ع و العمل ينفع أى اعملوا فى دار التكليف فإن العمل يوم القيامة غير نافع .

قوله ع و الحال هادئه أى ساكنه ليس فيها ما فى أحوال الموقف من تلك الحركات الفظيعة نحو تطاير الصحف و نطق الجوارح
و عنف السياق إلى النار .

قوله ع و الأقدام جاريه يعنى أن التكليف باق و أن الملائكة الحفظة تكتب أعمال العباد بخلاف يوم القيامة فإنه يبطل ذلك و
يستغنى عن الحفظة لسقوط التكليف .

قوله عمرا ناكسا يعنى الهرم من قوله تعالى وَ مَنْ نُعَمَّرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ (١) لرجوع الشيخ الهرم إلى مثل حال الصبى الصغير فى
ضعف العقل و البنيه

ص: ٦

و الموت الخالس المختطف و الطيات جمع طيه بالكسر و هى منزل السفر و الواتر القاتل و الوتر بالكسر الذحل .

و أعلقتكم حبائله جعلتكم معتلقين فيها و يروى قد علقتمكم بغير همز .

و تكفتمكم غوائله

أحاطت بكم دواهيته و مصائبه و أقصدتكم أصابتكم .

و المعابل نصال عراض الواحده معبله بالكسر .

و عدوته بالفتح ظلمه و نبوته مصدر نبا السيف إذا لم يؤثر فى الضريبه .

و يوشك بالكسر يقرب و تغشاكم تحيط بكم .

و الدواجى الظلم الواحده داجيه و الظلل جمع ظله و هى السحاب و الاحتدام الاضطرام و الحنادس الظلمات .

و إرهاقه مصدر أرهقته أى أعجلته و يروى إزهاقه بالزاي .

و الأطباق جمع طبق و هذا من باب الاستعاره أى تكاثف ظلماتها طبق فوق طبق .

و يروى و جشوبه مذاقه بالجيم و الباء و هى غلظ الطعام .

و النجى القوم يتناجون و الندى القوم يجتمعون فى النادى .

و احتلبوا درتها فازوا بمنافعها كما يحتلب الإنسان اللبن .

و هذه الخطبه من محاسن خطبه ع و فيها من صناعه البديع ما هو ظاهر للمتأمل منها فى صِفَةِ الزُّهَادِ كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَ
لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا

عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ وَ يَأْذُرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ تَقَلَّبَ أْبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الْآخِرَةِ وَ يَرُونَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعْظُمُونَ مَوْتَ
أَجْسَادِهِمْ وَ هُمْ أَشَدُّ إِعْظَامًا لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ .

بين ظهراني أهل الآخرة

بفتح النون و لا يجوز كسرهما و يجوز بين ظهري أهل الآخرة لو روى و المعنى فى وسطهم .

قوله ع كانوا قوما من أهل الدنيا و ليسوا من أهلها أى هم من أهلها فى ظاهر الأمر و فى رأى العين و ليسوا من أهلها لأنه لا
رغبة عندهم فى ملاذها و نعيمها فكأنهم خارجون عنها.

قوله عملوا فيها بما يبصرون أى بما يرونه أصلح لهم و يجوز أن يريد أنهم لشده اجتهادهم قد أبصروا المآل فعملوا فيها على
حسب ما يشاهدونه من دار الجزاء و هذا

٣٥٩٦

كَقَوْلِهِ ع

لَوْ كُشِفَ الْعِطَاءُ مَا أزدَدْتُ يَقِينًا .

قوله ع و بادروا فيها ما يحذرون أى سابقوه يعنى الموت.

قوله ع تقلب أبدانهم هذا محمول تاره على الحقيقة و تاره على المجاز أما الأول فلأنهم لا يخالطون إلا أهل الدين و لا يجالسون
أهل الدنيا و أما الثانى فلأنهم لما استحقوا الثواب كان الاستحقاق بمنزله وصولهم إليه فأبدانهم تتقلب بين ظهراني أهل الآخرة
أى بين ظهراني قوم هم بمنزله أهل الآخرة لأن المستحق للشىء نظير لمن فعل به ذلك الشىء.

ثم قال هؤلاء الزهاد يرون أهل الدنيا إنما يستعظمون موت الأبدان و هم أشد استعظاما لموت القلوب و قد تقدم من كلامنا فى
صفات الزهاد و العارفين ما فيه كفايه

ص: ٨

٢٢٦ و من خطبه له ع خطبها بذى قار و هو متوجه إلى البصره

ذكرها الواقدي في كتاب الجمل فصَدَعَ بِمَا أَمَرَ بِهِ وَ بَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ وَ رَتَّقَ بِهِ الْفُتُقَ وَ أَلَفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ بَعْدَ الْعِدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ وَ الضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ .

ذو قار

اسم موضع قريب من البصره و فيه كانت وقعه للعرب مع الفرس قبل الإسلام .

و صدع بما أمر به أى جهر و أصل الصدع الشق .

و لم به جمع و رتق خاط و ألحم .

و العداوه الواغره ذات الوغره و هى شده الحرّ .

و الضغائن الأحقاد .

و القادحه فى القلوب كأنها تقدح النار فيها كما تقدح النار بالمقدحه

ص: ٩

إشاره

و هو من شيعته و ذلك أنه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالا فقال ع:

إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَ لَا لَكَ وَ إِنَّمَا هُوَ فِئَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَ جَلْبُ أَسْيَافِهِمْ فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ وَ إِلَّا فَجَنَاهُ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ.

عبد الله بن زمعه و نسبه

هو عبد الله بن زمعه بفتح الميم لا كما ذكره الراوندي و هو عبد الله بن زمعه بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي .

كان الأسود من المستهزئين الذين كفى الله رسوله أمرهم بالموت و القتل و ابنه زمعه بن الأسود قتل يوم بدر كافرا و كان يدعى زاد الركب و قتل أخوه عقيل بن الأسود أيضا كافرا يوم بدر و قتل الحارث بن زمعه أيضا يوم بدر كافرا و الأسود هو الذي سمع امرأه تبكي على بعير تضله بمكّه بعد يوم بدر فقال أ تبكي أن يضل لها بعير و يمنعها من النوم الهجود (١)

ص: ١٠

و لا تبكى على بدر و لكن

و كان عبد الله بن زمعه شيعه لعلى ع و من أصحابه و من ولد عبد الله هذا أبو البختری القاضی و هو وهب بن وهب بن كبير بن عبد الله بن زمعه قاضی الرشید هارون بن محمد المهدی و كان منحرفا عن على ع و هو الذى أفتى الرشید ببطلان الأمان الذى كتبه ليحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ع و أخذه بيده فمزقه.

و قال أميه بن أبى الصلت يرثى قتلى بدر و يذكر زمعه بن الأسود عين بكى لنوفل و لعمر و ثم لا تبخلى على زمعه (١).

نوفل بن خويلد من بنى أسد بن عبد العزى و يعرف بابن العدويه قتله على ع و عمرو أبو جهل بن هشام قتله عوف بن عفراء و أجهز عليه عبد الله بن مسعود قوله ع و جلب أسيافهم أى ما جلبته أسيافهم و ساقتهم إليهم و الجلب المال المجلوب و جناه الثمر ما يجنى منه و هذه استعاره فصيح

ص: ١١

١-١) سيره ابن هشام ٢:٤٠٧- بشرح الشيخ محمد محيى الدين؛ و روايه البيت فيه: عين بكى بالمسبلات أبا الحارث لا تذخرى على زمعه. .

أَلَا- وَإِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ فَلَا يُسَبِّحُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ وَلَا يُمَهِّلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ وَإِنَّا لَأَمْرَاءُ الْكَلَامِ وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ وَ عَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ وَ اغْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنْكُمْ فِي زَمَانِ الْقَائِلِ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ وَ اللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ وَ اللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِضْيَانِ مُصْطَلِحُونَ عَلَى الْإِذْهَانِ فَتَاهُمْ عَارِمٌ وَ شَائِبُهُمْ آثِمٌ وَ عَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ وَ [فَارِئُهُمْ] قَارِئُهُمْ مُمَازِقٌ لَا يُعْظَمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرُهُمْ وَ لَا يَعُولُ غَيْبُهُمْ فَقِيرُهُمْ .

بضعه من الإنسان

قطعه منه و الهاء فى يسعده ترجع إلى اللسان .

و الضمير فى امتنع يرجع إلى الإنسان و كذلك الهاء فى لا يمهلها يرجع إلى اللسان .

و الضمير فى اتسع يرجع إلى الإنسان و تقديره فلا يسعد اللسان القول إذا امتنع الإنسان عن أن يقول و لا يمهل اللسان النطق إذا اتسع للإنسان القول و المعنى أن اللسان آله للإنسان فإذا صرفه صارف عن الكلام لم يكن اللسان

ناطقا و إذا دعاه داع إلى الكلام نطق اللسان بما فى ضمير صاحبه .

و تشبث عروقه أى علقت و روى انتشبت و الروايه الأولى أدخل فى صناعه الكلام لأنها بإزاء تهدلت و التهدل التدلى و قد أخذ هذه الألفاظ بعينها أبو مسلم الخراسانى فخطب بها فى خطبه مشهوره من خطبه

ذكر من أرتج عليهم أو حصروا عند الكلام

و اعلم أن هذا الكلام قاله أمير المؤمنين ع فى واقعه اقتضت أن يقوله و ذلك أنه أمر ابن أخته جعده بن هبيرة المخزومى أن يخطب الناس يوما فصعد المنبر فحصر و لم يستطع الكلام فقام أمير المؤمنين ع فتسنم ذروه المنبر و خطب خطبه طويله ذكر الرضى رحمه الله منها هذه الكلمات

٣٥٩٧

وَ رَوَى شَيْخُنَا أَبُو عَثْمَانَ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ وَ التَّبْيِينِ أَنَّ عُثْمَانَ صَاحِبَ الْمَنْبَرِ فَأَرْجَحَ عَلَيْهِ فَقَالَ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَ عُمَرَ كَانَا يَعِيدَانِ لِهَذَا الْمَقَامِ مَقَالًا وَ أَنْتُمْ إِلَى إِمَامٍ عَادِلٍ أَخْرَجَ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ خَطِيبٍ وَ سَتَأْتِيكُمْ الْخُطْبَةُ عَلَى وَجْهِهَا (١) ثُمَّ نَزَلَ.

٣٥٩٨

قَالَ أَبُو عُثْمَانَ وَ رَوَى أَبُو الْحَسَنِ الْمِيدَانِيُّ قَالَ صَاحِبُ ابْنِ لَعْدِي (٢) بِنِ أَرْطَاهُ الْمَنْبَرِ فَلَمَّا رَأَى النَّاسَ حَصِرَ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُطْعِمُ هَؤُلَاءِ وَ يَسْقِيهِمْ (٣) . وَ صَعِدَ رُوحُ بَنِ حَاتِمِ الْمَنْبَرِ فَلَمَّا رَأَى النَّاسَ قَدْ رَشَقُوهُ (٤) بِأَبْصَارِهِمْ وَ صَرَفُوا أَسْمَاعَهُمْ

ص: ١٣

١-١) البيان و التبیین ٢:٢٥٠.

٢-٢) كذا فى الأصول؛ و فى البيان و التبیین: «صعد عدى بن أرتاه».

٣-٣) البيان و التبیین ٢:٢٤٩.

٤-٤) البيان: «شفنوا أبصارهم»، و الشفن: أن يرفع المرء طرفه ناظرا إلى الشىء كالمتعجب له.

نحوه قال نكسوا رءوسكم و غضوا أبصاركم فإن أول مركب صعب فإذا يسر الله عزّ و جلّ فتح قفل تيسر (١) ثمّ نزل.

و خطب مصعب بن حيان أخو مقاتل بن حيان خطبه نكاح فحصر فقال لقنوا موتاكم لا إله إلاّ الله فقالت أم الجارية عجل الله موتك أ لهذا دعوناك (٢).

و خطب مروان بن الحكم فحصر فقال اللهمّ إنا نحمدك و نستعينك و لا نشرك بك.

و لما حصر عبد الله بن عامر بن كريز على المنبر بالبصره و كان خطيبا شق عليه ذلك فقال له زياد بن أبيه و كان خليفته أيها الأمير لا تجزع فلو أقيمت على المنبر عامه من ترى أصابهم أكثر ممّا أصابك فلما كانت الجمعة تأخر عبد الله بن عامر و قال زياد للناس إن الأمير اليوم موعوك فليل لرجل من وجوه أمراء القبائل قم فاصعد المنبر فلما صعد حصر فقال الحمد لله الذي يرزق هؤلاء و بقى ساكتا فأنزلوه و أصعدوا آخر من الوجوه فلما استوى قائما قابل بوجهه الناس فوقعت عينه على صلعه (٣) رجل فقال أيها الناس إن هذا الأصلع قد منعنى الكلام اللهمّ فالعن هذه الصلعه فأنزلوه و قالوا لوازع الإشكري قم إلى المنبر فتكلم فلما صعد و رأى الناس قال أيها الناس إننى كنت اليوم كارها لحضور الجمعة و لكن امرأتى حملتنى على إتيانها و أنا أشهدكم أنّها طالق ثلاثا فأنزلوه فقال زياد لعبد الله بن عامر كيف رأيت قم الآن فاخطب الناس (٤).

ص: ١٤

١-١ (١) البيان و التبيين ٢/٢٤٩.

٢-٢ (٢) البيان و التبيين ٢:٢٥٠.

٣-٣ (٣) الصلعه: موضع الصلغ و هو انحسار شعر مقدم الرأس.

٤-٤ (٤) البيان و التبيين ٢:٢٥١.

و قال سهل بن هارون دخل قطرب النحوى على المخلوع (١) فقال يا أمير المؤمنين كانت عدتك أرفع من جائزتك و هو يتبسم فاغتاظ الفضل بن الربيع (٢) فقلت له إن هذا من الحصر و الضعف و ليس من الجلد و القوه أ ما تراه يفتل أصابعه و يرشح جبينه (٣) .

و دخل معبد بن طوق العنبرى على بعض الأمراء فتكلم و هو قائم فأحسن فلما جلس تلهيع (٤) فى كلامه فقال له ما أظرفك قائما و أموقك (٥) قاعدا قال إنى إذا قمت جددت و إذا قعدت هزلت فقال ما أحسن ما خرجت منها (٦) .

٣٥٩٩

١٤- وَ كَانَ عَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ الْمُنْقَرِيَّ وَ الزُّبْرِقَانَ بْنَ بَدْرِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص فَسَأَلَ عَ عَمْرًا عَنِ الزُّبْرِقَانِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَمَائِعٌ لِحَوْزَتِهِ مُطَاعٌ فِي أَدَانِيهِ (٧) فَقَالَ الزُّبْرِقَانُ حَسَيْدَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ عَمْرُو يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَزَمْرٌ (٨) الْمُرْوَاهِ ضَيْقُ الْعَطَنِ لَيْمِ الْخَالِ فَنظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَيَّ وَجْهَ عَمْرٍو فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَتْ فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ وَ غَضِبْتُ فَقُلْتُ أَفِيحَ مَا عَلِمْتُ وَ مَا كَذَبْتُ فِي الْأُولَى وَ لَقَدْ صَدَقْتُ فِي الْأُخْرَى فَقَالَ عَ إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا

(٩)

و قال خالد بن صفوان ما الإنسان لو لا اللسان إلا صورته ممثله أو بهيمه مهمله

ص: ١٥

١- ١) الخليفة المخلوع هو الأمين.

٢- ٢) من البيان و التبيين.

٣- ٣) البيان و التبيين ٣٤٦: ١.

٤- ٤) تلهيع: أفرط، و فى البيان «تتعتع».

٥- ٥) اللسان: «أموتك».

٦- ٦) البيان و التبيين ٣٤٨: ١، و اللسان ٢٠٣: ١٠.

٧- ٧) الميدانى: «أدنيه».

٨- ٨) زمر المروءة: قليلها.

٩- ٩) الميدانى ٧: ١.

وقال ابن أبي الزناد كنت كاتباً لعمر بن عبد العزيز فكان يكتب إلي عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في المظالم فيراجعه فكتب إليه إنه يخيل إلي أني لو كتبت إليك أن تعطى رجلاً شاه لكتبت إلي أضعافاً أم معزاً فإذا كتبت إليك بأحدهما كتبت إلي أضعافاً أم أنثى وإذا كتبت إليك بأحدهما كتبت إلي صغيراً أم كبيراً فإذا كتبت إليك في مظلمة فلا تراجعني والسلام (١).

وأخذ المنصور هذا فكتب إلي سلم بن قتيبة عامله بالبصرة يأمره بهدم دور من خرج مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن و عقر نخلهم فكتب إليه بأيهما أبدأ بالدور أم بالنخل (٢) يا أمير المؤمنين فكتب إليه لو قلت لك بالنخل لكتبت إلي بماذا أبدأ بالشهريز أم بالبرني (٣) وعزله و ولي محمد بن سليمان (٤).

و خطب عبد الله بن عامر مره فأرتج عليه و كان ذلك اليوم يوم الأضحى فقال لا- أجمع عليكم عيا و لؤما من أخذ شاه من السوق فهي له و ثمنها على.

و خطب السفاح أول يوم صعد فيه المنبر فأرتج عليه فقام عمه داود بن علي فقال أيها الناس إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فيكم فعلة و لأثر الأفعال أجدى عليكم من تشقيق المقال و حسبكم كتاب الله علما فيكم و ابن عم رسول الله ص خليفه عليكم.

قال الشاعر

ص: ١٦

١-١) البيان و التبيين ٢:٢٨٠.

٢-٢) من البيان و التبيين.

٣-٣) الشهريز: ضرب من التمر، و البرني: ضرب من التمر أيضا أصفر مدور؛ و هو أجود التمر.

٤-٤) البيان و التبيين ٢:٢٨٣.

و ما خير من لا ينفع الدهر عيشه

و قال أحيحة بن الجلاح و الصمت أجمل بالفتى

ص: ١٧

رَوَى ذِعْلَبُ الْيَمَامِيُّ [الْيَمَانِيُّ]

عَنْ أَحْمَدَ بْنِ قُتَيْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِحْيَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع [فَقَالَ]

وَ قَدْ ذُكِرَ عِنْدَهُ اخْتِلَافُ النَّاسِ - فَقَالَ إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِيءُ طِينِهِمْ وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فُلِقَهُ مِنْ سَبِخِ أَرْضٍ وَ عَذِبَهَا وَ حَزَنَ تَرْبِيَهُ وَ سَهَّلَهَا فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارِبُونَ وَ عَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ فَتَأْمُ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ وَ مَا دُ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهَمِّهِ وَ زَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ وَ قَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ وَ مَعْرُوفُ الضَّرِيهِ مُنْكَرُ الْجَلِيهِ وَ تَائِهَةُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللَّبِّ وَ طَلِيْقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ .

ذعلب

و أحمد و عبد الله و مالك رجال من رجال الشيعة و محدثيهم و هذا الفصل عندي لا يجوز أن يحمل على ظاهره و ما يتسارع إلى أفهام العامه منه و ذلك لأن قوله إنهم كانوا فلقه من سبخ أرض و عذبها إما أن يريد به أن كل واحد من الناس ركب من طين و جعل صورته بشريه طينيه برأس و بطن و يدين و رجلين ثم نفخت فيه الروح كما فعل بآدم أو يريد به أن الطين الذي ركب منه صورته آدم فقط كان مختلطا من سبخ و عذب فإن أريد الأول فالواقع خلافه لأن البشر الذين نشاهدهم و الذين بلغتنا أخبارهم لم يخلقوا من الطين كما خلق آدم و إنما خلقوا من نطف آبائهم و ليس لقائل أن يقول لعل تلك النطف

ص: ١٨

افترقت لأنها تولدت من أغذيته مختلفه المنبت من العذوبه و الملوحة و ذلك لأن النطفه لا تتولد من غذاء بعينه بل من مجموع الأغذيه و تلك الأغذيه لا- يمكن أن تكون كلها من أرض سبخه محضه فى السبخيه لأن هذا من الاتفاقات التى يعلم عدم وقوعها كما يعلم أنه لا يجوز أن يتفق أن يكون أهل بغداد فى وقت بعينه على كثرتهم لا يأكلون ذلك اليوم إلا السكباج خاصه و أيضا فإن الأرض السبخه أو التى الغالب عليها السبخيه لا تنبت الأقوات أصلا و إن أريد الثانى و هو أن يكون طين آدم ع مختلطا فى جوهره مختلفا فى طبائعه فلم كان زيد الأحمق يتولد من الجزء السبخى و عمرو العاقل يتولد من الجزء العذبى و كيف يؤثر اختلاف طين آدم من ستة آلاف سنه فى أقوام يتوالدون الآن.

و الذى أراه أن لكلامه ع تأويلا باطنا و هو أن يريد به اختلاف النفوس المدبره للأبدان و كنى عنها بقوله مبادئ طينهم و ذلك أنها لما كانت الماسكه للبدن من الانحلال العاصمه له من تفرق العناصر صارت كالمبدإ و كالعله له من حيث إنها كانت عله فى بقاء امتزاجه و اختلاط عناصره بعضها ببعض و لذلك إذا فارت عند الموت افترقت العناصر و انحلت الأجزاء فرجع اللطيف منها إلى الهواء و الكثيف إلى الأرض.

و قوله كانوا فلقه من سبخ أرض و عذبها و حزن تربه و سهلها تفسيره أن البارئ جلّ جلاله لما خلق النفوس خلقها مختلفه فى ماهيتها فمنها الزكيه و منها الخبيثه و منها العفيفه و منها الفاجره و منها القويه و منها الضعيفه و منها الجريئه المقدمه و منها الفشله الدليله (١) إلى غير ذلك من أخلاق (٢) النفوس المختلفه المتضاده.

ثم فسرع و علل تساوى قوم فى الأخلاق و تفاوت آخرين فيها فقال

ص: ١٩

١-١) ساقطه من ا.

٢-٢) ا: «اختلاف».

إن نفس زيد قد تكون مشابهة أو قريبه من المشابهة لنفس عمرو فإذا هما فى الأخلاق متساويتان أو متقاربتان و نفس خالد قد تكون مضاده لنفس بكر أو قريبه من المضاده فإذا هما فى الأخلاق متباينتان أو قريبتان من المباينه.

و القول باختلاف النفوس فى ماهياتها هو مذهب أفلاطون و قد اتبعه عليه جماعه من أعيان الحكماء و قال به كثير من مثبتى النفوس من متكلمى الإسلام .

و أما أرسطو و أتباعه فإنهم لا يذهبون إلى اختلاف النفوس فى ماهيتها و القول الأول عندى أمثل .

ثم بين ع اختلاف آحاد الناس فقال منهم من هو تام الرواء لكنه ناقص العقل و الرواء بالهمز و المد المنظر الجميل و من أمثال العرب ترى الفتیان كالنخل و ما يدريك ما الدخل .

و قال الشاعر عقله عقل طائر و هو فى خلقه الجمل .

و قال أبو الطيب و ما الحسن فى وجه الفتى شرف له إذا لم يكن فى فعله و الخلاق (١) .

و قال الآخر و ما ينفع الفتیان حسن وجوههم

ص : ٢٠

و من شعر الحماسه لقومى أرعى للعلا من عصابه

و منه أيضا و كاتر بسعد إن سعدة كثيره قوله ع و ماد القامه قصير الهمه قريب من المعنى الأول إلا أنه خالف بين الألفاظ فجعل الناقص بإزاء التام و القصير بإزاء الماد و يمكن أن يجعل المعنيين مختلفين و ذلك لأنه قد يكون الإنسان تام العقل إلا أن همته قصيره و قد رأينا كثيرا من الناس كذلك فإذن هذا قسم آخر من الاختلاف غير الأول.

قوله ع و زاكى العمل قبيح المنظر يريد بزكاء أعماله حسنها و طهارتها فيكون قد أوقع الحسن بإزاء القبيح و هذا القسم موجود فاش بين الناس.

قوله و قريب القعر بعيد السبر أى قد يكون الإنسان قصير القامه و هو مع ذلك داهيه باقعه و المراد بقرب قعره تقارب ما بين طرفيه فليست بطنه بمدیده

ص: ٢١

ولا- مستطيله و إذا سبرته و اختبرت ما عنده وجدته لبيبا فطنا لا يوقف على أسراره و لا يدرك باطنه و من هذا المعنى قول الشاعر (١) ترى الرجل النحيف فتزدرية

٣٦٠٠

وَ قِيلَ لِيَغْضِ الْحُكَمَاءُ مَا بَالُ الْقَصَّارِ مِنَ النَّاسِ أَذْهَى وَ أَحْذَقُ قَالَ لِقُرْبِ قُلُوبِهِمْ مِنْ أَدْمِغَتِهِمْ.

و من شعر الحماسه إلا يكن عظمى طويلا فإننى

و من شعر الحماسه أيضا و هو تمام البيتين المقدم ذكرهما فما عظم الرجال لهم بفخر

قوله ع و معروف الضريه منكر الجليه الجليه هى الخلق الذى

ص: ٢٢

١-١) للعباس بن مرداس، ديوان الحماسه- بشرح المرزوقى ٣:١١٥٣.

يتكلفه الإنسان و يستجلبه مثل أن يكون جباناً بالطبع فيتكلف الشجاعه أو شحيحاً بالطبع فيتكلف الجود و هذا القسم أيضا عام في الناس.

ثمّ لما فرغ من الأخلاق المتضاده ذكر بعدها ذوى الأخلاق و الطباع المتناسبه المتلائمه فقال و تائه القلب متفرق اللب و هذان الوصفان متناسبان لا متضادان.

ثمّ قال و طليق اللسان حديد الجنان و هذان الوصفان أيضا متناسبان و هما متضادان للوصفين قبلهما فالأولان ذمّ و الآخران مدح

ص: ٢٣

قَالَهُ وَ هُوَ يَلِي غُسْلَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ تَجْهِيْزَهُ بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النَّبِيِّ وَ الْإِنْبَاءِ وَ أَخْبَارِ السَّمَاءِ خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ وَ عَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سِوَاءً وَ لَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ وَ نَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ لَأَنْفَذْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤْنِ وَ لَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً وَ الْكَمَدُ مُحَالِفاً وَ قَلَّ لَكَ وَ لَكِنَّهُ مَا لَا يُمْلِكُ رُدُّهُ وَ لَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَ اجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ .

بأبي أنت و أمي

أى بأبي أنت مفدى و أمي.

و الإنباء

الإخبار مصدر أنبا ينبى و روى و الأنباء بفتح الهمزة جمع نبأ و هو الخبر و أخبار السماء الوحي.

قوله ع خصصت و عممت أى خصت مصيبتك أهل بيتك حتى أنهم لا يكثرثون بما يصيبهم بعدك من المصائب و لا بما أصابهم من قبل و عمت هذه

المصيبة أيضا الناس حتى استوى الخلائق كلهم فيها فهي مصيبة خاصه بالنسبه و عامه بالنسبه.

و مثل قوله حتى صرت مسليا عن سواك قول الشاعر رزئنا أبا عمر و لا حي مثله

و قال آخر أقول للموت حين نازله

و لى فى هذا المعنى كتبه إلى صديق غاب عنى من جمله أبيات و قد كنت أخشى من خطوب غوائل

و قال إسحاق بن خلف يرثى بنتا له (1) أمست أميمه معمورا بها الرجم

ص: ٢٥

(١ - ١) الكامل ٢٠: ٤.

للموت عندي أباد لست أكفرها

أحيا سرورا و بي ممّا أتى ألم.

و قال آخر فلو أنّها إحدى رزيتها

و قال آخر أ جاري ما أزداد إلاّ صباه

و قال آخر لتغد المنايا حيث شاءت فإنها

قوله ع و لكان الداء مماطلا أى مماطلا بالبرء أى لا يجيب إلى الإقلاع .

و الإبلال الإفاقه

ص: ٢٦

فأما وفاه رسول الله ص و ما ذكره أرباب السيره فيها فقد ذكرنا طرفا منه فيما تقدم و نذكر هاهنا طرفا آخر مما أورده أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه .

٣٦٠١

١٤- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ رَوَى أَبُو مُوَيْهَبَةَ (١) مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ أَرْسَلَ (٢) إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَقَالَ يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ إِنِّي قَدْ أَمُوتُ أَنْ أَسْتَعْفَرَ لِأَهْلِ الْبَقِيْعِ فَأَنْطَلِقُ مَعِيَ فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُ فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ لِيَهِنَ لَكُمْ مَا أَصِيبُكُمْ فِيهِ مِمَّا أَصِيبُ النَّاسَ فِيهِ أَقْبَلَتِ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يَتَّبِعُ آخِرُهَا أَوْلَهَا الْآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الْأُولَى ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ إِنِّي قَدْ أَوْهَيْتُ (٣) مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَ الْخُلْدِ فِيهَا وَ الْجَنَّةِ (٤) فَخِيَرْتُ بَيْنَهُمَا وَ بَيْنَ الْجَنَّةِ فَاخْتَرْتُ الْجَنَّةَ فَقُلْتُ يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ إِنِّي قَدْ أَخَذْتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَ الْخُلْدِ فِيهَا وَ الْجَنَّةِ جَمِيعاً فَقَالَ لَا يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي ثُمَّ اسْتَعْفَرَ لِأَهْلِ الْبَقِيْعِ وَ انْصَرَفَ فَبَدَأَ بِوَجْعِهِ الَّذِي قَبَضَهُ اللَّهُ فِيهِ

(٥)

و

٣٦٠٢

١٤,١- رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنِ شَهَابِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْبَقِيْعِ فَوَجَدَنِي وَ أَنَا أَجِدُ صُدَاعاً فِي رَأْسِي وَ أَقُولُ وَ أَرَأْسَاهُ فَقَالَ بَلْ أَنَا وَ أَرَأْسَاهُ ثُمَّ قَالَ مَا ضَرَّكَ لَوْ مِتُّ قَبْلِي فَقُمْتُ عَلَيْكَ فَكَفَفْتُكَ وَ صَلَّيْتُ عَلَيْكَ وَ دَفَنْتُكَ فَقُلْتُ وَ اللَّهُ لَكَأَنِّي

ص: ٢٧

١- ١) ذكره الطبري ١: ١٧٨٠ (طبع أوربا). في موالى رسول الله صلى الله عليه و سلم. و قال: «قيل إنه كان من مولدى مزينه، فاشتراه رسول الله صلى الله عليه و سلم فأعتقه».

٢- ٢) الطبري: «بعثنى».

٣- ٣) الطبري: «أتيت».

٤- ٤) الطبري: «ثم الجنة».

٥- ٥) تاريخ الطبري ١، ١٨٠٠، ١٧٩٩: ١.

بِعْكَ لَوْ كَانَ ذَلِكَ رَجَعْتَ إِلَى مَنْزِلِي فَأَعْرَسْتَ بِبَعْضِ نِسَائِكَ فَتَبَسَّمَ عَ وَتَتَامَّ بِهِ وَجَعُهُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ حَتَّى اسْتَعَزَّ (١) بِهِ وَهُوَ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ فَدَعَا نِسَاءَهُ فَاسْتَأْذَنَهُنَّ أَنْ يُمَرِّضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَ لَهُ فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِهِ أَحَدُهُمَا الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَرَجُلٍ آخَرَ تَخَطَّ قَدَمَاهُ فِي الْأَرْضِ عَاصِبًا رَأْسَهُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثَيْبَةَ فَحَدَّثْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ أَتَدْرِي مِنَ الرَّجُلِ الْآخِرِ قُلْتُ لَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَكِنَّهَا كَانَتْ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَذْكُرَهُ بِخَيْرٍ وَهِيَ تَشِيءُ طَبِيعٌ قَالَتْ ثُمَّ غُمِرَ (٢) رَسُولُ اللَّهِ صَ وَاشْتَدَّ بِهِ الْوَجَعُ فَقَالَ أَهْرِيقُوا عَلَيَّ سَيَبِغُ قَرِيبٌ مِنْ آيَارِ شَتَّى حَتَّى أُخْرَجَ إِلَى النَّاسِ فَأَعْهَدَ إِلَيْهِمْ قَالَتْ فَأَقْعَدْتُهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ وَصَبَبْنَا عَلَيْهِ الْمَاءَ حَتَّى طَفِقَ يَقُولُ بِيَدِهِ حَسْبُكُمْ حَسْبُكُمْ

(٣)

قلت المخضب المرن (٤).

و

٣٦٠٣

١٤- رَوَى عَطَاءٌ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ جَاءَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَ حِينَ يَدَأُ بِهِ مَرَضُهُ فَقَالَ اخْرُجْ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ مَوْعُوكًا قَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ فَقَالَ خُذْ بِيَدِي فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ ثُمَّ قَالَ نَادِ فِي النَّاسِ فَصَدَحَتْ فِيهِمْ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ إِنَّهُ قَدْ دَنَا مِنِّي حُقُوقٌ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ فَمَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْرًا فَهَذَا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنْهُ وَمَنْ كُنْتُ شَتَّمْتُ لَهُ عَرِضًا فَهَذَا عَرِضِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنْهُ وَمَنْ كُنْتُ أَخَذْتُ لَهُ مَالًا فَهَذَا مَالِي فَلْيَأْخُذْ مِنْهُ وَلَا يَقُلْ رَجُلٌ إِنِّي أَخَافُ الشَّحْنَاءَ مِنْ قَبْلِ رَسُولِ اللَّهِ أَلَا وَإِنَّ الشَّحْنَاءَ لَيْسَتْ مِنْ طَبِيعَتِي وَلَا مِنْ شَأْنِي أَلَا وَإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ مِنِّي حَقًّا

ص: ٢٨

١- ١) استعز به: اشتد عليه وجعه و غلبه على نفسه.

٢- ٢) غمر: اشتد به الوجع.

٣- ٣) تاريخ الطبري ١٨٠١، ١٨٠٠: ١.

٤- ٤) المرن: الإجانه التي تغسل فيها الثياب.

إِنْ كَانَ لَهُ أَوْ حَلَلْنِي فَلَقِيْتُ اللَّهَ وَ أَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ وَقَدْ أَرَانِي أَنَّ هَذَا غَيْرُ مُغْنٍ عَنِّي حَتَّى أَقُومَ فِيكُمْ بِهِ مِرَارًا ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ رَجَعَ فَجَلَسَ عَلَى الْمِئْبَرِ فَعَادَ لِمَقَالَتِهِ الْأُولَى فِي الشَّحْنَاءِ وَ غَيْرِهَا فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي عِنْدَكَ ثَلَاثَةٌ دَرَاهِمَ فَقَالَ إِنَّا لَا نَكْذِبُ قَائِلًا وَلَا نَسْتَحْلِفُهُ عَلَى يَمِينٍ فِيمَ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي قَالَ أَ تَذْكُرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَوْمَ مَرَّ بِكَ الْمَسْكِينُ فَأَمَرْتَنِي فَأَعْطَيْتُهُ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ فَقَالَ أَعْطِهِ يَا فَضْلُ فَأَمَرْتُهُ فَجَلَسَ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيُؤَدِّهِ وَلَا يَقُلْ فُضُوحَ الدُّنْيَا فَإِنَّ فُضُوحَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ فُضُوحِ الْمَآخِرِ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عِنْدِي ثَلَاثَةٌ دَرَاهِمَ غَلَّتْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ وَ لِمَ غَلَّتْهَا قَالَ كُنْتُ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا قَالَ خُذْهَا مِنْهُ يَا فَضْلُ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ خَشِيَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا فَلْيَقُمْ أَدْعُو لَهُ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَكَذَّابٌ وَ إِنِّي لِفَاحِشٌ وَ إِنِّي لَنُؤْمٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ صِدْقًا وَ صِيَالًا (١) وَ أَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ إِذَا أَرَادَ ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَكَذَّابٌ وَ إِنِّي لَمُنَافِقٌ وَ مَا شَيْءٌ أَوْ قَالَ وَ إِن مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَ قَدْ جِئْتُهُ (٢) فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ فَضَحْتَ نَفْسَكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ فَقَالَ النَّبِيُّ ص يَا ابْنَ الْخَطَّابِ فُضُوحُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ فُضُوحِ الْمَآخِرِ اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ صِدْقًا وَ إِيْمَانًا وَ صَيِّرْ أَمْرَهُ إِلَى خَيْرٍ

(٣)

٣٦٠٤

١٤- رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ قَالَ نَعَى إِلَيْنَا نَبِيَّنَا وَ حَبِيبَنَا نَفْسَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ جَمَعْنَا فِي بَيْتِ أُمِّنَا عَائِشَةَ فَنَظَرَ إِلَيْنَا وَ شَدَّدَ (٤) وَ دَمَعَتْ عَيْنُهُ وَ قَالَ مَرْحَبًا بِكُمْ حَيَّاكُمْ اللَّهُ رَحِمَكُمُ اللَّهُ آوَاكُمُ اللَّهُ حَفِظَكُمُ اللَّهُ رَفَعَكُمُ اللَّهُ نَفَعَكُمُ اللَّهُ

ص: ٢٩

١- (١) الطبري: «و إيماناً».

٢- (٢) الطبري: «جنيته».

٣- (٣) تاريخ الطبري ١: ١٨٠١-١٨٠٣، و بقيه الخبر: «فقال عمر: كلمه، فضحك رسول الله، ثم قال: عمر معي و أنا مع عمر، و الحق

بعدي مع عمر حيث كان».

٤- (٤) من تاريخ الطبري.

وَفَقَّكُمُ اللَّهُ رَزَقَكُمُ اللَّهُ هَدَاكُمُ اللَّهُ نَصَرَ كُمْ اللَّهُ سَلَّمَ كُمْ اللَّهُ تَقَبَّلَكُمُ اللَّهُ أَوْصِيَكُمُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ أَوْصَى اللَّهُ بِكُمْ وَ أَسْتَخْلَفُهُ عَلَيْكُمْ
 إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَى اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَ بِلَادِهِ فَإِنَّهُ قَالَ لِي وَ لَكُمْ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا
 فِي الْمَآرِضِ وَ لَا فِلْسَادًا وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١) فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَتَى أَجْلُكَ قَالَ قَدْ دَنَا الْفِرَاقُ وَ الْمُتَّقِلُّ إِلَى اللَّهِ وَ إِلَى سَدْرِهِ
 الْمُنتَهَى وَ الرَّفِيقِ الْمَاعْلَى وَ جَنَّةِ الْمَأْوَى وَ الْعَيْشِ الْمُهْنَأُ قُلْنَا فَمَنْ يَغْسِلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَهْلِي الْأَذْنَى فَالْأَذْنَى قُلْنَا فَفِيمَ نَكْفُنُكَ
 قَالَ فِي ثِيَابِي هَذِهِ إِنْ شِئْتُمْ أَوْ فِي بِياضِ مِصْرَ أَوْ حُلَّةِ يَمَنِيَّةٍ قُلْنَا فَمَنْ يُصَلِّي عَلَيْكَ فَقَالَ إِذَا غَسَلْتُمُونِي وَ كَفَّيْتُمُونِي فَضَعُونِي عَلَى
 سَرِيرِي فِي بَيْتِي هَذَا عَلَى شَفِيرِ قَمِيرِي ثُمَّ اخْرُجُوا عَنِّي سَاعَةً فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيَّ جَلِيسَتِي وَ حَبِيبِي وَ خَلِيلِي جَبْرَائِيلُ ثُمَّ
 مِيكَائِيلُ ثُمَّ إِسْرَافِيلُ ثُمَّ مَلَكُ الْمَوْتِ مَعَ جُنُودِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ثُمَّ ادْخُلُوا عَلَيَّ فَوْجًا فَوْجًا فَصَلُّوا عَلَيَّ وَ سَلِّمُوا وَ لَا تُؤْذُونِي بِتَرْكِيهِ وَ
 لَا ضَجِّهِ وَ لَا رَنِّهِ وَ لِيُيَدَّ بِالصَّلَاةِ عَلَيَّ رِجَالُ أَهْلِ بَيْتِي ثُمَّ نَسَاؤُهُمْ ثُمَّ أَنْتُمْ بَعْدُ وَ أَقْرَأُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ السَّلَامِ وَ مَنْ غَابَ مِنْ أَهْلِي
 فَأَقْرَأُوهُ مِنَ السَّلَامِ وَ مَنْ تَابَعَكُمْ بَعْدِي عَلَى دِينِي فَأَقْرَأُوهُ مِنَ السَّلَامِ فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ سَلَّمْتُ عَلَى مَنْ بَايَعَنِي عَلَى دِينِي
 مِنَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قُلْنَا فَمَنْ يُدْخِلُكَ قَبْرِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَهْلِي مَعَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرَةٍ يَرُونَكُمْ وَ لَا تَرُونَهُمْ

(٢)

قلت العجب لهم كيف لم يقولوا له في تلك الساعة فمن يلي أمورنا بعدك لأن ولايه الأمر أهم من السؤال عن الدفن و عن
 كيفية الصلاة عليه و ما أعلم ما أقول في هذا المقام

٣٦٠٥

١٤- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ وَ رَوَى سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ قَالَ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ

ص: ٣٠٠

(١-١) سورة القصص ٨٣.

(٢-٢) تاريخ الطبري ١: ١٨٠٤-١٨٠٦.

يَوْمَ الْخَمِيسِ وَ مَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ثُمَّ يَبْكِي حَتَّى تَبَلَّ دُمُوعُهُ الْحَصِيءَ بَاءَ فَقُلْنَا لَهُ وَ مَا يَوْمُ الْخَمِيسِ قَالَ يَوْمَ اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ص وَ جَعُهُ
فَقَالَ ائْتُونِي بِاللُّوْحِ وَ الدَّوَاهِ أَوْ قَالَ بِالْكِتِفِ وَ الدَّوَاهِ أَكْتُبَ لَكُمْ مَا لَا تَضِلُّونَ بَعْدِي فَتَنَازَعُوا فَقَالَ اخْرُجُوا وَ لَا يَتَّبِعُنِي عِنْدَ نَبِيِّ أَنْ
يَتَنَازَعُوا مَا شَأْنُهُ أَهْجَرَ (١) اسْتَفْهَمُوهُ فَذَهَبُوا يُعِيدُونَ عَلَيْهِ فَقَالَ دَعُونِي فَمَا أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ثُمَّ أَوْصَى بِثَلَاثٍ قَالَ
اخرُجُوا الْمُسْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَ أَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مِمَّا كُنْتُ أَجِيزُهُمْ وَ سَكَتَ عَنِ الثَّلَاثَةِ عَمْدًا أَوْ قَالَهَا وَ نَسِيَتْهَا (٢)

و .

٣٦٠٦

١٤٠١- رَوَى أَبُو جَعْفَرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالِ خَرَجَ عَلَيَّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ ع مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوفِّي فِيهِ فَقَالَ لَهُ
النَّاسُ يَا أَبَا الْحَسَنِ كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَالَ أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللَّهِ بَارئًا فَأَخَذَ الْعَبَّاسُ بِيَدِهِ وَقَالَ أَلَا تَرَى أَنَّكَ بَعْدَ ثَلَاثِ عِبْدِ
الْعَصَا إِنِّي لَأَعْرِفُ الْمَوْتَ فِي وَجْهِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَادْهَبْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَسَلِّ لَهُ فِيمَنْ يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ فَإِنْ كَانَ فِينَا عَلِمْنَا
ذَلِكَ وَ إِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا وَصَى بِنَا فَقَالَ عَلَيُّ أَخْشَى أَنْ أَسْأَلَهُ فَيَمْنَعَنَاهَا فَلَا يُعْطِينَاهَا النَّاسُ أَبَدًا

(٣)

و .

٣٦٠٧

١٤- رَوَتْ عَائِشَةُ قَالَتْ أُعْمِيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَ الدَّارُ مَمْلُوءَةٌ مِنَ النِّسَاءِ أُمَّ سَلَمَةَ وَ مَيْمُونَةَ وَ أَسْمَاءَ بِنْتُ عُمَيْسٍ وَ عِنْدَنَا عُمَةُ
الْعَبَّاسُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَاجْتَمَعُوا عَلَيَّ أَنْ يَلِدُوهُ فَقَالَ الْعَبَّاسُ لَا أَلِدُهُ فَلِدُوهُ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ مَنْ صَنَعَ بِي هَذَا قَالُوا عَمَّكَ قَالَ لَنَا هَذَا
دَوَاءٌ جَاءَنَا مِنْ نَحْوِ هَذِهِ الْأَرْضِ وَ أَشَارَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ قَالَ فَلِمَ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَقَالَ الْعَبَّاسُ خَشِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ بِكَ
ذَاتُ الْجَنْبِ فَقَالَ إِنَّ ذَلِكَ

ص: ٣١

١- ١) هجر، أى اختلف كلامه.

٢- ٢) تاريخ الطبري ١: ١٨٠٦.

٣- ٣) تاريخ الطبري ١: ١٨٠٧.

لَعْدَاءِ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُقْسِدَنِي بِهِ لَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي الْبَيْتِ إِلَّا لُدَّ إِلَّا عَمِّي قَالَ فَلَقَدْ لُدَّتْ مَيْمُونَةُ وَإِنَّهَا لَصَائِمَةٌ لِقَسَمِ رَسُولِ اللَّهِ ص
عُقُوبَةً لَهُمْ بِمَا صَنَعُوا

٣٦٠٨

١٤- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَقَدْ وَرَدَتْ رِوَايَةٌ أُخْرَى عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ لَدَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ص فِي مَرَضِهِ فَقَالَ لَا تَلُدُونِي فَقُلْنَا كَرَاهِيَةَ الْمَرِيضِ
لِلدَّوَاءِ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا لُدَّ غَيْرَ الْعَبَّاسِ عَمِّي فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَالَّذِي تَوَلَّى اللَّدُودَ (١) بِيَدِهِ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ

(٢)

قلت العجب من تناقض هذه الروايات في إحداها أن العباس لم يشهد اللدود فلذلك أعفاه رسول الله ص من أن يلد و لد من
كان حاضرا و في إحداها أن العباس حضر لده ع و في هذه الرواية التي تتضمن حضور العباس في لده كلام مختلف فيها أن
العباس قال لا ألده ثم قال فلد فأفاق فقال من صنع بي هذا قالوا عمك إنه قال هذا دواء جاءنا من أرض الحبشه لذات الجنب
فكيف يقول لا ألده ثم يكون هو الذي أشار بأن يلد و قال هذا دواء جاءنا من أرض الحبشه لكذا.

و سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد البصرى عن حديث اللدود فقلت أ لدد علي بن أبي طالب ذلك اليوم فقال معاذ الله
لو كان لدد لذكرت عائشه ذلك فيما تذكره و تنعاه عليه قال و قد كانت فاطمه حاضره في الدار و ابناها معها أ فتراها لددت أيضا
و لدد الحسن و الحسين كلا و هذا أمر لم يكن و إنما هو حديث ولده من ولده تقريبا إلى بعض الناس و الذي كان أن أسماء بنت
عميس أشارت بأن يلد و قالت هذا دواء جاءنا من أرض الحبشه جاء به جعفر بن أبي طالب و كان بعلها

ص: ٣٢

١- (١) اللدود، بالفتح من الأدويه: ما يسقاه المريض في أحد شقي الفم.

٢- (٢) تاريخ الطبري ١٨٠٩، ١٨٠٨: ١.

و ساعدتها على تصويب ذلك و الإشارة به ميمونه بنت الحارث فلد رسول الله ص فلما أفاق أنكره و سأل عنه فذكر له كلام أسماء و موافقه ميمونه لها فأمر أن تلد الأمرتان لا غير فلدتا و لم يجر غير ذلك و الباطل لا يكاد يخفى على مستبصر.

و

٣٦٠٩

١٤- رَوَتْ عَائِشَةُ قَالَتْ كَثِيرًا مَّا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيًّا حَتَّى يُخَيَّرَهُ فَلَمَّا اخْتِصَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص كَانَ آخِرَ كَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْهُ بَلِ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى فَقُلْتُ إِذَا وَاللَّهِ لَا يَخْتَارُنَا وَ عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ مَا كَانَ يَقُولُهُ مِنْ قَبْلُ

(١)

و

٣٦١٠

١٤,١- رَوَى الْمَارْزُومِيُّ بْنُ شُرْحَبِيلٍ قَالَ سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ هَيْلَ أَوْصِي رَسُولُ اللَّهِ ص فَقَالَ لَا قُلْتُ فَكَيْفَ كَانَ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ فِي مَرَضِهِ ابْعَثُوا إِلَيَّ عَلِيًّا فَاذْعُوهُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ لَوْ بَعَثْتَ إِلَيَّ أَبِي بَكْرٍ وَقَالَتْ حَفْصَةُ لَوْ بَعَثْتَ إِلَيَّ عُمَرَ فَاجْتَمَعُوا عِنْدَهُ جَمِيعًا هَكَذَا لَفِظَ الْخَبْرَ عَلِيٌّ مِثْلَ أَوْزْدَةَ الطَّبْرِيِّ فِي التَّارِيخِ وَ لَمْ يَقُلْ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَيْهِمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص انْصَبِرُوا فَإِنْ تَكُنْ لِي حِيَاةً أَبْعَثَ إِلَيْكُمْ فَانْصَبِرُوا وَقِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ الصَّلَاةُ فَقَالَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَفِيقٌ فَمُرْ عُمَرَ فَقَالَ عُمَرُ مَا كُنْتُ لِاتَّقَدَّمَ وَ أَبُو بَكْرٍ شَاهِدٌ فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَوَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ص خِفَّهُ فَخَرَجَ فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ حَرَكَتَهُ تَأَخَّرَ فَجَدَّبَ رَسُولُ اللَّهِ ص ثَوْبَهُ فَأَقَامَهُ مَكَانَهُ وَ قَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ص فَقَرَأَ مِنْ حَيْثُ انْتَهَى أَبُو بَكْرٍ

(٢)

قلت عندي في هذه الواقعة كلام و يعترضني فيها شكوك و اشتباه إذا كان قد

ص: ٣٣

١- (١) تاريخ الطبري ١: ١٨١٠.

٢- (٢) تاريخ الطبري: ١٨١٢، ١٨١١.

أراد أن يبعث إلى علي ليوصي إليه فنفست عائشه عليه فسألت أن يحضر أبوها و نفست حفصه عليه فسألت أن يحضر أبوها ثم حضرا و لم يطلبوا فلا شبهة أن ابنتيهما طلبتاها هذا هو الظاهر

٣٤١١

وَقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ قَدْ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عِنْدَهُ انْصَرَفُوا فَإِنْ تَكُنْ لِي حَاجَةٌ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ.

قول من عنده ضجر و غضب باطن لحضورهما و تهمة للنساء في استدعائهما فكيف يطابق هذا الفعل و هذا القول ما روى من أن عائشه قالت لما عين علي أبيها في الصلاة أن أبي رجل رقيق فمر عمر و أين ذلك الحرص من هذا الاستعفاء و الاستقالة و هذا يوهم صحه ما تقوله الشيعة من أن صلاة أبي بكر كانت عن أمر عائشه و إن كنت لا أقول بذلك و لا أذهب إليه إلا أن تأمل هذا الخبر و لمح مضمونه يوهم ذلك فلعل هذا الخبر غير صحيح و أيضا ففي الخبر ما لا يجيزه أهل العدل و هو أن يقول مروا أبا بكر ثم يقول عقيبه مروا لأن هذا نسخ الشيء قبل تقضى وقت فعله.

فإن قلت قد مضى من الزمان مقدار ما يمكن الحاضرين فيه أن يأمرؤا أبا بكر و ليس في الخبر إلا أنه أمرهم أن يأمرؤه و يكفى في صحه ذلك مضى زمان يسير جدا يمكن فيه أن يقال يا أبا بكر صل بالناس قلت الإشكال ما نشأ من هذا الأمر بل من كون أبي بكر مأمورا بالصلاه و إن كان بواسطه ثم نسخ عنه الأمر بالصلاه قبل مضى وقت يمكن فيه أن يفعل الصلاه فإن قلت لم قلت في صدر كلامك هذا إنه أراد أن يبعث إلى علي ليوصي إليه و لم لا يجوز أن يكون بعث إليه لحاجه له قلت لأن مخرج كلام ابن عباس هذا المخرج أ لا ترى أن الأرقم بن شرحبيل الراوى لهذا الخبر قال سألت ابن عباس هل أوصى رسول الله ص فقال لا فقلت فكيف كان فقال إن رسول الله ص قال في مرضه

ص: ٣٤

ابعثوا إلى علي فادعوه فسأله المراه أن يبعث إلى أبيها و سأله الأخرى أن يبعث إلى أبيها فلو لا أن ابن عباس فهم من قوله ص
ابعثوا إلى علي فادعوه أنه يريد الوصيه إليه لما كان لإخبار الأرقم بذلك متصلا بسؤاله عن الوصيه معنى و

٣٤١٢

١٤- رَوَى الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَمُوتُ وَ عِنْدَهُ قَدْحٌ فِيهِ مَاءٌ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي الْقَدْحِ
ثُمَّ يَمْسُحُ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى سَكْرَةِ الْمَوْتِ

(١)

و

٣٤١٣

١٤- رَوَى عُزُوهُ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَوْمَ مَوْتِهِ فِي حَجْرِي فَدَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ آلِ أَبِي بَكْرٍ فِي يَدِهِ مِسْوَاكٌ
أَخْضَرٌ فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَيْهِ نَظْرًا عَرَفْتُ أَنَّهُ يُرِيدُهُ فَقُلْتُ لَهُ أ تُحِبُّ أَنْ أُعْطِيكَ هَذَا الْمِسْوَاكَ قَالَ نَعَمْ فَأَخَذْتُهُ فَمَضَعْتُهُ حَتَّى
أَلْتَنَّهُ ثُمَّ أَعْطَيْتُهُ إِيَّاهُ فَاسْتَنَّنَ بِهِ كَأَشَدِّ مَا رَأَيْتُهُ يَسْتَنُّ بِمِسْوَاكِ قَبْلَهُ ثُمَّ وَضَعَهُ وَ وَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَنْقُلُ فِي حَجْرِي فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ
فِي وَجْهِهِ فَإِذَا بَصِيرُهُ قَدْ شَخِصَ وَ هُوَ يَقُولُ بَلِ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ فَقُلْتُ لِمَ خَيْرَتَ فَاخْتَرْتَ وَ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ وَ قُبِضَ
رَسُولُ اللَّهِ ص

(٢)

قال الطبري و قد وقع الاتفاق على أنه كان يوم الإثنين من شهر ربيع الأول و اختلف في أي الأثنين كان فقيل لليلتين خلنا من
الشهر و قيل لائنتي عشره (٣) خلت من الشهر و اختلف في تجهيزه أي يوم كان فقيل يوم الثلاثاء الغد من وفاته و قيل إنما دفن
بعد وفاته بثلاثة أيام اشتغل القوم عنه بأمر البيعه.

٣٤١٤

١٤- وَ قَدْ رَوَى الطَّبْرِيُّ مَا يُدَلُّ عَلَى ذَلِكَ عَنْ زِيَادِ بْنِ كَلَيْبٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ أَنَّ

ص: ٣٥

٢-٢) تاريخ الطبري ١:١٨١٤.

٣-٣) تاريخ الطبري ١:١٨١٥.

أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بَعْدَ ثَلَاثِ إِِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ وَقَدْ ارْبَدَّ بَطْنُهُ فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَبَلَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَ طِبْتَ مَيِّتًا

(١)

قلت و أنا أعجب من هذا هب أن أبا بكر و من معه اشتغلوا بأمر البيعه فعلى بن أبى طالب و العباس و أهل البيت بما ذا اشتغلوا حتى يبقى النبى ص مسجى بينهم ثلاثة أيام بلياليهن لا يغسلونه و لا يمسونه.

فإن قلت الروايه التى رواها الطبرى فى حديث الأيام الثلاثة إنما كانت قبل البيعه لأن لفظ

٣٤١٥

١٤- الخبر عن إبراهيم و أنه لما قبض النبى ص كان أبو بكر غائباً فجاء بعد ثلاث و لم يتجرأ أحد أن يكشف عن وجهه حتى اربد بطنه فكشف عن وجهه و قبل عينيه و قال بأبى أنت و أمى طبت حياً و طبت ميتاً ثم خرج إلى الناس فقال من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات

الحديث بطوله قلت لعمرى إن الروايه هكذا أوردها و لكنها مستحيلة لأن أبا بكر فارق رسول الله ص و هو حى و مضى إلى منزله بالسنع فى يوم الإثنين و هو اليوم الذى مات فيه رسول الله ص لأنه رآه بارثا صالح الحال هكذا روى الطبرى فى كتابه و بين السنع و بين المدينه نصف فرسخ بل هو طائفه من المدينه فكيف يبقى رسول الله ص ميتا يوم الإثنين و يوم الثلاثاء و يوم الأربعاء لا يعلم به أبو بكر و بينهما غلوه ثلاثة أسهم و كيف يبقى طريقا بين أهله ثلاثة أيام لا يجترئ أحد منهم أن يكشف عن وجهه و فيهم على بن أبى طالب و هو روحه بين جنبيه و العباس عمه القائم مقام أبيه و ابنا فاطمه و هما كولديه و فيهم فاطمه بضعه منه أ فما كان فى هؤلاء من يكشف عن وجهه و لا من يفكر فى جهازه و لا من يأنف له من

ص: ٣٤

١-١) تاريخ الطبرى ١:١٨١٧.

انتفاخ بطنه و اخضرارها و ينتظر بذلك حضور أبي بكر ليكشف عن وجهه أنا لا أصدق ذلك و لا يسكن قلبى إليه و الصحيح أن دخول أبي بكر إليه و كشفه عن وجهه و قوله ما قال إنما كان بعد الفراغ من البيعه و أنهم كانوا مشتغلين بها كما ذكر فى الروايه الأخرى.

و بقى الإشكال فى قعود على ع عن تجهيزه إذا كان أولئك مشتغلين بالبيعه فما الذى شغله هو فأقول يغلب على ظنى إن صح ذلك أن يكون قد فعله شناعه على أبى بكر و أصحابه حيث فاتته الأمر و استؤثر عليه به فأراد أن يتركه ص بحاله لا يحدث فى جهازه أمرا ليثبت عند الناس أن الدنيا شغلتهم عن نبينهم ثلاثه أيام حتى آل أمره إلى ما ترون و قد كان ع يتطلب الحيله فى تهجين أمر أبى بكر حيث وقع فى السقيفه ما وقع بكل طريق و يتعلق بأدنى سبب من أمور كان يعتمدها و أقوال كان يقولها فلعل هذا من جملة ذلك أو لعله إن صح ذلك (١) فإنما تركه ص بوصيه منه إليه و سر كانا يعلمانه فى ذلك.

فإن قلت فلم لا يجوز أن يقال إن صح ذلك إنه (٢) أخر جهازه ليجتمع رأيه و رأى المهاجرين على كيفية غسله و تكفينه و نحو ذلك من أموره قلت لأن الروايه الأولى تبطل هذا الاحتمال و هى

٣٦١٦

قَوْلُهُ ص لَهُمْ قَبْلَ مَوْتِهِ يُعَسِّلُنِي أَهْلِي الْأَذْنَى مِنْهُمْ فَالْأَذْنَى وَ أَكْفَنُ فِي ثِيَابِي أَوْ فِي بِيَاضِ مِصْرٍ أَوْ فِي حُلِّي يَمِينِي.

٣٦١٧

١٤,١- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَأَمَّا الَّذِينَ تَوَلَّوْا غُسْلَهُ فَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَ قُتَيْبُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَ شُقْرَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ص

ص: ٣٧

١- ١- ١) ساقط من ب، و أثبتته من ا.

٢- ١- ١) ساقط من ب، و أثبتته من ا.

وَ حَضَرَ أَوْسُ بْنُ خَوْلِيٍّ أَحَدُ الْخَزَرَجِ فَقَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنْشُدْكَ اللَّهَ يَا عَلِيُّ وَ حَظَّنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَ كَانَ أَوْسٌ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرِ فَقَالَ لَهُ أُدْخِلْ فَدَخَلَ فَحَضَرَ غُسْلَهُ عَ وَ صَبَّ الْمَاءَ عَلَيْهِ أَسَامَهُ وَ شُقْرَانُ وَ كَانَ عَلِيُّ عَ يُغَسِّلُهُ وَ قَدْ أَسْنَدَهُ إِلَى صَدْرِهِ وَ عَلَيْهِ قَمِيصُهُ يَدُلُّكَ مِنْ وَرَائِهِ لَا يُفِضِي بِيَدِهِ إِلَى بَدَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَ كَانَ الْعَبَّاسُ وَ ابْنَاهُ الْفَضْلُ وَ قُمْ يُسَاعِدُونَهُ عَلَى قَلْبِهِ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ

(١)

٣٦١٨

١٤- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ رَوَتْ عَائِشَةُ أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي غُسْلِهِ هَلْ يُجْرَدُ (٢) أَمْ لَا فَأَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِمُ السَّنَةَ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَ ذَقَّنَهُ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُتَكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لَا يُدْرَى مَنْ هُوَ غَسَلُوا النَّبِيَّ وَ عَلَيْهِ ثِيَابُهُ فَقَامُوا إِلَيْهِ فَعَسَلُوهُ وَ عَلَيْهِ قَمِيصُهُ فَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا عَسَلَهُ إِلَّا نِسَاؤُهُ

(٣)

قلت حضرت عند محمد بن معد العلوي في داره ببغداد و عنده حسن بن معالي الحلبي المعروف بابن الباقلاوي و هما يقرءان هذا الخبر و هذه الأحاديث من تاريخ الطبري فقال محمد بن معد لحسن بن معالي ما تراها قصدت بهذا القول قال حسدت أباك علي ما كان يفتخر به من غسل رسول الله ص فضحك محمد فقال هبها استطاعت أن تراحمه في الغسل هل تستطيع أن تراحمه في غيره من خصائصه.

٣٦١٩

١٤- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ ثُمَّ كَفَّنَ صَ فِي ثَلَاثَةِ أَنْوَابٍ ثَوْبَيْنِ صِيحَارِيِّينِ (٤) وَ بُرْدٍ حَبْرِيٍّ (٥) أُدْرَجَ (٦) فِيهَا إِدْرَاجًا وَ لُحِدَ لَهُ عَلَى عَادَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْهُ وَضَعُوهُ عَلَى سَرِيرِهِ (٧).

ص: ٣٨

١- (١) تاريخ الطبري ١٨٣٣، ١٨٣٠: ١.

٢- (٢) الطبري: «انجرد».

٣- (٣) تاريخ الطبري ١٨٣١: ١.

٤- (٤) صحاريان: منسوبان إلى صحار، قريه باليمن.

٥- (٥) حبره بوزن عنبه، أي مخطط، و هو برد يمان أيضا على الوصف أو الإضافة.

٦-٦) أى لفّ فيه.

٧-٧) تاريخ الطبرى ١:١٨٣١.

وَ اِخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ فَقَالَ قَائِلٌ نَدَفْنُهُ فِي مَسْجِدِهِ وَقَالَ قَائِلٌ نَدَفْنُهُ فِي الْبَقِيعِ مَعَ أَصْحَابِهِ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا وَ دُفِنَ حَيْثُ قُبِضَ فَرَأَشُ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي تُؤْفَى فِيهِ فَحُفِرَ لَهُ تَحْتَهُ

قلت كيف اختلفوا في موضع دفنه و

٣٦٢٠

قَدْ قَالَ لَهُمْ فَضَعُونِي عَلَى سَرِيرِي فِي بَيْتِي هَذَا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِي.

و هذا تصريح بأنه يدفن في البيت الذي جمعهم فيه و هو بيت عائشه فيما أن يكون ذلك الخبر غير صحيح أو يكون الحديث الذي تضمن أنهم اختلفوا في موضع دفنه و أن أبا بكر روى لهم أنه قال الأنبياء يدفنون حيث يموتون غير صحيح لأن الجمع بين هذين الخبرين لا يمكن.

و أيضا فهذا الخبر يتنافى ما ورد في موت جماعه من الأنبياء نقلوا من موضع موتهم إلى مواضع آخر و قد ذكر الطبري بعضهم في أخبار أنبياء بنى إسرائيل .

و أيضا فلو صح هذا الخبر لم يكن مقتضيا إيجاب دفن النبي ص حيث قبض لأنه ليس بأمر بل هو إخبار محض اللهم إلا أن يكونوا فهموا من مخرج لفظه ع و من مقصده أنه أراد الوصيه لهم بذلك و الأمر بدفنه حيث يقبض.

٣٦٢١

١٤- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ دَخَلَ (١) النَّاسُ فَصَلُّوا عَلَيْهِ أَرْسَالًا حَتَّى إِذَا فَرَغَ الرَّجَالُ أُدْخِلَ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ النِّسَاءُ أُدْخِلَ الصِّبْيَانَ ثُمَّ أُدْخِلَ الْعَبِيدَ وَ لَمْ يَوْمَهُمْ (٢) إِمَامٌ ثُمَّ دُفِنَ ع وَسَطَ اللَّيْلِ مِنْ لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ (٣) .

٣٦٢٢

١٤- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَقَدْ رَوَتْ عَمْرَهُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَسِيدٍ بْنِ زُرَّارَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَا عَلِمْنَا بِدَفْنِ رَسُولِ اللَّهِ ص حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتَ الْمَسَاحِي فِي جَوْفِ اللَّيْلِ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ

(٤)

- ١-١ الطبري: «و دخل».
- ٢-٢ الطبري: «و لم يؤم الناس».
- ٣-٣ تاريخ الطبري ١:١٨٣٢.
- ٤-٤ تاريخ الطبري ٣:١٨٤٤.

قلت و هذا أيضا من العجائب لأنه إذا مات يوم الإثنين وقت ارتفاع الضحى كما ذكر فى الروايه و دفن ليله الأربعاء وسط الليل فلم يمض عليه ثلاثه أيام كما ورد فى تلك الروايه.

و أيضا فمن العجب كون عائشه و هو فى بيتها لا تعلم بدفنه حتى سمعت صوت المساحى أ تراها أين كانت و قد سألت عن هذا جماعه فقالوا لعلها كانت فى بيت يجاور بيتها عندها نساء كما جرت عاده أهل الميت و تكون قد اعتزلت بيتها و سكنت ذلك البيت لأن بيتها مملوء بالرجال من أهل رسول الله ص و غيرهم من الصحابه و هذا قريب و يحتمل أن يكون.

٣٦٢٣

١٤١- قَالَ الطَّبْرِيُّ وَ نَزَلَ فِي قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ص عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ع وَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ وَ قُتَيْبُ أَخُوهُ وَ شُقْرَانُ مَوْلَاهُمَا وَ قَالَ أَوْسُ بْنُ خَوْلَى لِعَلِيِّ ع أَنْشُدْكَ اللَّهُ يَا عَلِيُّ وَ حَظَّنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالَ لَهُ أَنْزِلْ فَنَزَلَ مَعَ الْقَوْمِ وَ أَخَذَ شُقْرَانُ قَطِيفَهُ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَلْبَسُهَا فَقَذَفَهَا مَعَهُ فِي الْقَبْرِ وَ قَالَ لَا يَلْبَسُهَا أَحَدٌ بَعْدَهُ

(١)

قلت من تأمل هذه الأخبار علم أن عليا ع كان الأصل و الجملة و التفصيل فى أمر رسول الله ص و جهازه أ لا ترى أن أوس بن خولى لا يخاطب أحدا من الجماعه غيره و لا يسأل غيره فى حضور الغسل و النزول فى القبر ثم انظر إلى كرم على ع و سجاحه أخلاقه و طهاره شيمته كيف لم يضمن بمثل هذه المقامات الشريفه عن أوس و هو رجل غريب من الأنصار فعرف له حقه و أطلبه (٢) بما طلبه فكم بين هذه السجيه الشريفه و بين قول من قال لو استقبلت من أمرى ما استدبرت

ص: ٤٠

١-١ (١) تاريخ الطبرى ١: ١٨٣٣.

٢-٢ (٢) أطلبه: أجابه إلى ما طلب.

ما غسل رسول الله ص إلا- نساؤه و لو كان فى ذلك المقام غيره من أولى الطباع الخسنة و أرباب الفظاظه و الغلظه و قد سأل أوس ذلك لزجر و انتهر و رجع خائباً.

٣٦٢٤

١٤- قال الطبري و كان المغيرة بن شعبه يدعى أنه أخذت الناس عهداً برسول الله ص و يقول للناس إننى أخذت خاتمي فألقيته فى القبر و قلت إن خاتمي قد سقط مني و إنما طرخته عمداً لأمس رسول الله ص فأكون آخر الناس به عهداً (١)

٣٦٢٥

١٤،١- قال الطبري فروى عبيد الله بن الحارث بن نوفل قال اعتمرت مع علي بن أبي طالب ع فى زمان عمر أو عثمان فنزل على أخته أم هانئ بنت أبي طالب فلما فرغ من عمرته رجع و قد سكب له غسل فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق فقالوا يا أبا الحسن جئناك نسألك عن أمر نحب أن نخبرنا به فقال أظن المغيرة يحدثكم- أنه أخذت الناس عهداً برسول الله ص قالوا أجل عن ذا جئنا نسألك قال كذب أخذت الناس عهداً برسول الله ص قثم بن العباس كان آخرنا خروجا من قبره

(٢)

قلت بحق ما عاب أصحابنا رحمهم الله المغيرة و ذموه و انتقصوه فإنه كان على طريقه غير محموده و أبى الله إلا أن يكون كاذبا على كل حال لأنه إن لم يكن أحدثهم بالنبي عهدا فقد كذب فى دعواه أنه أحدثهم به عهدا و إن كان أحدثهم به عهدا كما يزعم فقد اعترف بأنه كذب فى قوله لهم سقط خاتمي مني و إنما ألقاه عمدا و أين المغيرة و رسول الله ص ليدعى القرب منه و أنه أحدث الناس عهدا به

ص: ٤١

١-١ (١) تاريخ الطبري ١: ١٨٣٣.

٢-٢ (٢) تاريخ الطبري ١، ١٨٣٤، ١: ١٨٣٣.

وقد علم الله تعالى و المسلمون أنه لو لا الحدث الذي أحدث و القوم الذين صحبهم فقتلهم غدرا و اتخذ أموالهم ثم التجأ إلى رسول الله ص ليعصمه لم يسلم و لا وطئ حصا المدينة .

٣٦٢٦

١٤- قَالَ الطَّبْرِيُّ وَ قَدْ اخْتَلَفَ فِي سِنِّ رَسُولِ اللَّهِ ص فَأَلَا كَثُرُونَ أَنَّهُ كَانَ ابْنَ ثَلَاثٍ وَ سِتِّينَ سِنَهُ وَ قَالَ قَوْمُ ابْنِ حَمْسٍ وَ سِتِّينَ سَنَةً وَ قَالَ قَوْمُ ابْنِ سِتِّينَ .

فهذا ما ذكره الطبري في تاريخه (١).

٣٦٢٧

١٤,١- وَ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ فِي أَمَالِيهِ قَالَ تَوَلَّى غُسْلَ النَّبِيِّ ص عَلِيُّ ع وَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَ كَانَ عَلِيُّ ع يَقُولُ بَعِيدَ ذَلِكَ مَا شَمِمْتُ أَطِيبَ مِنْ رِيحِهِ وَ لَا- رَأَيْتُ أَضْوَأَ مِنْ وَجْهِهِ حِينَئِذٍ وَ لَمْ أَرَهُ يَعْتَادُ فَاهُ مَا يَعْتَادُ أَفْوَاهُ الْمَوْتَى قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ فَلَمَّا كَشَفَ الْإِزَارَ عَنْ وَجْهِهِ بَعِيدَ غُسْلِهِ انْحَنَى عَلَيْهِ فَاقْبَلَهُ مَرَاراً وَ بَكَى طَوِيلًا وَ قَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَ طِبْتَ مَيِّتًا انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ أَحَدٍ سِوَاكَ مِنَ النَّبِيِّ وَ الْأَنْبِيَاءِ وَ أَخْبَارِ السَّمَاءِ خُصِّصْتَ حَتَّى صَارَتْ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ وَ عُمِّمْتَ حَتَّى صَارَتْ الْمُصَيَّبَةُ فِيكَ سِوَاءً وَ لَوْ لَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ وَ نَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ لَأَنْفَذْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّنُونِ وَ لَكِنْ أَتَى مَا لَا يُدْفَعُ أَشْكَو إِلَيْكَ كَمَدًا وَ إِذْبَارًا مُخَالَفِينَ وَ دَاءَ الْفِتْنَةِ فَإِنَّهَا قَدْ اسْتَعَرَّتْ نَارَهَا وَ دَاوَهَا الدَّاءُ الْأَعْظَمُ بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَ اجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ وَ هَمِّكَ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى قَدَاهِ فِي عَيْنِهِ فَلَفَظَهَا بِلِسَانِهِ ثُمَّ رَدَّ الْإِزَارَ عَلَى وَجْهِهِ .

ص: ٤٢

(١-١) تاريخ الطبري ١٨٣٥، ١٨٣٤: ١.

وَ قَدْ رَوَى كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ نُدْبَهُ فَاطِمَةَ عَ أَبَاهَا يَوْمَ مَوْتِهِ وَ بَعِيدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَ هِيَ أَلْفَاظٌ مَعْدُودَةٌ مَشْهُورَةٌ مِنْهَا يَا أَبَتَاهُ جَنَّةَ الْخُلْدِ
مَثْوَاهُ يَا أَبَتَاهُ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَأْوَاهُ يَا أَبَتَاهُ كَانَ جَبْرَائِيلُ يَعْشَاهُ يَا أَبَتَاهُ لَسْتُ بَعْدَ الْيَوْمِ أَرَاهُ.

و من الناس من يذكر أنها كانت تشوب هذه الندبه بنوع من التظلم و التألم لأمر يغلبها و الله أعلم بصحة ذلك

١٥- وَ الشَّيْعَةُ تَزْوِي أَنَّ قَوْمًا مِنَ الصَّحَابَةِ أَنْكَرُوا بُكَاءَ هِيَ الطَّوِيلِ وَ نَهَوْهَا عَنْهُ وَ أَمَرُوهَا بِالتَّنْحِي عَنْ مُجَاوَرَةِ الْمَسْجِدِ إِلَى طَرَفٍ
مِنْ أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ .

و أنا أستبعد ذلك و الحديث يدخله الزيادة و النقصان و يتطرق إليه التحريف و الافتعال و لا أقول أنا في أعلام المهاجرين إلا
خيرا

الْحَمِيدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ وَلَا تَرَاهُ النَّوَاطِرُ وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ الدَّالُّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ وَ
بِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ وَ بِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ وَ ارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ وَ قَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ وَ
عَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَرْزَلِيَّتِهِ وَ بِمَا وَسَّيَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ وَ بِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ
عَلَى دَوَامِهِ وَاحِدٌ لَا يَبْعُدُ وَ دَائِمٌ لَا يَأْمِدُ وَ قَائِمٌ لَا يَعْزُبُ تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعَرِهِ وَ تَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَا بِمُحَاضَرِهِ لَمْ تُحِطْ بِهِ
الْأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا وَ بِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا وَ إِلَيْهَا حَاكَمَهَا لَيْسَ بِعِذَى كَبِيرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النَّهَائِيَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجَسَّيماً وَ لَا بِدِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ
بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجَسَّيماً بِلْ كَبِيرٍ شَأْنًا وَ عَظَمَ سُلْطَانًا وَ أَشْهَدَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ الصَّفِيُّ وَ أَمِينُهُ الرَّضِيُّ صَّ أَرْسَلَهُ
بِوُجُوبِ الْحُجُجِ وَ ظُهُورِ الْفَلَاحِ وَ إِضْاحِ الْمُنْهَجِ فَلَبَّغَ الرَّسَالَهَ صَادِعًا بِهَا وَ حَمَلَ عَلَى الْمَحْجَهِ دَالًا عَلَيْهَا وَ أَقَامَ أَعْلَامَ الْإِهْتِدَاءِ وَ
مَنَارَ الضِّيَاءِ وَ جَعَلَ أَمْرَاسَ الْإِسْلَامِ مَتِينَةً وَ عُرَا الْإِيمَانِ وَثِقَةً .

هاهنا يريد بها الحواس و سماها شواهد إمّا لحضورها شهد فلان كذا أى حضره أو لأنها تشهد على ما تدركه و تثبته عند العقل كما يشهد الشاهد بالشىء و يثبته عند الحاكم.

و المَشَاهِد هاهنا المجالس و النوادى يقال حضرت مشهد بنى فلان أى ناديتهم و مجتمعهم.

ثم فسر اللفظه الأولى و أبان عن مراده بها بقوله وَ لَا تَرَاهُ النَّوَاطِرُ و فسر اللفظه الثانيه و أبان عن مرادها فقال وَ لَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ .

ثم قال الدال على قدمه بحدوث خلقه و بحدوث خلقه على وجوده هذا مشكل لأن لقائل أن يقول إذا دل على قدمه بحدوث خلقه فقد دخل فى جملة المدلول كونه موجودا لأن القديم هو الموجود و لم يزل فأى حاجه إلى أن يعود فيقول و بحدوث خلقه على وجوده.

و لمجيب أن يجيب على طريقه شيوخنا أصحاب أبى هاشم فيقول لا- يلزم من الاستدلال بحدوث الأجسام على أنه لا بدّ من محدث قديم كونه موجودا لأن عندهم أن الذات المعدومه قد تتصف بصفات ذاتيه و هى معدومه فلا يلزم من كون صانع العالم عندهم عالما قادرا حيا أن يكون موجودا بل لا بدّ من دلالة زائده على أن له صفه الوجود و هى و الدلاله التى يذكرونها من أن كونه قادرا عالما تقتضى تعلقه بالمقدور و المعلوم و كل ذات متعلقه فإن عدمها يخرجها عن التعلق كالإراده فلو كان تعالى معدوما لم يجز أن يكون متعلقا فحدوث الأجسام إذا قد دل على أمرين من وجهين مختلفين أحدهما أنه لا بدّ من صانع له و هذا هو المعنى بقدمه.

و الثاني أن هذا الصانع له صفه لأجلها يصحّ على ذاته أن تكون قادره عالمه و هذا هو المعنى بوجوده.

فإن قلت أ يقول أصحاب شيخكم أبي هاشم إن الذات المعدومه التي لا أول لها تسمى قديمه قلت لا و البحث في هذا بحث في اللفظ لا في المعنى.

و المراد بقوله ع الدال بحدوث الأشياء على قدمه أى على كونه ذاتا لم يجعلها جاعل و ليس المراد بالقدم هاهنا الوجود لم يزل بل مجرد الذاتيه لم يزل.

ثم يستدل بعد ذلك بحدوث الأشياء على أن له صفه أخرى لم تزل زائده على مجرد الذاتيه و تلك الصفه هي وجوده فقد اتضح المراد الآن.

فإن قلت فهل لهذا الكلام مساغ على مذهب البغداديين قلت نعم إذا حمل على منهج التأويل بأن يريد بقوله و بحدوث خلقه على وجوده أى على صحه إيجاده له فيما بعد أى إعادته بعد العدم يوم القيامة لأنه إذا صح منه تعالى إحداثه ابتداء صح منه إيجاده ثانيا على وجه الإعادة لأن الماهيه قابله للوجود و العدم و القادر قادر لذاته فأما من روى بحدوث خلقه على وجوده فإنه قد سقطت عنه هذه الكلف كلها و المعنى على هذا ظاهر لأنه تعالى دل المكلفين بحدوث خلقه على أنه جواد منعم و مذهب أكثر المتكلمين أنه خلق العالم جودا و إنعاما و إحسانا إليهم .

قوله ع و باشتباههم على أن لا شبه له هذا دليل صحيح و ذلك لأنه إذا ثبت أن جسما ما محدث ثبت أن سائر الأجسام محدثه لأن الأجسام متماثله و كل ما صح على الشئ صح على مثله و كذلك إذا ثبت أن سوادا ما أو بياضا ما محدث ثبت أن سائر السوادات و البياضات محدثه لأن حكم الشئ حكم مثله و السواد فى معنى

كونه سوادا غير مختلف و كذلك البياض فصارت الدلاله هكذا الذوات التي عندنا يشبه بعضها بعضا و هي محدثه فلو كان البارى سبحانه يشبه شيئا منها لكان مثلها و لكان محدثا لأن حكم الشيء حكم مثله لكنه تعالى ليس بمحدث فليس بمشابه لشيء منها فقد صح إذا قوله ع و باشتباههم على أن لا شبه له .

قوله ع الذى صدق فى ميعاده لا يجوز ألا يصدق لأن الكذب قبيح عقلا و البارى تعالى يستحيل منه من جهة الداعى و الصارف أن يفعل القبيح.

قوله ع و ارتفع عن ظلم عباده هذا هو مذهب أصحابنا المعتزله و عن أمير المؤمنين ع أخذوه و هو أستاذهم و شيخهم فى العدل و التوحيد فأما الأشعرية فإنها و إن كانت تمتنع عن إطلاق القول بأن الله تعالى يظلم العباد إلا أنها تعطى المعنى فى الحقيقة لأن الله عندهم يكلف العباد ما لا يطيقونه بل هو سبحانه عندهم لا يكلفهم إلا ما لا يطيقونه بل هو سبحانه عندهم لا يقدر على أن يكلفهم ما يطيقونه و ذلك لأن قدره عندهم مع الفعل فالقاعده غير قادر على القيام و إنما يكون قادرا على القيام عند حصول القيام و يستحيل عندهم أن يوصف البارى تعالى بإقدار العبد القاعد على القيام و هو مع ذلك مكلف له أن يقوم و هذا غاية ما يكون من الظلم سواء أطلقوا هذه اللفظه عليه أو لم يطلقوها .

ثم أعاد الكلام الأول فى التوحيد تأكيدا فقال حدوث الأشياء دليل على قدمه و كونها عاجزه عن كثير من الأفعال دليل على قدرته و كونها فانيه دليل على بقاءه.

فإن قلت أما الاستدلال بحدوث الأشياء على قدمه فمعلوم فكيف يكون الاستدلال على الأمرين الأخيرين

قلت إذا شاركه سبحانه بعض الموجودات في كونه موجودا و افترقا في أن أحدهما لا- يصحّ منه فعل الجسم و لا الكون و لا الحياه و لا- الوجود المحدث و يصحّ ذلك من الموجودات القديمه دل على افتراقهما في أمر لأجله صح من القديم ذلك و تعذر ذلك على المحدث و ذلك الأمر هو الذى يسمى من كان عليه قادرا و ينبغى أن تحمل لفظه العجز هاهنا على المفهوم اللغوى و هو تعذر الإيجاد لا على المفهوم الكلامى.

و أمّا الاستدلال الثانى فينبغى أن يحمل الفناء هاهنا على المفهوم اللغوى و هو تغير الصفات و زوالها لا على المفهوم الكلامى فيصير تقدير الكلام لما كانت الأشياء التى بيننا تتغير و تتحول و تنتقل من حال إلى حال و علمنا أن العله المصحّحه لذلك كونها محدثه علمنا أنه سبحانه لا يصحّ عليه التنقل و التغير لأنه ليس بمحدث ثمّ قال واحد لا بعدد لأن وحدته ذاتيه و ليست صفه زائده عليه و هذا من الأبحاث الدقيقه فى علم الحكمه و ليس هذا الكتاب موضوعا لبسط القول فى أمثاله.

ثمّ قال دائم لا بأمّد لأنه تعالى ليس بزمانى و داخل تحت الحركة و الزمان و هذا أيضا من دقائق العلم الإلهى و العرب دون أن تفهم هذا أو تنطق به و لكن هذا الرجل كان ممنوحا من الله تعالى بالفيض المقدس و الأنوار الربانيه.

ثمّ قال قائم لا بعمد لأنه لما كان فى الشاهد كل قائم فله عماد يعتمد عليه أبان ع تنزيهه تعالى عن المكان و عما يتوهمه الجهلاء من أنه مستقر على عرشه بهذه اللفظه و معنى القائم هاهنا ليس ما يسبق إلى الذهن من أنه المنتصب بل ما تفهمه من قولك فلان قائم بتدبير البلد و قائم بالقسط .

ثمّ قال تتلقاه الأذهان لا بمشاعره أى تتلقاه تلقيا عقليا ليس كما يتلقى الجسم الجسم بمشاعره و حواسه و جوارحه و ذلك لأن تعقل الأشياء و هو حصول صورها

فى العقل برئته من الماده و المراد بتلقيه سبحانه هاهنا تلقى صفاته لا تلقى ذاته تعالى لأن ذاته تعالى لا تتصورها العقول و سيأتى إيضاح أن هذا مذهبه ع.

ثم قال و تشهد له المرائى لا بِمُحَاضِرِهِ المرائى جمع مرئى و هو الشىء المدرك بالبصر يقول المرئيات تشهد بوجود البارى لأنه لو لا وجوده لما وجدت و لو لم توجد لم تكن مرئيات و هى شاهده بوجوده لا كشهادتها بوجود الأبصار لأنها شهدت بوجود الأبصار لحضورها فيها و أمّا شهادتها بوجود البارى فليست بهذه الطريق بل بما ذكرناه و الأولى أن يكون المرائى هاهنا جمع مرآه بفتح الميم من قولهم هو حسن فى مرآه عينى يقول إن جنس الرؤيه يشهد بوجود البارى من غير محاضره منه للحواس .

قوله ع لم تحط به الأوهام إلى قوله ع و إليها حاكمها هذا الكلام دقيق و لطيف و الأوهام هاهنا هى العقول يقول إنه سبحانه لم تحط به العقول أى لم تتصور كنه ذاته و لكنه تجلى للعقول بالعقول و تجليه هاهنا هو كشف ما يمكن أن تصل إليه العقول من صفاته الإضافيه و السلبيه لا غير و كشف ما يمكن أن تصل إليه العقول من أسرار مخلوقاته فأما غير ذلك فلا و ذلك لأن البحث النظرى قد دل على أنا لم نعلم منه سبحانه إلاّ الإضافه و السلب أما الإضافه فكقولنا عالم قادر و أمّا السلب فكقولنا ليس بجسم و لا- عرض و لا- يرى فأما حقيقه الذات المقدسه المخصوصه من حيث هى هى فإن العقل لا يتصورها و هذا مذهب الحكماء و بعض المتكلمين من أصحابنا و من غيرهم.

ثم قال و بالعقول امتنع من العقول أى و بالعقول و بالنظر علمنا أنه تعالى يمتنع أن تدركه العقول.

ثم قال و إلى العقول حكم العقول أى جعل العقول المدعيه أنها أحاطت

به و أدركته كالخصم له سبحانه ثم حاكمها إلى العقول السليمه الصحيحه النظر فحكمت له سبحانه على العقول المدعيه لما ليست أهلا له.

و اعلم أن القول بالحيره فى جلال ذات البارى و الوقوف عند حدّ محدود لا يتجاوزة العقل قول ما زال فضلاء العقلاء قائلين به

من أشعار الشارح فى المناجاة

و من شعرى الذى أسلك فيه مسلك المناجاة عند خلواتى و انقطاعى بالقلب إليه سبحانه قولى و الله لا موسى و لا عيسى المسيح

ص: ٥٠

و مما قلته أيضا في قصور العقل عن معرفته سبحانه و تعالى فيك يا أعجوبة الكون و لى في هذا المعنى فيك يا أغلوطه الفكر

و قلت أيضا في المعنى أفنيت خمسين عاما معملا نظرى

و لى أيضا حبيبي أنت لا زيد و عمرو

ص: ٥١

فهل بعد الممات بك اتصال

و من شعرى أيضا فى المعنى و كنت أنادى به ليلا فى مواضع مقفره خاليه من الناس بصوت رفيع و أجدح قلبى أيام كنت مالكا
أمرى مطلقا من قيود الأهل و الولد و علائق الدنيا يا مدهش الألباب و الفطن

ص: ٥٢

و الكل أنت فكيف يدركه

بعض و أنت السر فى العلن.

و ممّا قلته فى المعنى ناجيته و دعوته اكشف عن عشا أعجبنى هذا المعنى فنقلته إلى لفظ آخر فقلت حبيبي أنت من دون البرايا

و لى فى هذا المعنى أيضا قد حار فى النفس جميع الورى

و لى أيضا فى الرد على الفلاسفه الذين عللوا حركه الفلك بأنه أراد استخراج الوضع أولا ليتشبه بالعقل المجرد فى كماله و أن

كل ما له بالقوه فهو خارج إلى الفعل تحير أرباب النهى و تعجبوا

ص: ٥٣

وقيل لمن قال اختيارا فما الذى

ولى أيضا فى الرد على من زعم أن النبى ص رأى الله سبحانه بالعين و هو الذى أنكرته عائشه و العجب لقوم من أرباب النظر جهلوا ما أدركته امرأه من نساء العرب عجبت لقوم يزعمون نبينهم

و المقطعات التى نظمتها فى إجلال البارى سبحانه عن أن تحيط به العقول كثيره موجوده فى كتبي و مصنفاتي فلتلمح من مظانها و غرضنا بإيراد بعضها أن لها هنا تشيدا لما قاله أمير المؤمنين ع على فى هذا الباب .

قوله ع ليس بذى كبر إلى قوله و عظم سلطانا معناه أنه تعالى يطلق عليه من أسمائه الكبير و العظيم و قد ورد بهما القرآن العزيز و ليس المراد بهما ما يستعمله الجمهور من قولهم هذا الجسم أعظم و أكبر مقدارا من هذا الجسم بل المراد عظم شأنه و جلاله سلطانه .

و الفلج النصره و أصله سكون العين و إنما حركه ليوازن بين الألفاظ و ذلك

ص: ٥٤

لأن الماضي منه فلج الرجل على خصمه بالفتح و مصدره الفلج بالسكون فأما من روى و ظهور الفلج بضمين فقد سقط عنه التأويل لأن الاسم من هذا اللفظ الفلج بضم أول الكلمه فإذا استعملها الكاتب أو الخطيب جاز له ضم الحرف الثاني.

و صادعا بهما مظهرا مجاهدا و أصله الشق.

و الأمراس الحبال و الواحد مرس بفتح الميم و الراء مِنْهَا فِي صِفِهِ [عَجِيب]

خَلَقَ أَصْنَافٍ مِنَ الْحَيَوَانَ:

و لَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَ جَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ وَ خَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ وَ لَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلَيْهِ وَ الْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ أَلَّا يَنْظُرُونَ إِلَى صَيِّغِ مَيَّا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ وَ أَتَقَنَ تَرْكِيْبَهُ وَ فَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَ الْبَصِيْرَ وَ سَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَ الْبَشَرَ أَنْظَرُوا إِلَى النَّمْلِ فِي صِيْغِ غَرِّ جُنَّتِهَا وَ لَطَافِهِ هَيْبَتِهَا لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَخْظِ الْبَصِيْرِ وَ لَا بِمُسِيْتَدْرِكِ الْفِكْرِ كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا وَ صُبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا وَ تُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبُرْدِهَا وَ فِي وَرْدِهَا لِصَدْرِهَا مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا مَرْزُوقَةٌ بِوَفْقِهَا لَا يُغْفَلُهَا الْمَنَانُ وَ لَا يَحْرِمُهَا الدِّيَانُ وَ لَوْ فِي الصِّفَا الْيَابِسِ وَ الْحَجْرِ الْجَامِسِ وَ لَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا [و]

فِي عُلوِّهَا وَ سُفْلِهَا وَ مَيَّا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَّاسِيْفِ بَطْنِهَا وَ مَيَّا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَ أُذُنِهَا لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا وَ لَقِيْتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًا

فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ وَلَمْ يُعْنَهُ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ وَ لَوْ ضَرَبْتَ فِي مِزَاجِهَا فِكْرَكَ لَتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلِ لِذَيْقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ وَ غَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ وَ مِا الْجَلِيلِ وَ اللَّطِيفِ وَ الثَّقِيلِ وَ الْخَفِيفِ وَ الْقَوِيِّ وَ الضَّعِيفِ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءً وَ كَذَلِكَ السَّمَاءِ وَ الْهَوَاءِ وَ الرِّيَّاحِ وَ الْمَاءِ فَانظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ النَّبَاتِ وَ الشَّجَرِ وَ الْمَاءِ وَ الْحَجَرِ وَ اخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ تَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ وَ كَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ وَ طُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ وَ تَفَرُّقِ هَذِهِ اللَّغَاتِ وَ الْأَلْسِنِ الْمُخْتَلِفَاتِ فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدَّرَ وَ جَحَدَ الْمُدَبِّرَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ وَ لَا لِاخْتِلَافِ صُورِهِمْ صَانِعٌ وَ لَمْ يَلْجِئُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا وَ لَا تَحْقِيقٍ لِمَا [دَعَوْا]

أَوْعَوْا وَ هَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ .

مدخوله

معيبه و فلق شق و خلق و البشر ظاهر الجلد .

قوله ع و صِيَّبَتْ عَلَى رِزْقِهَا قِيلَ هُوَ عَلَى الْعَكْسِ أَيْ وَ صَبَّ رِزْقُهَا عَلَيْهَا وَ الْكَلَامُ صَحِيحٌ وَ لَا حَاجَةَ فِيهِ إِلَى هَذَا وَ الْمُرَادُ كَيْفَ هَمَّتْ حَتَّى انصَبَتْ عَلَى رِزْقِهَا انصباباً أَيْ انحطت عليه و يروى و ضنت على رِزْقِهَا بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ وَ النَّونُ أَيْ بَخَلَتْ وَ جَحَرَهَا بَيْتُهَا .

ص: ٥٦

قوله ع و فى وِرْدِهَا لَصِيدِهَا أى تجمع فى أَيَّام التمكن من الحركة لأَيَّام العجز عنها و ذلك لأن النمل يظهر صيفا و يخفى فى شدة الشتاء لعجزه عن ملاقاته البرد .

قوله ع رزقها وفقها (١) أى بقدر كفايتها و يروى مكفول برزقها مرزوقه بوقفها .

و الْمَنَّانُ من أسماء الله تعالى العائد إلى صفاته الفعلية أى هو كثير المن و الإنعام على عباده.

و الديان المجازى للعباد على أفعالهم قال تعالى إِنَّا لَمَعِدُونَ (٢) أى مجزيون و الحجر الجامس الجامد و الشراسيف أطراف الأضلاع المشرفة على البطن

فصل فى ذكر أحوال الذره و عجائب النمله

و اعلم أن شيخنا أبا عثمان قد أورد فى كتاب الحيوان فى باب النمله و الذره و هى الصغيره جدا من النمل كلاما يصلح أن يكون كلام أمير المؤمنين ع أصله و لكن أبا عثمان قد فرع عليه قال الذره تدخر فى الصيف للشتاء و تتقدم فى حال المهله و لا تضع أوقات إمكان الحزم ثم يبلغ من تفقدها و صحه تمييزها (٣) و النظر فى عواقب أمورها (٤) أنها تخاف على الحبوب التى ادخرتها للشتاء فى الصيف (٥) أن تعفن و تسوس فى

ص: ٥٧

١-١) كذا فى ا،ب؛ و ما ورد فى أصل النهج يوافق ما فى الروايه التاليه.

٢-٢) سورة الصافات ٥٣.

٣-٣) الحيوان: «و حسن خبرها».

٤-٤) الحيوان: «أمرها».

٥-٥) من الحيوان.

بطن الأرض فتخرجها إلى ظهرها لتشرها (١) و تعيد إليها جفوفها و يمر بها النسيم فينفى عنها اللخن و الفساد.

ثم ربما بل في الأكثر تختار ذلك العمل ليلا لأن ذلك أخفى و في القمر لأنها فيه أبصر فإن كان مكانها نديا و خافت أن تنبت الحبه نقرت موضع القطمير (٢) من وسطها لعلمها أنها من ذلك الموضع تنبت و ربما فلقت الحبه نصفين فأما إن كان الحب من حبّ الكزبره فإنها تفلقه أرباعاً لأن أنصاف حبّ الكزبره تنبت من بين جميع الحبوب فهي من هذا الوجه مجاوزه لفظنه جميع الحيوانات حتى ربما كانت في ذلك أحزم من كثير من الناس و لها مع لطافه شخصها و خفه وزنها في الشم و الاشترواح ما ليس لشيء فربما أكل الإنسان الجراد أو بعض ما يشبه الجراد فيسقط من يده الواحده أو صدر واحد و ليس بقربه ذره و لا له عهد بالذر في ذلك المنزل فلا يلبث أن تقبل ذره قاصده إلى تلك الجراده فترومها و تحاول نقلها و جرها إلى جحرها فإذا أعجزتها بعد أن تبلى عذرا مضت إلى جحرها راجعه فلا يلبث ذلك الإنسان أن يجدها قد أقبلت و خلفها كالخييط الأسود الممدود حتى يتعاون عليها فيحملنها فاعجب من صدق الشم لما لا يشمه الإنسان الجائع ثم انظر إلى بعد الهمة و الجراه على محاوله نقل شيء في وزن جسمها مائه مره و أكثر من مائه مره بل أضعاف أضعاف المائه و ليس شيء من الحيوان يحمل ما يكون أضعاف وزنه مرارا كثيره غيرها.

فإن قال قائل (٣) فمن أين علمتم أن التي حاولت نقل الجراده فعجزت هي التي أخبرت صواحباتها من الذر و أنها التي كانت على مقدمتهن قيل له لطول تجربته و لأننا لم نر قط ذره حاولت جر جراده فعجزت عنها ثم

ص: ٥٨

١-١) الحيوان: «لتيسها».

٢-٢) القطمير: شق النواه.

٣-٣) الحيوان: «فإن قلت».

رأيناها راجعه إلا- رأينا معها مثل ذلك و إن كنا لا نفصل في مرأى العين بينها و بين أخواتها فإنه ليس يقع في القلب غير الذى قلنا فدلنا ذلك على أنها فى رجوعها عن الجراده أنها إنما كانت لأشباهها كالزائد الذى لا يكذب أهله قال أبو عثمان و لا ينكر قولنا إن الذره توحى إلى أخواتها بما أشرنا إليه إلا من يكذب القرآن فإنه تعالى قال فى قصه سليمان **قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا (١)** فهل بعد هذا ريب أو شك فى أن لها قولاً و بياناً و تمييزاً.

فإن قلت فلعلها مكلفه و مأموره و منهيه و مطيعه و عاصيه قيل هذا سؤال جاهل و ذلك أنه لا يلزم أن يكون كل ذى حس و تمييز مكلفاً مأموراً منهيها مطيعاً عاصياً لأن الإنسان غير البالغ الحلم قد يحفظ القرآن و كثيراً من الآثار و ضررباً من الأخبار و يشتري و يبيع و يخدع الرجال و يسخر بالمعلمين و هو غير مكلف و لا مأمور و لا منهي و لا عاص و لا مطيع فلا يلزم ممّا قلناه فى الذره أن تكون مكلفه (٢).

قال أبو عثمان و من عجيب ما سمعته من أمر النملة ما حدّثنى به بعض المهندسين عن رجل معروف بصنعه الأسطربلات (٣) أنه أخرج طوقاً من صفر أو قال من حديد من الكير و قد أحماه فرمى به على الأرض ليبرد فاشتمل الطوق على نملة فأرادت أن تنفر يمينه فلقبها و هج النار فأخذت يسره فلقبها و هج النار فمضت قدما فكذاك فرجعت إلى خلفها فكذلك فرجعت إلى وسط الدائرة فوجدتها قد ماتت فى موضع رجل البركار (٤) من الدائرة و هذا من العجائب.

قال أبو عثمان و حدّثنى أبو عبيد الله الأفوه و ما كنت أقدم عليه فى زمانه من مشايخ

ص: ٥٩

١-١ (١) سورة النمل ١٩، ١٨.

٢-٢ (٢) الحيوان ٥: ٤ و ما بعدها.

٣-٣ (٣) الأسطربلات: جمع اسطربلاب، و هى آله يعرف بها الوقت، انظر شفاء الغليل للخفاجى: ٥١.

٤-٤ (٤) البركار: اسم لآله معروفه. قال صاحب شفاء الغليل: هو معرب «فرجار». و قال: إنه لم يرد فى شعر قديم.

المعتزله إلا- القليل قال قد كنت ألقى من الذر و النمل فى الرطب يكون عندى و فى الطعام عنتا كثيرا و ذلك لأننى كنت لا أستقدر النمله و لا الذره ثم وجدت الواحده منهما إذا وقعت فى قاروره بان أو زئبق أو خيرى فسد ذلك الدهن و زنج فقذرتها و نفرت منها و قلت أخلق بطبيعتها أن تكون فاسده خبيثه و كنت أرى لها عضا منكرا فأقول إنها من ذوات السموم و لو أن بدن النمله زيد فى أجزائه حتى يلحق ببدن العقرب ثم عضت إنسانا لكانت عضتها أضر عليه من لسعه العقرب.

قال فاتخذت عند ذلك لطعامى منمله و قيرتها و صببت فى خندقها الماء و وضعت سله الطعام على رأسها فغربت أياما أكشف رأس السله بعد ذلك و فيها ذر كثير و وجدت الماء فى الخندق على حاله فقلت عسى أن يكون بعض الصبيان أنزلها و أكل ممّا فيها و طال مكثها فى الأرض و قد دخلها الذر ثم أعيدت على تلك الحال و تكلمت فى ذلك و تعرفت الحال فيه فعرفت البراءه فى عذرهم و الصدق فى خبرهم فاشتد تعجبى و ذهبت بى الظنون و الخواطر كل مذهب فعزمت على أن أرصدها و أحرسها و أتثبت فى أمرى و أتعرف شأنى فإذا هى بعد أن رامت الخندق فامتنع عليها تركته جانبا و صعدت فى الحائط ثم مرت على جذع السقف فلما صارت محاذيه للسله أرسلت نفسها فقلت فى نفسى انظر كيف اهتدت إلى هذه الحيله و لم تعلم أنّها تبقى محصوره.

ثم قلت و ما عليها أن تبقى محصوره بل أى حصار على ذره و قد وجدت ما تشتهى.

قال أبو عثمان و من أعاجيب الذره أنّها لا تعرض لجعل و لا لجراده و لا لخنفساء و لا لبنت وردان ما لم يكن بها حبل أو عقر أو قطع رجل أو يد فإن وجدت بها من ذلك أدنى عله و ثبت عليها حتى لو أن حيه بها ضربه أو خرق أو خدش ثم كانت من

ثعابين مصر لوثب عليها الذر حتى يأكلها و لا تكاد الحيه تسلم من الذر إذا كان بها أدنى عقر.

قال أبو عثمان و قد عذب الله بالذر و النمل أمما و أمما و أخرج أهل قرى من قراهم و أهل دروب من دروبهم.

و حدّثني بعض من أصدق خبره قال سألت رجلا كان ينزل ببغداد في بعض الدروب التي في ناحيه باب الكوفه التي جلا أهلها عنها لغلبه النمل و الذر عليها فسألته عن ذلك فقال و ما تصنع بالحديث امض معي إلى داري التي أخرجني منها النمل قال فدخلتها معه فبعث غلامه فاشترى رءوسا من الرأسين ليتغذى بها فانتقلنا هربا من النمل في أكثر من عشرين مكانا ثم دعا بطست ضخمة و صب فيها ماء صالحا ثم فرق عظام الرءوس في الدار و معه غلمانة فكان كلما اسود منها عظم لكثرة النمل و اجتماعه عليه و ذلك في أسرع الأوقات أخذه الغلام ففرغه في الطست يعود ينثر به ما عليه في جوف الطست فما لبثنا مقدار ساعه من النهار حتى فاضت الطست نملا- فقال كم تظن أني فعلت مثل هذا قبل الجلاء طمعا في أن أقطع أصلها فلما رأيت عددها إمّا زائدا و إمّا ثابتا و جاءنا ما لا يصبر عليه أحد و لا يمكن معه مقام خرجت عنها.

قال أبو عثمان و عذب عمر بن هبيره سعيد بن عمرو الحرشي بأنواع العذاب فقييل له إن أردت ألا يفلح أبدا فمرهم فلينفخوا في دبره النمل ففعلوا فلم يفلح بعدها (1).

ص: ٦١

قال أبو عثمان و من الحيوان أجناس يشبه الإنسان فى العقل و الرويه و النظر فى العواقب و الفكر فى الأمور مثل النمل و الذر و الفأر و الجرذان و العنكبوت و النحل-إلا أن النحل لا يدخر من الطعام إلا جنسا واحدا و هو العسل (١).

قال و زعم البقطرى أنك لو أدخلت نمله فى حجر ذر لأكلتها حتى تأتي على عامتها و ذكر أنه قد جرب ذلك.

قال و زعم صاحب المنطق أن الضبع تأكل النمل أكلا ذريعا لأنها تأتي قريه النمل وقت اجتماع النمل على باب القريه فتلحس ذلك النمل كله بلسانها بشهوه شديده و إرادته قويه.

قال و ربما أفسدت الأرضه على أهل القري منازلهم و أكلت كل شىء لهم فلا تزال كذلك حتى ينشأ فى تلك القري النمل فيسلط الله عزّ و جلّ ذلك النمل على تلك الأرضه حتى تأتي على آخرها على أن النمل بعد ذلك سيكون له أذى إلا أنه دون أذى الأرضه بعيدا و ما أكثر ما يذهب النمل أيضا من تلك القري حتى يتم لأهلها السلامه من النوعين جميعا.

قال و قد زعم بعضهم أن تلك الأرضه بأعيانها تستحيل نملا و ليس فناؤها لأكل النمل لها و لكن الأرضه نفسها تستحيل نملا فعلى قدر ما يستحيل منها يرى الناس النقصان فى عددها و مضرتها على الأيام (٢).

قال أبو عثمان و كان ثمامه يرى أن الذر صغار النمل و نحن نراه نوعا آخر كالبقر و الجواميس.

قال و من أسباب هلاك النمل نبات أجنحته و قال الشاعر و إذا استوت للنمل أجنحه حتى يطير فقد دنا عطبه.

ص: ٦٢

١- (١) الحيوان ٣٤:٤.

٢- (٢) الحيوان ٣٤،٣٥:٤.

و كان فى كتاب عبد الحميد إلى أبى مسلم لو أراد الله بالنمله صلاحا لما أنبت لها جناحا فيقال إن أبى مسلم لما قرأ هذا الكلام فى أول الكتاب لم يتم قراءته و ألقاه فى النار و قال أخاف إن قرأته أن ينخب قلبى.

قال أبو عثمان و يقتل النمل بأن يصب فى أفواه بيوتها القطران و الكبريت الأصفر و أن يدس فى أفواهها الشعر على أنا قد جربنا ذلك فوجدناه باطلا.

فأما الحكماء فإنهم لا يثبتون للنمل شراسيف و لا أضلاعا و يجب إن صح قولهم أن يحمل كلام أمير المؤمنين ع على اعتقاد الجمهور و مخاطبه العرب بما تتخيله و تتوهمه حقا و كذلك لا يثبت الحكماء للنمل آذانا بارزه عن سطوح رءوسها و يجب إن صح ذلك أن نحمل كلام أمير المؤمنين ع على قوه الإحساس بالأصوات فإنه لا يمكن الحكماء إنكار وجود هذه القوه للنمل و لهذا إذا صيح عليهن هربن.

و يذكر الحكماء من عجائب النمل أشياء منها أنه لا جلد له و كذلك كل الحيوان المخرز.

و منها أنه لا يوجد فى صقلية نمل كبار أصلا.

و منها أن النمل بعضه ماش و بعضه طائر.

و منها أن حراقه النمل إذا أضيف إليها شىء من قشور البيض و ريش هدهد و علققت على العضد منعت من النوم قوله ع و لو ضربت فى مذاهب فكرك لتبلغ غاياته أى غايات فكرك و ضربت بمعنى سرت و المذاهب الطرق قال تعالى وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى

و هذا الكلام استعاره.

قال لو أمعت النظر لعلمت أن خالق النملة الحقيره هو خالق النخله الطويله لأن كل شىء من الأشياء تفصيل جسمه و هيئته تفصيل دقيق و اختلاف تلك الأجسام فى أشكالها و ألوانها و مقاديرها اختلاف غامض السبب فلا بدّ للكل من مدبر يحكم بذلك الاختلاف و يفعله على حسب ما يعلمه من المصلحه .

ثم قال و ما الجليل و الدقيق فى خلقه إلا سواء لأنه تعالى قادر لذاته لا يعجزه شىء من الممكنات .

ثم قال فانظر إلى الشمس و القمر إلى قوله و الألسن المختلفات هذا هو الاستدلال بإمكان الأعراض على ثبوت الصانع و الطرق إليه أربعة أحدها الاستدلال بحدوث الأجسام.

و الثانى الاستدلال بإمكان الأعراض و الأجسام.

و الثالث الاستدلال بحدوث الأعراض.

و الرابع الاستدلال بإمكان الأعراض.

و صوره الاستدلال هو أن كل جسم يقبل للجسميه المشتركه بينه و بين سائر الأجسام ما يقبله غيره من الأجسام فإذا اختلفت الأجسام فى الأعراض فلا بدّ من مخصص خصص هذا الجسم بهذا العرض دون أن يكون هذا العرض لجسم آخر و يكون لهذا الجسم عرض غير هذا العرض لأن الممكنات لا بدّ لها من مرجح يرجح أحد طرفيها على الآخر فهذا هو معنى قوله فانظر إلى الشمس و القمر و النبات و الشجر و الماء و الحجر و اختلاف هذا الليل و النهار و تفجر هذه البحار و كثره هذه الجبال و طول هذه القلال و تفرق هذه اللغات و الألسن المختلفات أى أنه يمكن أن تكون هيئه

ص: ٦٤

الشمس و ضوءها و مقدارها حاصلًا لجرم القمر و يمكن أن يكون النبات الذى لا ساق له شجرا و الشجر ذو الساق نباتا و يمكن أن يكون الماء صلبا و الحجر مائعا و يمكن أن يكون زمان الليل مضيئا و زمان النهار مظلما و يمكن ألا تكون هذه البحار متفجره بل تكون جبالا- و يمكن ألا تكون هذه الجبال الكبيره كبيره و يمكن ألا تكون هذه القلال طويله و كذلك القول فى اللغات و اختلافها و إذا كان كل هذا ممكنا فاختصاص الجسم المخصوص بالصفات و الأعراض و الصور المخصوصه لا يمكن أن يكون لمجرد الجسميه لتمائل الأجسام فيها فلا بدّ من أمر زائد و ذلك الأمر الزائد هو المعنى بقولنا صانع العالم .

ثمّ سفه آراء المعطله و قال إنهم لم يعتصموا بحجه و لم يحققوا ما وعوه أى لم يرتبوا العلوم الضروريه ترتيبا صحيحا يفضى بهم إلى النتيجة التى هى حقّ.

ثمّ أخذ فى الرد عليهم من طريق أخرى و هى دعوى الضروره و قد اعتمد عليها كثير من المتكلمين فقال نعلم ضروره أن البناء لا بدّ له من بان.

ثمّ قال و الجنايه لا- بدّ لها من جان و هذه كلمه ساقته إليها القرينه و المراد عموم الفعلية لا خصوص الجنايه أى مستحيل أن يكون الفعل من غير فاعل و الذين ادعوا الضروره فى هذه المسأله من المتكلمين استغنوا عن الطرق الأربع التى ذكرناها و أمير المؤمنين ع اعتمد أولا على طريق واحده ثمّ جنح ثانيا إلى دعوى الضروره و كلا الطريقتين صحيح و إن شئت قلت فى الجزأه
إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ وَ أَسْرَجَ لَهَا

حَدَقْتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ وَ جَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ وَ فَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ وَ جَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ وَ نَابَيْنِ بَيْهَمَا تَقْرِضُ وَ مِنْجَلَيْنِ بَيْهَمَا تَقْبِضُ يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ وَ لَا- يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا وَ لَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثُ فِي نَزَوَاتِهَا وَ تَقْضَى مِنْهُ شَهَوَاتِهَا وَ خَلَقَهَا كُلُّهُ لَا يُكُونُ إِضِياعًا مُسْتَدِقَّةً فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا وَ يُعْفِرُ لَهُ خُدًّا وَ وَجْهًا وَ يُلْقَى إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ [إِلَيْهِ]

سِلْمًا وَ ضَعْفًا وَ يُعْطَى لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَ خَوْفًا فَالطَّيْرُ مُسَيَّخَرُهُ لِأَمْرِهِ أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَ النَّفْسِ وَ أَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى وَ النَّبَسِ وَ قَدَّرَ أَقْوَانَهَا وَ أَحْصَى أَجْنَاسَهَا فَهَذَا غُرَابٌ وَ هَذَا عُقَابٌ وَ هَذَا حَمَامٌ وَ هَذَا نَعَامٌ دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ وَ كَفَلَ لَهُ بَرزُقِهِ وَ أَنْشَأَ السَّحَابَ الثَّقَالَ فَأَهْطَلَ دَيْمَهَا وَ عَدَّدَ قِسَمَهَا فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا وَ أَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا .

قوله و أسرج لها حدقتين أى جعلهما مضيئتين كما يضيء السراج و يقال حدقه قمرأى أى منيره كما يقال ليله قمرأى أى نيره بضوء القمر.

و بهما تقرض أى تقطع و الرأى مكسوره.

و المنجلان رجلاهما شبههما بالمنجل لعوجهما و خشونتهما .

و يرهبا يخافها و نزواتها وثباتها و الجذب المحل

قال شيخنا أبو عثمان في كتاب الحيوان من عجائب الجراده التماسها لبيضها الموضع الصلد و الصخور الملس ثقه منها أنّها إذا ضربت بأذنانها فيها انفرجت لها و معلوم أن ذنب الجراده ليس في خلقه المنشار (١) و لا طرف ذنبه كحد السنان و لا لها من قوه الأسر و لا لذنبها من الصلابه ما إذا اعتمدت به على الكديه (٢) خرج (٣) فيها كيف و هى تتعدى إلى ما هو أصلب من ذلك و ليس فى طرفها كإبره العقرب و على أن العقرب ليس تخرق القمقم (٤) من جهد الأيد و قوه البدن بل إنّما ينفرج لها بطبع مجعول هناك و كذاك انفراج الصخور لأذنان الجراد.

و لو أن عقابا أرادت أن تخرق جلد الجاموس لما انخرق لها إلا بالتكلف الشديد و العقاب هى التى تنكدر (٥) على الذئب الأطلس (٦) فتقد بدابرتها ما بين صلاه إلى موضع الكاهل (٧).

فإذا غرزت (٨) الجراده و ألقت بيضها و انضمت عليها تلك الأحاديث التى هى أحدثها و صارت كأفاحيص لها صارت حاضنه لها و مريبه و حافظه و صائنه و واقيه حتى إذا جاء وقت ديب الروح فيها حدث عجب آخر و ذلك لأنه يخرج من بيضه

ص: ٦٧

١- ١) فى الحيوان: «المسما».

٢- ٢) الكديه: الصفاه العظيمه. و فى الحيوان: «الكديه و الكذانه»، واحده الكذان؛ و هى حجاره كأنها المدر فيها رخاوه.

٣- ٣) فى الحيوان: «جرح».

٤- ٤) القمقم: ما يسخن فيه الماء من نحاس و غيره، و يكون ضيق الرأس.

٥- ٥) تنكدر: تنقضّ.

٦- ٦) من الحيوان.

٧- ٧) تقدّ: تقطع. و الدابره: الإصبع التى من وراء رجليها. و الصلا بالفتح: وسط الظهر. و الكاهل: مقدم أعلى الظهر.

٨- ٨) غرزت الجراده: أثبتت ذنبها فى الأرض لتبيض.

أصهب إلى البياض ثم يصفر و تتلون فيه خطوط إلى السواد ثم يصير فيه خطوط سود و بيض ثم يبدو حجم جناحه ثم يستقل فيموج بعضه في بعض (١).

قال أبو عثمان و يزعم قوم أن الجراد (٢) قد يريد الخضره و دونه النهر الجارى فيصير بعضه جسرا لبعض حتى يعبر إلى الخضره و أن ذلك حيله منها.

و ليس كما زعموا و لكن الزحف الأول من الدباء يريد الخضره فلا يستطيعها إلا بالعبور إليها فإذا صارت تلك القطعه فوق الماء طافيه صارت لعمري أرضا للزحف الثاني الذي يريد الخضره فإن سموا ذلك جسرا استقام فأما أن يكون الزحف الأول مهد للثاني و مكن له و أثره بالكفايه (٣) فهذا ما لا يعرف و لو أن الزحفين جميعا أشرفا على النهر و أمسك أحدهما عن تكلف العبور حتى يمهد له الآخر لكان لما قالوه وجه (٤).

قال أبو عثمان و لعاب الجراد سم على الأشجار لا يقع على شيء إلا أحرقه.

فأما الحكماء فيذكرون في كتبهم أن أرجل الجراد تقلع التآليل و أنه إذا أخذت منه اثنتا عشره جراده و نزعت رءوسها و أطرافها و جعل معها قليل آس يابس و شربت للاستسقاء كما هي نفعت نفعا بينا و أن التبخر بالجراد ينفع من عسر البول و خاصه في النساء و أن أكله ينفع من تقطيره و قد يبخر به للبواسير و ينفع أكله من لسعه العقرب.

و يقال إن الجراد الطوال إذا علق على من به حمى الربع نفعه

ص: ٦٨

١-١) الحيوان ٥٥٥، ٥٤٩: ٥.

٢-٢) في الحيوان: «الدبا».

٣-٣) من الحيوان.

٤-٤) الحيوان ٥٦٢: ٥.

و تجمع هذه الخطبه من أصول العلم ما لا- تجمعه خطبه غيرها ما وحده من كيفه و لا حقيقته أصاب من مثله و لا إياه عنى من شبهه و لا- صيغته من أشار إليه و توهمه كل معروف بنفسه مضيوع و كل قائم في سواه معلول فاعل لا باضطراب آله مقدر لا بجول فكره غني لا باستفاده لا تصحبه الأوقات و لا ترفده الأدوات سبق الأوقات كونه و العدم وجوده و الإبتداء أزله [أوله]

. هذا الفصل يشتمل على مباحث متعدده أولها قوله ما وحده من كيفه و هذا حق لأنه إذا جعله مكيفا جعله ذا هيئه و شكل أو ذا لون و ضوء إلى غيرهما من أقسام الكيف و متى كان كذلك كان جسما و لم يكن واحدا لأن كل جسم قابل للانقسام و الواحد حقا لا يقبل الانقسام فقد ثبت أنه ما وحده من كيفه.

و ثانيها قوله و لا- حقيقته أصاب من مثله و هذا حق لأنه تعالى لا مثل له و قد دلت الأدله الكلاميه و الحكميه على ذلك فمن أثبت له مثلا فإنه لم يصب

حقيقته تعالى و السجعه الأخرى تعطى هذا المعنى أيضا من غير زياده عليه و هى قوله ع و لا- إياه عنى من شبهه و لهذا قال شيوخنا إن المشبه لا يعرف الله و لا تتوجه عباداته و صلواته إلى الله تعالى لأنه يعبد شيئا يعتقدده جسما أو يعتقدده مشابها لبعض هذه الذوات المحدثه و العباده تنصرف إلى المعبود بالقصد فإذا قصد بها غير الله تعالى لم يكن قد عبد الله سبحانه و لا عرفه و إنما يتخيل و يتوهم أنه قد عرفه و عبده و ليس الأمر كما تخيل و توهم.

و ثالثها قوله ع و لا صمده من أشار إليه أى أثبتته فى جهه كما تقول الكراميه الصمد فى اللغه العربيه السيد و الصمد أيضا الذى لا- جوف له و صار التصميد فى الاصطلاح العرفى عباره عن التنزيه و الذى قال ع حق لأن من أشار إليه أى أثبتته فى جهه كما تقوله الكراميه فإنه ما صمده لأنه ما نزّهه عن الجهات بل حكم عليه بما هو من خواص الأجسام و كذلك من توهمه سبحانه أى من تخيل له فى نفسه صورته أو هيئته أو شكلا فإنه لم ينزهه عما يجب تنزيهه عنه .

و رابعها قوله كل معروف بنفسه مصنوع هذا الكلام يجب أن يتأول و يحمل على أن كل معروف بالمشاهده و الحس فهو مصنوع و ذلك لأن البارى سبحانه معروف من طريقين إحداهما من أفعاله و الأخرى بنفسه و هى طريقه الحكماء الذين بحثوا فى الوجود من حيث هو وجود فعلموا أنه لا- بدّ من موجود واجب الوجود فلم يستدلوا عليه بأفعاله بل أخرج لهم البحث فى الوجود أنه لا بدّ من ذات يستحيل عدمها من حيث هى .

فإن قلت كيف يحمل كلامه على أن كل معروف بالمشاهده و الحس فهو مصنوع و هذا يدخل فيه كثير من الأعراض كالألوان و إذا دخل ذلك فسدت عليه الفقره الثانيه

و هي قوله ع و كل قائم فيما سواه معلول لأنها للأعراض خاصه فيدخل أحد مدلول الفقرتين في الأخرى فيختل النظم قلت يريد ع بالفقره الأولى كل معروف بنفسه من طريق المشاهده مستقلا بذاته غير مفتقر في تقومه إلى غيره فهو مصنوع و هذا يختص بالأجسام خاصه و لا يدخل الألوان و غيرها من الأعراض فيه لأنها متقومه بمحالتها.

و خامسها قوله و كل قائم في سواه معلول أى و كل شىء يتقوم بغيره فهو معلول و هذا حق لا محاله كالأعراض لأنها لو كانت واجبه لاستغنت في تقومها عن سواها لكنها مفتقره إلى المحل الذى يتقوم به ذواتها فإذا هي معلوله لأن كل مفتقر إلى الغير فهو ممكن فلا بد له من مؤثر .

و سادسها قوله فاعل لا باضطراب آله هذا لبيان الفرق بينه و بيننا فإننا نفعل بالآلات و هو سبحانه قادر لذاته فاستغنى عن الآله.

و سابعها قوله مقدر لا- بجول فكره هذا أيضا للفرق بيننا و بينه لأننا إذا قدرنا أجلنا أفكارنا و ترددت بنا الدواعى و هو سبحانه يقدر الأشياء على خلاف ذلك.

و ثامنها قوله غنى لا باستفاده هذا أيضا للفرق بيننا و بينه لأن الغنى منا من يستفيد الغنى بسبب خارجى و هو سبحانه غنى بذاته من غير استفاده أمر يصير به غنيا و المراد بكونه غنيا أن كل شىء من الأشياء يحتاج إليه و أنه سبحانه لا يحتاج إلى شىء من الأشياء أصلا.

و تاسعها قوله لا تصحبه الأوقات هذا بحث شريف جدا و ذلك لأنه سبحانه ليس بزمان و لا قابل للحركه فذاته فوق الزمان و الدهر أما المتكلمون فإنهم يقولون

إنه تعالى كان ولا زمان ولا وقت و أما الحكماء فيقولون إن الزمان عرض قائم بعرض آخر و ذلك العرض الآخر قائم بجسم معلول لبعض المعلولات الصادره عنه سبحانه فالزمان عندهم و إن كان لم يزل إلا أن العله الأولى ليست واقعه تحته و ذلك هو المراد بقوله لا تصحبه الأوقات إن فسرناه على قولهم و تفسيره على قول المتكلمين أولى.

و عاشرها قوله و لا ترفده الأدوات رفدت فلانا إذا أعنته و المراد الفرق بيننا و بينه لأننا مرفودون بالأدوات و لولاها لم يصح منا الفعل و هو سبحانه بخلاف ذلك.

و حادى عشرها قوله سبق الأوقات كونه إلى آخر الفصل هذا تصريح بحدوث العالم.

فإن قلت ما معنى قوله و العدم وجوده و هل يسبق وجوده العدم مع كون عدم العالم فى الأزل لا أول له قلت ليس يعنى بالعدم هاهنا عدم العالم بل عدم ذاته سبحانه أى غلب وجود ذاته عدمها و سبقها فوجب له وجود يستحيل تطرق العدم إليه أزلاً و أبداً بخلاف الممكنات فإن عدمها سابق بالذات على وجودها و هذا دقيق بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له و بمضادته بين الأمور عرف أن لا ضد له و بمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له ضاد النور بالظلمة و الوضوح بالبهمه و الجمود بالبلل و الحرور بالصرد [بالصرد]

مَوْلَفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا مُقَرَّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا مُفَرَّقٌ بَيْنَ مُتَدَايِنَاتِهَا لَا يُشْمَلُ بِحِدِّ وَلَا يُحَسَبُ بِعَدِّ وَإِنَّمَا تَحُدُّ
الْأَدْوَاتُ أَنْفُسَهَا وَتُشِيرُ الْأَلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا .

المشاعر

الحواس (١) قال بلعاء بن قيس و الرأس مرتفع فيه مشاعره يهدى السبيل له سمع و عيان.

قال بجعله تعالى المشاعر عرف أن لا مشعر له و ذلك لأن الجسم لا يصحّ منه فعل الأجسام و هذا هو الدليل الذى يعول عليه
المتكلمون فى أنه تعالى ليس بجسم.

ثمّ قال و بمضاداته بين الأمور عرف أن لا-ضد له و ذلك لأنّه تعالى لما دلنا بالعقل على أن الأمور المتضاده إنّما تتضاد على
موضوع تقوم به و تحله كان قد دلنا على أنه تعالى لا ضد له لأنّه يستحيل أن يكون قائما بموضوع يحله- كما تقوم المتضادات
بموضوعاتها.

ثمّ قال و بمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له و ذلك لأنّه تعالى قرن بين العرض و الجوهر بمعنى استحاله انفكاك أحدهما
عن الآخر و قرن بين كثير من الأعراض نحو ما يقوله أصحابنا فى حياتى القلب و الكبد و نحو الإضافات التى يذكرها الحكماء
كالبنوه و الأبوه و الفوقيه و التحتيه و نحو كثير من العلل و المعلولات و الأسباب و المسببات فيما ركه فى العقول من وجوب
هذه المقارنه و استحاله انفكاك أحد الأمرين

ص: ٧٣

عن الآخر علمنا أنه لا قرين له سبحانه لأنه لو قارن شيئاً على حسب هذه المقارنه لاستحال انفكاكه عنه فكان محتاجاً في تحقق ذاته تعالى إليه و كل محتاج ممكن فواجب الوجود ممكن هذا محال .

ثم شرع في تفصيل المتضادات فقال ضاد النور بالظلمه و هما عرضان عند كثير من الناس و فيهم من يجعل الظلمه عدميه.

قال و الوضوح بالبهمه يعنى البياض و السواد.

قال و الجمود بالبلل يعنى اليبوسه و الرطوبه.

قال و الحرور بالصرده يعنى الحراره و البروده و الحرور هاهنا مفتوح الحاء يقال إننى لأجد لهذا الطعام حرورا و حروره فى فمى أى حراره و يجوز أن يكون فى الكلام مضاف محذوف أى و حراره الحرور بالصرده و الحرور هاهنا يكون الريح الحاره و هى بالليل كالسموم بالنهار و الصرد البرد.

ثم قال و إنه تعالى مؤلف بين هذه المتباعدات المتعاديات المتباينات و ليس المراد من تأليفه بينها جمعه إياها فى مكان واحد كيف و ذلك مستحيل فى نفسه بل هو سبحانه مؤلف لها فى الأجسام المركبه حتى خلع منها صورته مفرده هى المزاج ألا ترى أنه جمع الحار و البارد و الرطب و اليابس فمزجه مزجا مخصوصا حتى انتزع منه طبيعه مفرده ليست حاره مطلقه و لا بارده مطلقه و لا- رطبه مطلقه و لا- يابس مطلقه و هى المزاج و هو محدود عند الحكماء بأنه كيفيه حاصله من كيفيات متضاده و هذا هو محصول كلامه ع بعينه.

و العجب من فصاحته فى ضمن حكيمته كيف أعطى كل لفظه من هذه اللفظات ما يناسبها و يليق بها فأعطى المتباعدات لفظه مقرب لأن البعد بإزاء القرب

و أعطى المتباينات لفظه مقارن لأن البيئونه بإزاء المقارنه و أعطى المتعاديات لفظه مؤلف لأن الائتلاف بإزاء التعادى.

ثمّ عاد ع فـعكس المعنى فقال مفرق بين متدانياتها فجعل الفساد بإزاء الكون و هذا من دقيق حكمته ع و ذلك لأن كل كائن فاسد فلما أوضح ما أوضح فى الكون و التركيب و الإيجاد أعقبه بذكر الفساد و العدم فقال مفرق بين متدانياتها و ذلك لأن كل جسم مركب من العناصر المختلفه الكيفيات المتضاده الطبايع فإنّه سيئول إلى الانحلال و التفرق .

ثمّ قال لا يشمل بحد و ذلك لأن الحدّ الشامل ما كان مركبا من جنس و فصل و البارى تعالى منزّه عن ذلك لأنّه لو شمله الحدّ على هذا الوجه يكون مركبا فلم يكن واجب الوجود و قد ثبت أنّه واجب الوجود و يجوز أن يعنى به أنّه ليس بذى نهايه فتحويه الأقطار و تحده.

ثمّ قال و لا يحسب بعد يحتمل أن يريد لا تحسب أزليته بعد أى لا يقال له منذ وجد كذا و كذا كما يقال للأشياء المتقاربه العهد و يحتمل أن يريد به أنّه ليس مماثلا للأشياء فيدخل تحت العدد كما تعد الجواهر و كما تعد الأمور المحسوسه.

ثمّ قال و إنّما تحدد الأدوات أنفسها و تشير الآلات إلى نظائرها هذا يؤكد معنى التفسير الثانى و ذلك لأن الأدوات كالجوارح إنّما تحدد و تقدر ما كان مثلها من ذوات المقادير و كذلك إنّما تشير الآلات و هى الحواس إلى ما كان نظيرا لها فى الجسميه و لوازمها و البارى تعالى ليس بذى مقدار و لا جسم و لا حال فى جسم فاستحال أن تحده الأدوات و تشير إليه الآلات

مَنْعَتَهَا مِنْذُ الْقَدَمَةِ وَحَمَّتْهَا قَدُ الْأَزْلِيَّةِ وَجَبَّتْهَا لَوْلَا- التَّكْمِلَةَ بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ وَبِهَا امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ وَلَا يَجْرِي
[تَجْرِي]

عَلَيْهِ [الْحَرَكَهَ وَالشُّكُونَ]

الشُّكُونُ وَالْحَرَكَهَ وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أُبْدَاهُ وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ إِذَا لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ وَلَتَجَزَّأَ
كُنْهُهُ وَلَا امْتَنَعَ مِنَ الْأَزْلِ مَعْنَاهُ وَكَانَ لَهُ وَرَاءَهُ إِذْ وَجِدَ لَهُ أَمَامَ وَلَا لَتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ وَإِذَا لَقَامَتْ آيَةُ الْمَضِيئِ فِيهِ وَ
لَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ الْإِمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِ مَا يُؤَثَّرُ فِي غَيْرِهِ .

قد اختلف الرواه في هذا الموضع من وجهين أحدهما قول من نصب القدمه و الأزلية و التكملة فيكون نصبها عنده على أنها
مفعول ثان و المفعول الأول الضمائر المتصله بالأفعال و تكون منذ و قد و لو لا في موضع رفع بأنها فاعله و تقدير الكلام أن
إطلاق لفظه منذ على الآلات و الأدوات يمنعها عن كونها قديمه لأن لفظه منذ وضعت لابتداء الزمان كلفظه من لابتداء المكان و
القديم لا ابتداء له و كذلك إطلاق لفظه قد على الآلات و الأدوات تحميها و تمنعها من كونها أزليه لأن قد لتقريب الماضي من
الحال تقول قد قام زيد فقد دل على أن قيامه قريب من الحال التي أخبرت فيها

بقيامه و الأزلى لا يصح ذلك فيه و كذلك إطلاق لفظه لو لا على الأدوات و الآلات يجنبها التكملة و يمنعها من التمام المطلق لأن لفظه لو لا- وضعت لامتناع الشيء لوجود غيره كقولك لو لا زيد لقام عمرو فامتناع قيام عمرو إنما هو لوجود زيد و أنت تقول فى الأدوات و الآلات و كل جسم ما أحسنه لو لا أنه فان و ما أتمه لو لا كذا فيكون المقصد و المنحى بهذا الكلام على هذه الروايه بيان أن الأدوات و الآلات محدثه ناقصه و المراد بالآلات و الأدوات أربابها.

الوجه الثانى قول من رفع القدمه و الأزليه و التكملة فيكون كل واحد منها عنده فاعلا و تكون الضمائر المتصله بالأفعال مفعولا أولا و منذ و قد و لو لا مفعولا ثانيا و يكون المعنى أن قدم البارى و أزليته و كماله منعت الأدوات و الآلات من إطلاق لفظه منذ و قد و لو لا- عليه سبحانه لأنه تعالى قديم كامل و لفظتا منذ و قد لا يطلقان إلا على محدث لأن إحداهما لا ابتداء الزمان و الأخرى لتقريب الماضى من الحال و لفظه لو لا لا تطلق إلا على ناقص فيكون المقصد و المنحى بهذا الكلام على هذه الروايه بيان قدم البارى تعالى و كماله و أنه لا يصح أن يطلق عليه ألفاظ تدل على الحدوث و النقص.

قوله ع بها تجلى صانعها للعقول و بها امتنع عن نظر العيون أى بهذه الآلات و الأدوات التى هى حواسنا و مشاعرنا و بخلقه إياها و تصويره لها تجلى للعقول و عرف لأنه لو لم يخلقها لم يعرف و بها امتنع عن نظر العيون أى بها استنبطنا استحاله كونه مرثيا بالعيون لأننا بالمشاعر و الحواس كملت عقولنا و بعقولنا استخراجنا الدلاله على أنه لا تصح رؤيته فإذن بخلقه الآلات و الأدوات لنا عرفناه عقلا و بذلك

أيضا عرفنا أنه يستحيل أن يعرف بغير العقل و أن قول من قال إنا سنعرفه رؤيه و مشافهه بالحاسه باطل .

قوله ع لا تجرى عليه الحركة و السكون هذا دليل أخذه المتكلمون عنه ع فنظموه فى كتبهم و قرروه و هو أن الحركة و السكون معان محدثه فلو حلت فيه لم يخل منها و ما لم يخل من المحدث فهو محدث.

فإن قلت إنه ع لم يخرج كلامه هذا المخرج و إنما قال كيف يجرى عليه ما هو أجراه و هذا نمط آخر غير ما يقرره المتكلمون قلت بل هو هو بعينه لأنه إذا ثبت أنه هو الذى أجرى الحركة و السكون أى أحدثهما لم يجز أن يجرى عليه لأنهما لو جريا عليه لم يخل إما أن يجرى عليه على التعاقب و ليسا و لا واحد منهما بقديم أو يجرى عليه على أن أحدهما قديم ثم تلاه الآخر و الأول باطل بما يبطل به حوادث لا أول لها و الثانى باطل بكلامه ع و ذلك لأنه لو كان أحدهما قديما معه سبحانه لما كان أجراه لكن قد قلنا أنه أجراه أى أحدثه و هذا خلف محال و أيضا فإذا كان أحدهما قديما معه لم يجز أن يتلوه الآخر لأن القديم لا يزول بالمحدث.

ثم قال ع إذا لتفاوتت ذاته و لتجزأ كنهه و لامتنع من الأزل معناه هذا تأكيد لبيان استحاله جريان الحركة و السكون عليه تقول لو صح عليه ذلك لكان محدثا و هو معنى قوله لامتنع من الأزل معناه و أيضا كان ينبغى أن تكون ذاته منقسمه لأن المتحرك الساكن لا بد أن يكون متحيزا و كل متحيز جسم و كل جسم منقسم أبدا و فى هذا إشاره إلى نفي الجوهر الفرد .

ثم قال ع و لكان له وراء إذا وجد له أمام هذا يؤكد ما قلناه إنه إشاره إلى نفى الجوهر الفرد يقول لو حلتته الحركة لكان جرما و حجما و لكان أحد وجهيه غير الوجه الآخر لا محاله فكان منقسما و هذا الكلام لا يستقيم إلا مع نفى الجوهر الفرد لأن من أثبتته يقول يصح أن تحله الحركة و لا يكون أحد وجهيه غير الآخر فلا يلزم أن يكون له وراء و أمام.

ثم قال ع و لا- التمس التمام إذ لزمه النقصان هذا إشاره إلى ما يقوله الحكماء من أن الكون عدم و نقص و الحركة وجود و كمال فلو كان سبحانه يتحرك و يسكن لكان حال السكون ناقصا قد عدم عنه كماله فكان ملتصقا كماله بالحركة الطارئة على السكون و واجب الوجود يستحيل أن يكون له حالة نقصان و أن يكون له حالة بالقوه و أخرى بالفعل.

قوله ع إذا لقامت آية المصنوع فيه و ذلك لأن آية المصنوع كونه متغيرا منتقلا- من حال إلى حال لأننا بذلك استدللنا على حدوث الأجسام فلو كان تعالى متغيرا متحركا منتقلا من حال إلى حال لتحقق فيه دليل الحدوث فكان مصنوعا و قد ثبت أنه الصانع المطلق سبحانه.

قوله ع و لتحول دليلا- بعد أن كان مدلولاً عليه يقول إنا وجدنا دليلا على الباري سبحانه أنما هو الأجسام المتحركة فلو كان الباري متحركا لكان دليلا- على غيره و كان فوقه صانع آخر صنعه و أحدثه لكنه سبحانه لا صانع له و لا ذات فوق ذاته فهو المدلول عليه و المنتهى إليه.

قوله ع و خرج بسطان الامتناع من أن يؤثر فيه ما أثر في غيره في هذا الكلام يتوهم سامعه أنه عطف على قوله لتفاوتت و لتجزأ و لامتنع

و لكان له و لالتمس و لقامت و لتحول و ليس كذلك لأنه لو كان معطوفا عليها لاختل الكلام و فسد لأنها كلها مستحيلات عليه تعالى و المراد لو تحرك لزم هذه المحالات كلها.

و قوله و خرج بسطان الامتناع ليس من المستحيلات عليه بل هو واجب له و من الأمور الصادقه عليه فإذا فسد أن يكون معطوفا عليها و جب أن يكون معطوفا على ما كان مدلولاً عليه و تقدير الكلام كان يلزم أن يتحول الباري دليلاً على غيره بعد أن كان مدلولاً عليه و بعد أن خرج بسطان الامتناع من أن يؤثر فيه ما أثر في غيره و خروجه بسطان الامتناع المراد به وجوب الوجود و التجريد و كونه ليس بمتحيز و لا- حال في المتحيز فهذا هو سلطان الامتناع الذى به خرج عن أن يؤثر فيه ما أثر في غيره من الأجسام و الممكنات الذى لا يحول و لا يزول و لا يجوز عليه الأفعال لم يلد فيكون مولوداً و لم يولد فيصير مخروداً جل عن اتخاذ الأبناء و طهر عن ملامسه النساء لا تناله الأوهام فتقدره و لا تتوهمه الفطن فتصوره و لا تدركه الحواس فتحسه و لا تلمسه الأيدي فتتمسه و لا يتغير بحال و لا يتبدل في الأحوال و لا تبليه الليالي و الأيام و لا يعيره الضياء و الظلام .

هذا الفصل كله واضح مستغن عن الشرح إلا قوله ع لم يلد

لأن لقائل أن يقول كيف يلزم من فرض كونه والدا أن يكون مولودا في جوابه أنه ليس معنى الكلام أنه يلزم من فرض وقوع أحدهما وقوع الآخر و كيف و آدم والد و ليس بمولود و إنما المراد أنه يلزم من فرض صحه كونه والدا صحه كونه مولودا و التالي محال و المقدم محال و إنما قلنا إنه يلزم من فرض صحه كونه والدا صحه كونه مولودا لأنه لو صح أن يكون والدا على التفسير المفهوم من الوالديه و هو أن يتصور من بعض أجزائه حتى آخر من نوعه على سبيل الاستحاله لذلك الجزء كما نعقله في النطفه المنفصله من الإنسان المستحيله إلى صوره أخرى حتى يكون منها بشر آخر من نوع الأول لصح عليه أن يكون هو مولودا من والد آخر قبله و ذلك لأن الأجسام متماثله في الجسميه و قد ثبت ذلك بدليل عقلي واضح في مواضعه التي هي أملك به و كل مثلين فإن أحدهما يصح عليه ما يصح على الآخر فلو صح كونه والدا يصح كونه مولودا.

و أمّا بيان أنه لا يصح كونه مولودا فلائن كل مولود متأخر عن والده بالزمان و كل متأخر عن غيره بالزمان محدث فالمولود محدث و البارى تعالى قد ثبت أنه قديم و أن الحدوث عليه محال فاستحال أن يكون مولودا و تمّ الدليل و لا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ وَ لَا بِالْجَوَارِحِ وَ الْأَعْضَاءِ وَ لَا بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ وَ لَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَ الْأَبْعَاضِ وَ لَا يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَ لَا نِهَائِيَّةٌ وَ لَا انْقِطَاعٌ وَ لَا غَايَةٌ وَ لَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتَقْلَهُ أَوْ تُهْوِيَهُ أَوْ أَنَّ شَيْئًا يَحْمِلُهُ فَيَمِيلُهُ

لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بَوَالِجٍ وَ لَا عَنْهَا بِخَارِجٍ يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَ لَهَوَاتٍ وَ يَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَ أَدْوَاتٍ يَقُولُ وَ لَا يَلْفِظُ وَ يَحْفَظُ وَ لَا يَتَحَفَّظُ وَ يُرِيدُ وَ لَا يُضْمِرُ يُحِبُّ وَ يَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ وَ يُبْغِضُ وَ يَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ كُنْ فَيَكُونُ لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ وَ لَا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ وَ إِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَ مَثَلُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِنًا وَ لَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ إِلَهَا ثَانِيًا .

في هذا الفصل مباحث أولها أن الباري سبحانه لا- يوصف بشيء من الأجزاء أى ليس بمركب لأنه لو كان مركبا لافتقر إلى أجزائه و أجزاءه ليست نفس هويته و كل ذات تفتقر هويتها إلى أمر من الأمور فهي ممكنة لكنه واجب الوجود فاستحال أن يوصف بشيء من الأجزاء.

و ثانيها أنه لا يوصف بالجوارح و الأعضاء كما يقول مثبتو الصورة و ذلك لأنه لو كان كذلك لكان جسما و كل جسم ممكن و واجب الوجود غير ممكن.

و ثالثها أنه لا- يوصف بعرض من الأ-عراض كما يقوله الكراميه لأنه لو حله العرض لكان ذلك العرض ليس بأن يحل فيه أولى من أن يحل هو فى العرض لأن معنى

الحلول حصول العرض فى حيز المحل تبعا لحصول المحل فيه فما ليس بمتحيز لا- يتحقق فيه معنى الحلول و ليس بأن يجعل محلا أولى من أن يجعل حالا.

و رابعها أنه لا يوصف بالغيرية و الأبعاد أى ليس له بعض و لا هو ذو أقسام بعضها غيرا للبعض الآخر و هذا يرجع إلى البحث الأول .

و خامسها أنه لا- حد له و لا- نهاية أى ليس ذا مقدار و لذلك المقدار طرف و نهايه لأنه لو كان ذا مقدار لكان جسما لأن المقدار من لوازم الجسميه و قد ثبت أنه تعالى ليس بجسم.

و سادسها أنه لا انقطاع لوجوده و لا غايه لأنه لو جاز عليه العدم فى المستقبل لكان وجوده الآن متوقفا على عدم سبب عدمه و كل متوقف على الغير فهو ممكن فى ذاته و البارى تعالى واجب الوجود فاستحال عليه العدم و أن يكون لوجوده انقطاع أو ينتهى إلى غايه يعدم عندها.

و سابعها أن الأشياء لا تحويه فتقله أى ترفعه أو تهويه أى تجعله هاويا إلى جهه تحت لأنه لو كان كذلك لكان ذا مقدار أصغر من مقدار الشيء الحاوى له لكن قد بينا أنه يستحيل عليه المقادير فاستحال كونه محويا.

و ثامنها أنه ليس يحمله شىء فَيَمِيلُهُ إلى جانب أو يعدله بالنسبه إلى جميع الجوانب لأن كل محمول مقدر و كل مقدر جسم و قد ثبت أنه ليس بجسم.

و تاسعها أنه ليس فى الأشياء بَوَالِجٍ أى داخل و لا عنها بخارج هذا مذهب الموحدين و الخلاف فيه مع الكَرَامِيَّة و المُجَسَّمَةِ و ينبغى أن يفهم قوله ع و لا عنها بخارج أنه لا يريد سلب الولوج فيكون قد خلا من النقيضين لأن ذلك محال بل المراد بكونه ليس خارجا عنها أنه ليس كما يعتقد كثير من الناس أن الفلك الأعالى المحيط لا يحتوى عليه و لكنه ذات موجوده متميزه بنفسها قائمه

بذاتها خارجه عن الفلك في الجهه العليا بينها و بين الفلك بعد إمّا غير متناه على ما يحكى عن ابن الهيصم أو متناه على ما يذهب إليه أصحابه و ذلك أن هذه القضية و هي قولنا الباري خارج عن الموجودات كلها على هذا التفسير ليست مناقضه للقضية الأولى و هي قولنا الباري داخل العالم ليكون القول بخلوه عنهما قولاً بخلوه عن النقيضين ألا ترى أنه يجوز أن تكون القضيتان كما ذبتين معا بالألا- يكون الفلك المحيط محتويا عليه و لا يكون حاصلًا في جهه خارج الفلك و لو كانت القضيتان متناقضتين لما استقام ذلك و هذا كما تقول زيد في الدار زيد في المسجد فإن هاتين القضيتين ليستا متناقضتين لجواز ألا يكون زيد في الدار و لا في المسجد فإن هاتين لو تناقضتا لاستحال الخروج عن النقيضين لكن المتناقض زيد في الدار زيد ليس في الدار و الذي يستشعنه العوام من قولنا الباري لا داخل العالم و لا خارج العالم غلط مبنى على اعتقادهم و تصورهم أن القضيتين تتناقضان و إذا فهم ما ذكرناه بان أنه ليس هذا القول بشنيع بل هو سهل و حق أيضا فإنه تعالى لا متحيز و لا حال في المتحيز و ما كان كذلك استحال أن يحصل في جهه لا داخل العالم و لا خارج العالم و قد ثبت كونه غير متحيز و لا حال في المتحيز من حيث كان واجب الوجود فإذن القول بأنه ليس في الأشياء بواجب و لا عنها بخارج صواب و حق .

و عاشرها أنه تعالى يخبر بلا- لسان و لهوات و ذلك لأن كونه تعالى مخبرا هو كونه فاعلا للخبر كما أن كونه ضاربا هو كونه فاعلا للضرب فكما لا يحتاج في كونه ضاربا إلى أداة و جارحه يضرب بها كذلك لا يحتاج في كونه مخبرا إلى لسان و لهوات يخبر بها.

و حادى عشرها أنه تعالى يسمع بلا حروف و أدوات و ذلك لأن الباري سبحانه حي لا آفه به و كل حي لا آفه به فواجب أن يسمع المسموعات و يبصر المبصرات

و لا حاجه به سبحانه إلى حروف و أدوات كما نحتاج نحن إلى ذلك لأننا أحياء بحياه تحلنا و البارى تعالى حى لذاته فلما افترقنا فيما به كان سامعا و مبصرا افترقنا فى الحاجه إلى الأدوات و الجوارح.

و ثانى عشرها أنه يقول و لا يتلفظ هذا بحث لفظى و ذلك لأنه قد ورد السمع بتسميته قائلا و قد تكرر فى الكتاب العزيز ذكر هذه اللفظه نحو قوله إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى (١) وَ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ (٢) و لم يرد فى السمع إطلاق كونه متلفظا عليه و فى إطلاقه إيهام كونه ذا جارحه فوجب الاقتصار على ما ورد و ترك ما لم يرد.

و ثالث عشرها أنه تعالى يحفظ و لا- يتحفظ أما كونه يحفظ فيطلق على وجهين أحدهما أنه يحفظ بمعنى أنه يحصى أعمال عباده و يعلمها و الثانى كونه يحفظهم و يحرسهم من الآفات و الدواهي و أمّا كونه لا يتحفظ فيحتمل معنيين أحدهما أنه لا يجوز أن يطلق عليه أنه يتحفظ الكلام أى يتكلف كونه حافظا له و محيطا و عالما به كالواحد منا يتحفظ المدرس ليحفظه فهو سبحانه حافظ غير متحفظ و الثانى أنه ليس بمتحرز و لا مشفق على نفسه خوفا أن تبدر إليه بادره من غيره.

و رابع عشرها أنه يريد و لا يضم أما كونه مريدا فقد ثبت بالسمع نحو قوله تعالى يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ (٣) و بالعقل لاختصاص أفعاله بأوقات مخصوصه و كفيات مخصوصه جاز أن تقع على خلافها فلا بدّ من مخصص لها بما اختصت به و ذلك كونه مريدا و أمّا كونه لا يضم فهو إطلاق لفظى لم يأذن فيه الشرع و فيه إيهام كونه ذا قلب لأن الضمير فى العرف اللغوى ما استكن فى القلب و البارى ليس بجسم.

ص: ٨٥

١-١) سورة المائدة ١١٠.

٢-٢) سورة المائدة ١٢.

٣-٣) سورة البقره ١٨٥.

و خامس عشرها أنه يحب و يرضى من غير رقه و يبغض و يغضب من غير مشقه و ذلك لأن محبته للعبد إرادته أن يشبهه و رضاه عنه أن يحمد فعله و هذا يصحّ و يطلق على البارى لا كإطلاقه علينا لأن هذه الأوصاف يقتضى إطلاقها علينا رقه القلب و البارى ليس بجسم و أمّا بغضه للعبد فإرادته عقابه و غضبه كراهيه فعله و وعيده بإنزال العقاب به و فى الأغلب إنّما يطلق ذلك علينا و يصحّ منا مع مشقه تالنا من إزعاج القلب و غليان دمه و البارى ليس بجسم .

و سادس عشرها أنه يقول لما أراد كونه كُنْ فَيَكُونُ من غير صوت يقرع و نداء يسمع هذا مذهب شيخنا أبى الهذيل و إليه يذهب الكراميه و أتباعها من الحنابله و غيرهم و الظاهر أن أمير المؤمنين ع أطلقه حملا على ظاهر لفظ القرآن فى مخاطبه الناس بما قد سمعوه و أنسوا به و تكرر على أسماعهم و أذهانهم فأما باطن الآيه و تأويلها الحقيقى فغير ما يسبق إلى أذهان العوام فليطلب من موضعه.

و سابع عشرها أن كلامه سبحانه فعل منه أنشأه و مثله لم يكن من قبل ذلك كائنا و لو كان قديما لكان إلها ثانيا هذا هو دليل المعتزله على نفى المعانى القديمه التى منها القرآن و ذلك لأن القدم عندهم أخص صفات البارى تعالى أو موجب عن الأخص فلو أن فى الوجود معنى قديما قائما بذات البارى لكان ذلك المعنى مشاركا للبارى فى أخص صفاته و كان يجب لذلك المعنى جميع ما وجب للبارى من الصفات نحو العالميه و القادريه و غيرهما فكان إلها ثانيا.

فإن قلت ما معنى قوله ع و مثله قلت يقال مثلت له كذا تمثيلا إذا صورت له مثاله بالكتابه أو غيرها فالبارى مثل القرآن لجبريل ع بالكتابه فى اللوح المحفوظ فأنزله على محمد ص .

و أيضا يقال مثل زيد بحضرتي إذا حضر قائما و مثلته بين يدي زيد أي أحضرته منتصبا فلما كان الله تعالى فعل القرآن واضحا بينا كان قد مثله للمكلفين لا يُقال كان بعد أن لم يكن فتجرى عليه الصفات المُحدثات و لا يكون بينها و بينه فضل و لا له عليها فضل فيستوي الصانع و المصنوع و يتكافأ المُبتدع و الّيدع خلق الخلاق على غير مثال خلا من غيره و لم يستعن على خلقها بأحد من خلقه و أنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال و أرساها على غير قرار و أقامها بغير قوائم و رفعها بغير دعائم و حصنها من الأود و الأعوجاج و منعها من التّهافت و الإنفراج أرسى أوتادها و ضرب أسدادها و استفاض عُيونها و خد أوديتها فلم يهن ما بناه و لا ضعف ما قواه .

عاد ع إلى تنزيه الباري تعالى عن الحدوث فقال لا يجوز أن يوصف به فتجرى عليه الصفات المُحدثات كما تجرى على كل محدث و روى فتجرى عليه صفات المُحدثات و هو أليق ليعود إلى المُحدثات ذوات الصفات ما بعده و هو قوله ع و لا يكون بينه و بينها فصل لأنه لا يحسن أن يعود الضمير في قوله و بينها إلى الصفات بل إلى ذوات الصفات.

قال لو كان محدثا لجزت عليه صفات الأجسام المحدثه فلم يكن بينه وبين الأجسام المحدثه فرق فكان يستوى الصانع و المصنوع و هذا محال .

ثم ذكر أنه خلق الخلق غير محتذ لمثال و لا مستفيد من غيره كيفيه الصنعه بخلاف الواحد منا فإن الواحد منا لا بد أن يحتذى فى الصنعه كالبناء و النجار و الصانع و غيرها.

قال ع و لم يستعن على خلقها بأحد من خلقه لأنه تعالى قادر لذاته لا يعجزه شيء .

ثم ذكر إنشاءه تعالى الأرض و أنه أمسكها من غير اشتغال منه بأمسакها و غير ذلك من أفعاله و مخلوقاته ليس كالواحد منا يمسك الثقيل فيشتغل بأمسакه عن كثير من أموره.

قال و أرساها جعلها راسيه على غير قرار تتمكن عليه بل واقفه بإرادته التى اقتضت وقوفها و لأن الفلك يجذبها من جميع جهاتها كما قيل أو لأنه يدفعها من جميع جهاتها أو لأن أحد نصفها صاعد بالطبع و الآخر هابط بالطبع فافتضى التعادل وقوفها أو لأنها طالبه للمركز فوقفت.

و الأود الاعوجاج و كرر لاختلاف اللفظ.

و التهافت التساقط و الأسداد جمع سد و هو الجبل و يجوز ضم السين.

و استفاض عيونها

بمعنى أفاض أى جعلها فائضه.

و خد أوديتها

أى شقها فلم يهن ما بناه أى لم يضعف

ص: ٨٨

هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبُهُ وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبُهُ وَلَا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقُهُ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقُهُ خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ وَذَلَّتْ مُسَدِّتِكَيْنَهُ لِعَظَمَتِهِ لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبُ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعُ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ وَلَا كُفَاءَ لَهُ فَيُكَافِئُهُ وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيَسَاوِيهِ هُوَ الْمُنْفَى لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ائْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ اِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا وَكَيْفَ وَ لَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا وَ مَا كَانَ مِنْ مَرَاحِهَا وَ سَائِمِهَا وَ أَصْنَافِ أَشْيَانِهَا وَ أَجْنَاسِهَا وَ مُتَبَدِّلِهَا أُمَّمِهَا وَ أَكْبَاسِهَا عَلَى إِحْدَاثِ بَعْضِهِ مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا وَ لَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى إِيجَادِهَا وَ لَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَ تَاهَتْ وَ عَجَزَتْ قُوَاهَا وَ تَنَاهَتْ وَ رَجَعَتْ خَاسِئُهُ حَسِيرَةً عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ مُقَرَّرَةٌ بِالْعَجْزِ عَنِ اِنْشَائِهَا مُدْعِنَةٌ بِالضَّعْفِ عَنِ اِفْنَائِهَا .

الظاهر

الغالب القاهر و الباطن العالم الخبير .

و المراح بضم الميم النعم ترد إلى المراح بالضم أيضا و هو الموضع الذى تأوى إليه النعم و ليس المراح ضد السائم على ما يظنه بعضهم و يقول إن عطف أحدهما على الآخر عطف

ص : ٨٩

على المختلف والمتضاد بل أحدهما هو الآخر و ضدهما المعلوفه و إنما عطف أحدهما على الآخر على طريقه العرب في الخطاب و مثله في القرآن كثير نحو قوله سبحانه لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَ لا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (١).

و أسناخها جمع سينخ بالكسر و هو الأصل و قوله لو اجتمع جميع الحيوان على إحداث بعوضه هو معنى قوله سبحانه إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَ لو اجْتَمَعُوا لَهُ (٢).

فإن قلت ما معنى قوله لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره فتمتنع من نفعه و ضره و هلا قال من ضره و لم يذكر النفع فإنه لا معنى لذكره هاهنا قلت هذا كما يقول المعتصم بمعقل حصين عن غيره ما يقدر اليوم فلان لي على نفع و لا ضر و ليس غرضه إلا ذكر الضرر و إنما يأتي بذكر النفع على سبيل سلب القدره عن فلان على كل ما يتعلق بذلك المعتصم و أيضا فإن العفو عن المجرم نفع له فهو ع يقول إنه ليس شيء من الأشياء يستطيع أن يخرج إذا أجرم من سلطان الله تعالى إلى غيره فيمتنع من بأس الله تعالى و يستغنى عن أن يعفو عنه لعدم اقتداره عليه و [إنه]

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُعَوِّدُ بَعِيدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَخَيْرَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ كَمَا كَانَ قَبْلَ آيَاتِهَا كَذَلِكَ يُكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا بِلَا وَقْتٍ وَ لَا مَكَانٍ وَ لَا حِينٍ وَ لَا زَمَانٍ عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَالُ وَ الْأَوْقَاتُ وَ زَالَتِ السُّنُونُ وَ السَّاعَاتُ فَلَا شَيْءَ

ص : ٩٠

١- (١) سورة فاطر ٣٥.

٢- (٢) سورة الحج ٧٣.

إِلَّا اللَّهَ الْوَاحِدَ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا وَبِغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَائُهَا وَ لَوْ قَدَرَتْ عَلَى
الِامْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا لَمْ يَتَكَأَدُهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ وَ لَمْ يُوَدِّهِ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَ بَرَأَهُ [بَرَأَهُ وَ خَلَقَهُ]

وَ لَمْ يَكُونْهَا لِشَدِيدِ سُلْطَانٍ وَ لَا لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَ نُقْصَانٍ وَ لَا لِلاِسْتِغْنَاءِ بِهَا عَلَى نَدِّ مُكَاتِرٍ وَ لَا لِلاِخْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدِّ مُتَاوِرٍ وَ لَا
لِلْإِزْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ وَ لَا لِمُكَاتَرِهِ شَرِيكَ فِي شَرِكِهِ وَ لَا لِوَحْشِهِ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا لَا
لِسِيَامٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَضَرُّبِهَا وَ تَدْبِيرِهَا وَ لَا لِرَاحِهِ وَاصِلِهِ إِلَيْهِ وَ لَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ لَا يَمْلَهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سِرْعِهِ
إِفْنَائِهَا وَ لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ وَ أَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ وَ أَنْقَضَهَا بِقُدْرَتِهِ ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا وَ لَا اسْتِغْنَاءٍ بِشَيْءٍ
مِنْهَا عَلَيْهَا وَ لَا لِانْتِصَرَفٍ مِنْ حَالٍ وَ حَشِهُ إِلَى حَالِ اسْتِغْنَائِهِ وَ لَا مِنْ حَالِ جَهْلِ وَ عَمَى إِلَى حَالِ عِلْمٍ وَ التَّمَاسِ وَ لَا مِنْ فَقْرٍ وَ
حَاجَةٍ إِلَى غِنَى وَ كَثْرَةٍ وَ لَا مِنْ ذُلٍّ وَ ضَعْفٍ إِلَى عِزٍّ وَ قُدْرَةٍ .

شرح أولا في ذكر إعدام الله سبحانه الجواهر و ما يتبعها و يقوم بها من الأعراض قبل القيامه و ذلك لأن الكتاب العزيز قد ورد
به نحو قوله تعالى **كَلِمًا بَيِّنَاتًا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ (١)** و معلوم أنه بدأه عن عدم فوجب أن تكون الإعادة عن عدم أيضا و قال تعالى
هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ (٢) و إنما كان أولا لأنه كان موجودا و لا شيء من

ص: ٩١

١- (١) سورة الأنبياء ١٠٤.

٢- (٢) سورة الحديد ٣.

الأشياء بموجود فوجب أن يكون آخرًا كذلك هذا هو مذهب جمهور أصحابنا و جمهور المسلمين .

ثم ذكر أنه يكون وحده سبحانه بلا وقت و لا مكان و لا حين و لا زمان و ذلك لأن المكان أما الجسم الذى يتمكن عليه جسم آخر أو الجبهه و كلاهما لا وجود له بتقدير عدم الأفلاك و ما فى حشوها من الأجسام أما الأول فظاهر و أما الثانى فلأن الجبهه لا تتحقق إلا بتقدير وجود الفلك لأنها أمر إضافى بالنسبه إليه فبتقدير عدمه لا يبقى للجبهه تحقق أصلا و هذا هو القول فى عدم المكان حيثئذ و أما الزمان و الوقت و الحين فكل هذه الألفاظ تعطى معنى واحدا و لا وجود لذلك المعنى بتقدير عدم الفلك لأن الزمان هو مقدار حركه الفلك فإذا قدرنا عدم الفلك فلا حركه و لا زمان .

ثم أوضح ذلك و أكده فقال عدمت عند ذلك الآجال و الأوقات و زالت السنون و الساعات لأن الأجل هو الوقت الذى يحل فيه الدين أو تبطل فيه الحياه و إذا ثبت أنه لا وقت ثبت أنه لا أجل و كذلك لا سنه و لا ساعه لأنها أوقات مخصوصه .

ثم عاد ع إلى ذكر الدنيا فقال بلا قدره منها كان ابتداء خلقها و بغير امتناع منها كان فناؤها يعنى أنها مسخره تحت الأمر الإلهى .

قال و لو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها لأنها كانت تكون ممانعه للتقديم سبحانه فى مراده و إنما تمانعه فى مراده لو كانت قادره لذاتها و لو كانت قادره لذاتها و أرادت البقاء لبقيت .

قوله ع لم يتكأده بالمد أى لم يشق عليه و يجوز لم يتكأده بالتشديد و الهمزه و أصله من العقبه الكئود و هى الشاقه .

قال و لم يؤده أى لم يثقله.

ثم ذكر أنه تعالى لم يخلق الدنيا ليشد بها سلطانه و لا- لخوفه من زوال أو نقص يلحقه و لا- ليستعين بها على ند مماثل له أو يحترز بها عن ضد محارب له أو ليزداد بها ملكه ملكا أو ليكاثر بها شريكا فى شركته له أو لأنه كان قبل خلقها مستوحشا فأراد أن يستأنس بمن خلق .

ثم ذكر أنه تعالى سيفنيها بعد إيجادها لا لضجر لحقه فى تدبيرها و لا لراحه تصله فى إعدامها و لا لثقل شىء منها عليه حال وجودها و لا لملل أصابه فبعثه على إعدامها .

ثم عاد فقال إنه سبحانه سيعيدها إلى الوجود بعد الفناء لا لحاجه إليها و لا ليستعين ببعضها على بعض و لا لأنه استوحش حال عدمها فأحب أن يستأنس بإعادتها و لا لأنه فقد علما عند إعدامها فأراد بإعادتها استجداد ذلك العلم و لا لأنه صار فقيرا عند إعدامها فأحب أن يتكثر و يثرى بإعادتها و لا لذل أصابه بإفنائها فأراد العز بإعادتها.

فإن قلت إذا كان يفنيها لا لكذا و لا لكذا و كان من قبل أوجدها لا لكذا و لا لكذا ثم قلت إنه يعيدها لا لكذا و لا لكذا فلا أى حال أوجدها أولا و لأى حال أفناها ثانيا و لأى حال أعادها ثالثا خبرونا عن ذلك فإنكم قد حكيتم عنه عليه السلام الحكم و لم تحكوا عنه العله قلت إنما أوجدها أولا- للإحسان إلى البشر ليعرفوه فإنه لو لم يوجد لهم لبقى مجهولا لا يعرف ثم كلف البشر ليعرضهم للمنزله الجليله التى لا يمكن وصولهم إليها إلا بالتكليف و هى الثواب ثم يفنيهم لأنه لا بدّ من انقطاع التكليف ليخلص الثواب من مشاق التكليف و إذا كان لا بدّ من انقطاعه فلا فرق بين انقطاعه بالعدم المطلق

أو بتفريق الأجزاء و انقطاعه بالعدم المطلق قد ورد به الشرع و فيه لطف زائد للمكلفين لأنه أردع و أهيب في صدورهم من بقاء أجزاءهم و استمرار وجودها غير معدومه.

ثم إنه سبحانه يبعثهم و يعيدهم ليوصل إلى كل إنسان ما يستحقه من ثواب أو عقاب و لا يمكن إيصال هذا المستحق إلا بالإعادة و إنما لم يذكر أمير المؤمنين ع هذه التعليلات لأنه قد أشار إليها فيما تقدم من كلامه و هي موجودة في فرش خطبه و لأن مقام الموعظه غير مقام التعليل و أمير المؤمنين ع في هذه الخطبه يسلك مسلك الموعظه في ضمن تمجيد الباري سبحانه و تعظيمه و ليس ذلك بمظنه التعليل و الحجاج

ص: ٩٤

أَلَا- بِأَبِي وَ أُمِّي هُم مِّنْ عِندِهِ أَسْمَاءُ هُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ وَ فِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ وَ انْقِطَاعِ
 وَصِيَلِكُمْ وَ اسْتِعْمَالِ صِنْعَارِكُمْ ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدَّرْهِمِ مِنْ حِلِّهِ ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى
 أَكْثَرَ أَجْرًا مِنَ الْمُعْطَى ذَاكَ حَيْثُ تَسْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ بَلْ مِنَ النُّعْمَةِ وَ النَّعِيمِ وَ تَخْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ وَ تَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ
 إِخْرَاجِ ذَاكَ إِذَا عَضَّكُمْ الْبَلَاءُ كَمَا يَعْضُ الْقَتْبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعِنَاءَ وَ أَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ أَيُّهَا النَّاسُ أَلْقُوا هَذِهِ الْأَزِمَةَ
 الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورَهَا الْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ وَ لَا تَصِدُّوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُمْ وَ لَا تَقْتَحِمُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فُورِ نَارِ
 الْفِتْنَةِ وَ أَمِيطُوا عَنْ سِنِينِهَا وَ خَلُّوا قِصِدَ السَّبِيلِ لَهَا فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ وَ يَسْلِمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ
 كَمَثَلِ السَّرَاحِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَ لَجَّهَا فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَ عُوا وَ أَحْضَرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ فَفَهَّمُوا .

الإمامية تقول هذه العتده هُم الأئمة الأحد عشر من ولده ع و غيرهم يقول إنه عنى الأبدال الذين هم أولياء الله فى الأرض و قد تقدم منا ذكر القطب و الأبدال و أوضحنا ذلك إيضاها جليا.

قوله ع أسماؤهم فى السماء معروفه أى تعرفها الملائكة المعصومون أعلمهم الله تعالى بأسمائهم.

و فى الأرض مجهوله

أى عند الأكثرين لاستيلاء الضلال على أكثر البشر .

ثم خرج إلى مخاطبه أصحابه على عادته فى ذكر الملاحم و الفتن الكائنه فى آخر زمان الدنيا فقال لهم توقعوا ما يكون من إدبار أموركم و انقطاع وُصليكم جمع وُضله.

و استعمال صغاركم

أى يتقدم الصغار على الكبار و هو من علامات الساعة .

قال ذاك حيث يكون احتمال ضربه السيف على المؤمن أقل مشقه من احتمال المشقه فى اكتساب درهم حلال و ذلك لأن المكاسب تكون قد فسدت و اختلطت و غلب الحرام الحلال فيها.

قوله ذاك حيث يكون المعطى أعظم أجرا من المعطى معناه أن أكثر من يعطى و يتصدق فى ذلك الزمان يكون ماله حراما فلا أجر له فى التصدق به ثم أكثرهم يقصد الرياء و السمعه بالصدقه أو لهوى نفسه أو لخطره من خطراته و لا- يفعل الحسن لأنه حسن و لا الواجب لوجوبه فتكون اليد السفلى خيرا من اليد العليا عكس ما ورد فى الأثر و أما المعطى فإنه يكون فقيرا ذا عيال لا يلزمه أن يبحث عن المال أ حرام هو أم حلال فإذا أخذه ليسد به خلته و يصرفه فى قوت عياله كان أعظم أجرا ممن أعطاه.

وقد خطر لى فيه معنى آخر و هو أن صاحب المال الحرام إنّما يصرفه فى أكثر الأحوال و أغلبها فى الفساد و ارتكاب المحظور كما

٣٤٣٠

قَالَ

مَنْ اكْتَسَبَ مَالًا مِنْ نَهَائِشِ أَذْهَبَهُ اللَّهُ فِي نَهَائِرِ

(١)

فإذا أخذه الفقير منه على وجه الصدقه فقد فوت عليه صرفه فى تلك القبائح و المحظورات التى كان بعرضته صرف ذلك القدر فيها لو لم يأخذه الفقير فإذا قد أحسن الفقير إليه بكفه عن ارتكاب القبيح و من العصمه ألا يقدر فكان المعطى أعظم أجرا من المعطى .

قوله ع ذاك حيث تسكرون من غير شراب بل من النعمه بفتح النون و هى غصاره العيش و قد قيل فى المثل سكر الهوى أشد من سكر الخمر.

قال تحلفون من غير اضطرار أى تتهاونون باليمين و بذكر الله عزّ و جلّ.

قال و تكذبون من غير إحراج أى يصير الكذب لكم عاده و دربه لا تفعلونه لأن آخر منكم قد أخرجكم و اضطركم بالغىظ إلى الحلف و روى من غير إحواج بالواو أى من غير أن يحوجكم إليه أحد قال ذلك إذا عضكم البلاء كما يعض القتب غارب البعير هذا الكلام غير متصل بما قبله و هذه عاده الرضى رحمه الله يلتقط الكلام التقاطا و لا يتلو بعضه بعضا و قد ذكرنا هذه الخطبه أو أكثرها فيما تقدم من الأجزاء الأول و قبل هذا الكلام ذكر ما يناله شيعته من البؤس و القنوط و مشقه انتظار الفرج .

قوله ع ما أطول هذا العناء و أبعد هذا الرجاء هذا حكاية كلام شيعته و أصحابه.

ص: ٩٧

(١ - ١) النهائش: المظالم؛ و النهائير: المهالك؛ و انظر النهايه لابن الأثير؛..١/.

ثم قال مخاطبا أصحابه الموجودين حوله أيها الناس ألقوا هذه الأزمه التي تحمل ظهورها الأثقال عن أيديكم هذه كناية عن النهي عن ارتكاب القبيح و ما يوجب الإثم و العقاب و الظهور هاهنا هي الإبل أنفسها و الأثقال المآثم و إلقاء الأزمه ترك اعتماد القبيح فهذا عمومه و أما خصوصه فتعريض بما كان عليه أصحابه من الغدر و مخامرہ العدو عليه و إضممار الغل و الغش له و عصيانه و التلوى عليه و قد فسره بما بعده فقال و لا تصدعوا عن سلطانكم أى لا تفرقوا فتذموا غب فعالكم أى عاقبته .

ثم نهاهم عن اقتحام ما استقبلوه من فور نار الفتنة و فور النار غليانها و احتدامها و يروى ما استقبلكم .

ثم قال و أميطوا عن سننها أى تنحوا عن طريقها و خلوا قصد السبيل لها أى دعوها تسلك طريقها و لا تقفوا لها فيه فتكونوا حطبا لنارها.

ثم ذكر أنه قد يهلك المؤمن فى لهبها و يسلم فيه الكافر كما قيل المؤمن ملقى و الكافر موقى .

ثم ذكر أن مثله فيهم كالسرج يستضيء بها من ولجها أى دخل فى ضوئها.

و آذان قلوبكم كلمه مستعاره جعل للقلب آذانا كما جعل الشاعر للقلوب أبصارا فقال يدق على النواظر ما أتاه فتبصره بأبصار القلوب

أَوْصِيَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ كَثْرَةِ حَمِيدِهِ عَلَى آيَاتِهِ إِلَيْكُمْ وَ نِعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ وَ بَلَائِهِ لَدَيْكُمْ فَكُمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمِهِ وَ تَدَارَكَكُمْ بِرَحْمِهِ أَعْوَزْتُمْ لَهُ فَسَيَتَرَكُمُ وَ تَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلُكُمْ وَ أَوْصِيَكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَ إِقْلَالِ الْغُفْلَةِ عَنْهُ وَ كَيْفَ غَفَلْتُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفَلُكُمْ وَ طَمَعْتُمْ فِيْمَنْ لَيْسَ يُمَهِّلُكُمْ فَكَفَى وَاعْظَا بِمَوْتِي عَايَتْتُمُوهُمْ حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ وَ أَنْزَلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ فَكَانَتْهُمْ [كَانَتْهُمْ]

لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَارًا وَ كَانَ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَارًا أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ وَ أَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ وَ اشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا وَ أَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسِيءُ تَطْيَعُونَ انْتِقَالًا وَ لَا فِي حَسَنٍ يَسِيءُ تَطْيَعُونَ اِرْتِدَادًا أَنْسُوا بِالدُّنْيَا فَعَرَّتْهُمْ وَ وَثِقُوا بِهَا فَصَيَّرَعَتْهُمْ فَسَيَّابِقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى مَنَازِلِكُمْ الَّتِي أَمَرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا وَ الَّتِي رَغِبْتُمْ فِيهَا وَ دُعِيتُمْ إِلَيْهَا وَ اسْتَمْتُمُوا نَعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ وَ الْمُجَابَنَةِ لِمَعْصِيَتِهِ فَإِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ وَ أَسْرَعَ الْأَيَّامِ فِي الشَّهْرِ وَ أَسْرَعَ الشُّهُورِ فِي السَّنَةِ وَ أَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ .

أى انكشفتهم و بدت عوراتكم و هى المقاتل تقول أعور الفارس إذا بدت مقاتله و أعورك الصيد إذا أمكنك منه .

قوله ع أوحشوا ما كانوا يوطنون أى أوطنوا قبورهم التى كانوا يوحشونها.

قوله ع و اشتغلوا بما فارقوا أى اشتغلوا و هم فى القبور بما فارقوه من الأموال و القينات لأنها أذى و عقاب عليهم فى قبورهم و لولاها لكانوا فى راحه و يجوز أن يكون حكاية حالهم و هم بعد فى الدنيا أى اشتغلوا أيام حياتهم من الأموال و المنازل بما فارقوه و أضاعوا من أمر آخرتهم ما انتقلوا إليه .

ثم ذكر أنهم لا- يستطيعون فعل حسنه و لا توبه من قبيح لأن التكليف سقط و المنازل التى أمروا بعمارته و المقابر و عمارتها الأعمال الصالحه و قوله ع إن غدا من اليوم قريب كلام يجرى مجرى المثل قال غدا ما غدا ما أقرب اليوم من غدا و الأصل فيه قول الله تعالى إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ - (١).

و قوله ع ما أسرع الساعات فى اليوم إلى آخر الفصل كلام شريف و جيز بالغ فى معناه و الفصل كله نادر لا نظير له

ص : ١٠٠

فَمِنَ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقَرًّا فِي الْقُلُوبِ وَ مِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَّ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَ الصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَخْضُرَهُ الْمَوْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حُدُّ الْبَرَاءَةِ وَ الْهَجْرَةُ فَائْتِمِ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ الْأُمَّةِ وَ مُغْلِنَهَا لَا يَقَعُ اسْمُ الْهَجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ عَرَفَهَا وَ أَقْرَبَهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ وَ لَا يَقَعُ اسْمُ الْإِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَجَعَتْهَا أُذُنُهُ وَ وَعَاها قَلْبُهُ إِنْ أَمَرْنَا صِبْغًا مُسْتَضْعَفًا لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ ائْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ وَ لَا يَبْعِي حَيْدِثَنَا إِلَّا صِدُورٌ أَمِينَةٌ وَ أَحْلَامٌ رَزِينَةٌ أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطُّ فِي خِطَامِهَا وَ تَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا .

هذا الفصل يحمل على عده مباحث أولها قوله ع فمن الإيمان ما يكون كذا فنقول إنه قسم الإيمان إلى ثلاثة أقسام

أحدها الإيمان الحقيقي و هو الثابت المستقر فى القلوب بالبرهان اليقيني.

الثانى ما ليس ثابتا بالبرهان اليقيني بل بالدليل الجدلى كإيمان كثير ممن لم يحقق العلوم العقلية و يعتقد ما يعتقد عن أقيسه جدليه لا تبلغ إلى درجه البرهان و قد سمى ع هذا القسم باسم مفرد فقال إنّه عوارى فى القلوب و العوارى جمع عاريه أى هو و إن كان فى القلب و فى محل الإيمان الحقيقي إلا أن حكمه حكم العاريه فى البيت فإنها بعرضه الخروج منه لأنها ليست أصلية كائنه فى بيت صاحبها.

و الثالث ما ليس مستندا إلى برهان و لا إلى قياس جدلى بل على سبيل التقليد و حسن الظنّ بالأسلاف و بمن يحسن ظنّ الإنسان فيه من عابد أو زاهد أو ذى ورع و قد جعله ع عوارى بين القلوب و الصدور لأنه دون الثانى فلم يجعله حالا فى القلب و جعله مع كونه عاريه حالا بين القلب و الصدر فيكون أضعف ممّا قبله.

فإن قلت فما معنى قوله إلى أجل معلوم قلت إنّه يرجع إلى القسمين الأخيرين لأن من لا يكون إيمانه ثابتا بالبرهان القطعى قد ينتقل إيمانه إلى أن يصير قطعيا بأن يمعن النظر و يرتب البرهان ترتيبا مخصوصا فينتج له النتيجة اليقينية و قد يصير إيمان المقلد إيمانا جدليا فيرتقى إلى ما فوقه مرتبه و قد يصير إيمان الجدلى إيمانا تقليديا بأن يضعف فى نظره ذلك القياس الجدلى و لا يكون عالما بالبرهان فيؤول حال إيمانه إلى أن يصير تقليديا فهذا هو فائده قوله إلى أجل معلوم فى هذين القسمين.

فأما صاحب القسم الأوّل فلا- يمكن أن يكون إيمانه إلى أجل معلوم لأن من ظفر بالبرهان استحال أن ينتقل عن اعتقاده لا صاعدا و لا هابطا أما لا صاعدا فلأنه ليس فوق البرهان مقام آخر و أمّا لا هابطا فلأن ماده البرهان هى المقدمات البديهيه

و المقدمات البديهيه يستحيل أن تضعف عند الإنسان حتى يصير إيمانه جدليا أو تقليديا.

و ثانيها قوله ع فإذا كانت لكم براءه فنقول إنه ع نهى عن البراءه من أحد ما حيا لأنه و إن كان مخطئا في اعتقاده لكن يجوز أن يعتقد الحق فيما بعد و إن كان مخطئا في أفعاله لكن يجوز أن يتوب فلا تحل البراءه من أحد حتى يموت على أمر فإذا مات على اعتقاد قبيح أو فعل قبيح جازت البراءه منه لأنه لم يبق له بعد الموت حاله تنتظر و ينبغي أن تحمل هذه البراءه التي أشار إليها ع على البراءه المطلقه لا- على كل براءه لأنا يجوز لنا أن نبرأ من الفاسق و هو حى و من الكافر و هو حى لكن بشرط كونه فاسقا و بشرط كونه كافرا فأما من مات و نعلم ما مات عليه فإننا نبرأ منه براءه مطلقه غير مشروطه .

و ثالثها قوله و الهجره قائمه على حدها الأول فنقول هذا كلام يختص به أمير المؤمنين ع و هو من أسرار الوصيه لأن الناس يروون

٣٦٣١

١٤- عَنِ النَّبِيِّ ص أَنَّهُ قَالَ لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ فَشَفَعَ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ فِي نُعَيْمِ بْنِ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيِّ أَنْ يَسْتَشِيئَهُ فَاسْتَشْنَاهُ .

و هذه الهجره التي يشير إليها أمير المؤمنين ع ليست تلك الهجره بل هي الهجره إلى الإمام قال إنها قائمه على حدها الأول ما دام التكليف باقيا و هو معنى قوله ما كان لله تعالى في أهل الأرض حاجه .

و قال الراوندى ما هاهنا نافية أى لم يكن لله فى أهل الأرض من حاجه و هذا ليس بصحيح لأنه إدخال كلام منقطع بين كلامين متصل أحدهما بالآخر .

ثم ذكر أنه لا يصح أن يعد الإنسان من المهاجرين إلا بمعرفه إمام زمانه و هو

ص: ١٠٣

معنى قوله إلا بمعرفه الحجه فى الأرض قال فمن عرف الإمام و أقرب به فهو مهاجر .

قال و لا يجوز أن يسمى من عرف الإمام مستضعفا يمكن أن يشير به إلى آيتين فى القرآن أحدهما قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ (١) فالمراد على هذا أنه ليس من عرف الإمام و بلغه خبره بمستضعف كما كان هؤلاء مستضعفين و إن كان فى بلده و أهله لم يخرج و لم يتجشم مشقه السفر.

ثانيهما قوله تعالى فى الآيه التى تلى الآيه المذكوره إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ (٢) فالمراد على هذا أنه ليس من عرف الإمام و بلغه خبره بمستضعف كهؤلاء الذين استثناهم الله تعالى من الظالمين لأن أولئك كانت الهجره بالبدن مفروضه عليهم و عفى عن ذوى العجز عن الحركة منهم و شيعه الإمام ع ليست الهجره بالبدن مفروضه عليهم بل تكفى معرفتهم به و إقرارهم بإمامته فلا يقع اسم الاستضعاف عليهم.

فإن قلت فما معنى قوله من مستسر الأمه و معلنها و بما ذا يتعلق حرف الجر قلت معناها ما دام الله فى أهل الأرض المستسر منهم باعتقاده و المعلن حاجه فمن على هذا زائده فلو حذف لجر المستسر بدلا من أهل الأرض و من إذا كانت زائده لا تتعلق نحو قولك ما جاءنى من أحد.

ص: ١٠٤

١- ١) سورة النساء ٩٧.

٢- ٢) سورة النساء ٩٩، ٩٨.

و رابعها قوله ع إن أمرنا هذا صعب مستصعب و يروى مستصعب بكسر العين لا يحتمله إلا عبد امتحن الله تعالى قلبه للإيمان هذه من ألفاظ القرآن العزيز قال الله تعالى أُولَئِكَ الَّذِينَ اٰمَنُوا بِاللّٰهِ قُلُوبُهُمْ لِلتَّقْوٰى (١) و هو من قولك امتحن فلان لأمر كذا و جرب و درب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه و المعنى أنهم صبر على التقوى أقوىاء على احتمال مشاقها و يجوز أن يكون وضع الامتحان موضع المعرفة لأن تحققك الشيء إنما يكون باختباره كما يوضع الخبر موضع المعرفة فكأنه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى فتعلق اللام بمحذوف أى كائنه له و هى اللام التى فى قولك أنت لهذا الأمر أى مختص به كقوله أعداء من للعمليات على الوجا و تكون مع معمولها منصوبه على الحال و يجوز أن يكون المعنى ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن و التكليف الصعبة لأجل التقوى أى لتثبت فيظهر تقواها و يعلم أنهم مُتَّقُونَ لأن حقيقه التقوى لا تعلم إلا عند المحن و الشدائد و الاضطبار عليها.

و يجوز أن يكون المعنى أنه أخلص قلوبهم للتقوى من قولهم امتحن الذهب إذا أذابه فخلص إبريزه من خبثه و نقاه.

و هذه الكلمه قد قالها ع مرارا

٣٦٣٢

وَ وَقَفْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ عَلَى خُطْبِهِ مِنْ جُمَلَتِهَا

إِنَّ فُرِيشًا طَلَبَتِ السَّعَادَةَ فَشَقِيَتْ وَ طَلَبَتِ النَّجَاةَ فَهَلَكَتْ وَ طَلَبَتِ الْهُدٰى فَضَلَّتْ أَلَمْ يَسِيْمَعُوا وَيُحْمَهُمْ قَوْلُهُ تَعَالٰى وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ (٢) فَأَيْنَ الْمَعْدِلُ وَ الْمَنْزَعُ عَنْ ذُرِّيَّةِ الرَّسُولِ الَّذِينَ شَئِدَ اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ فَوْقَ بُنْيَانِهِمْ وَ أَعْلٰى رُءُوسِهِمْ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ وَ اخْتَارَهُمْ عَلَيْهِمْ أَلَا- إِنَّ الذُّرِّيَّةَ أَفْأَنُّ أَنَا شَجَرْتُهَا وَ دَوْحُهُ أَنَا سَاقُهَا وَ إِنِّي مِنْ أَحْمَدٍ بِمَنْزِلِهِ الضُّوءِ مِنَ الضُّوءِ كُنَّا

ص: ١٠٥

١-١) سورة الحجرات ٣.

٢-٢) سورة الطور ٢١.

ظِلَالًا تَحْتَ الْعَرْشِ قَبْلَ خَلْقِ الْبَشَرِ وَقَبْلَ خَلْقِ الطِّينِ الَّتِي كَانَ مِنْهَا الْبَشَرُ أَشْبَاحًا عَالِيَةً لَا أَجْسَامًا نَامِيَةً إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَعْرِفُ كُنْهَهُ إِلَّا ثَلَاثَةٌ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَوْ عَبْدٌ ائْتَمَرَ اللَّهُ قَلْبُهُ لِلْإِيمَانِ فَإِذَا انْكَشَفَ لَكُمْ سِتْرٌ أَوْ وَضَحَ لَكُمْ أَمْرٌ فَاقْبَلُوهُ وَإِلَّا فَاسْكُتُوا تَسْلَمُوا وَرُدُّوا عَلِمْنَا إِلَى اللَّهِ فَإِنَّكُمْ فِي أَوْسَعِ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .

و خامسها قوله سلوني قبل أن تفقدوني

٣٤٣٣

١- أَجْمَعَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ سَلُونِي غَيْرَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَ ذَكَرَ ذَلِكَ إِنْ عَبْدَ الْبَرِّ الْمُحَدَّثُ فِي كِتَابِ الْإِسْتِيعَابِ .

و المراد بقوله فلأنا أعلم بطرق السماء منى بطرق الأرض ما اختص به من العلم بمستقبل الأمور و لا سيما فى الملاحم و الدول و قد صدق هذا القول عنه ما تواتر عنه من الأخبار بالغيوب المتكرره لا مره و لا مائه مره حتى زال الشك و الريب فى أنه إخبار عن علم و أنه ليس على طريق الاتفاق و قد ذكرنا كثيرا من ذلك فيما تقدم من هذا الكتاب.

و قد تأوله قوم على وجه آخر قالوا أراد أنا بالأحكام الشرعيه و الفتاوى الفقهيّه أعلم منى بالأمور الدينويه فعبر عن تلك بطرق السماء لأنها أحكام إلهيه و عبر عن هذه بطرق الأرض لأنها من الأمور الأرضيه و الأول أظهر لأن فحوى الكلام و أوله يدل على أنه المراد

ص: ١٠٦

و على ذكر قوله ع سلونى حدّثنى من أثق به من أهل العلم حديثا و إن كان فيه بعض الكلمات العاميه إلا أنّه يتضمن ظرفا و لطفًا و يتضمن أيضا أدبا.

قال كان ببغداد فى صدر أيام الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضىء بالله واعظ مشهور بالحدق و معرفه الحديث و الرجال و كان يجتمع إليه تحت منبره خلق عظيم من عوام بغداد و من فضلائها أيضا و كان مشتهرا بدم أهل الكلام و خصوصا المعتزله و أهل النظر على قاعده الحشويه و مبغضى أرباب العلوم العقلية و كان أيضا منحرفا عن الشيعة برضا العامه بالميل عليهم فاتفق قوم من رؤساء الشيعة على أن يضعوا عليه من بيكته و يسأله تحت منبره و يخجله و يفضحه بين الناس فى المجلس و هذه عاده الوعاظ يقوم إليهم قوم فيسألونهم مسائل يتكلفون الجواب عنها و سألوا عمن ينتدب لهذا فأشير عليهم بشخص كان ببغداد يعرف بأحمد بن عبد العزيز الكزى كان له لسن و يشتغل بشيء يسير من كلام المعتزله و يتشيع و عنده قحه و قد شدا أطرافا من الأدب و قد رأيت أنا هذا الشخص فى آخر عمره و هو يومئذ شيخ و الناس يختلفون إليه فى تعبير الرؤيا فأحضره و طلبوا إليه أن يعتمد ذلك فأجابهم و جلس ذلك الواعظ فى يومه الذى جرت عادته بالجلوس فيه و اجتمع الناس عنده على طبقاتهم حتى امتلأت الدنيا بهم و تكلم على عادته فأطال فلما مر فى ذكر صفات البارى سبحانه فى أثناء الوعظ قام إليه الكزى فسأله أسئلة عقليه على منهاج كلام المتكلمين من المعتزله فلم يكن للواعظ عنها جواب نظرى و إنما دفعه بالخطابه و الجدل و سجع الألفاظ و تردد الكلام بينهما طويلا و قال الواعظ فى آخر الكلام أعين المعتزله حول و صوتى

فى مسامعهم طبول و كلامى فى أفئدتهم نصول يا من بالاعتزال يصول ويحك كم تحوم و تجول حول من لا تدركه العقول كم أقول كم أقول خلوا هذا الفضول.

فارتج المجلس و صرخ الناس و علت الأصوات و طاب الواعظ و طرب و خرج من هذا الفصل إلى غيره فشطح شطح الصوفيه و قال سلونى قبل أن تفقدونى و كررها فقام إليه الكزى فقال يا سيدى ما سمعنا أنه قال هذه الكلمه إلا على بن أبى طالب ع و تمام الخبر معلوم و أراد الكزى بتمام الخبر

٣٤٣٤

قَوْلُهُ ع

لَا يَقُولُهَا بَعْدِي إِلَّا مُدَّعٍ .

فقال الواعظ و هو فى نشوه طربه و أراد إظهار فضله و معرفته برجال الحديث و الرواه من على بن أبى طالب أ هو على بن أبى طالب بن المبارك النيسابورى أم على بن أبى طالب بن إسحاق المروزى أم على بن أبى طالب بن عثمان القيروانى أم على بن أبى طالب بن سليمان الرازى و عد سبعة أو ثمانية من أصحاب الحديث كلهم على بن أبى طالب فقام الكزى و قام من يمين المجلس آخر و من يسار المجلس ثالث انتدبوا له و بذلوا أنفسهم للحميه و وطنوها على القتل.

فقال الكزى أشا يا سيدى فلان الدين أشا صاحب هذا القول هو على بن أبى طالب زوج فاطمه سيده نساء العالمين ع و إن كنت ما عرفته بعد بعينه فهو الشخص الذى لما آخى رسول الله ص بين الأتباع و الأذئاب آخى بينه و بين نفسه و أسجل على أنه نظيره و مماثله فهل نقل فى جهازكم أنتم من هذا شىء أو نبت تحت خبكم من هذا شىء.

فأراد الواعظ أن يكلمه فصاح عليه القائم من الجانب الأيمن و قال يا سيدى فلان الدين محمّد بن عبد الله كثير فى الأسماء و لكن ليس فيهم من قال له ربّ العزه

ص: ١٠٨

مَا ضَلَّ صَاحِبِكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ

(١)

و كذلك على بن أبي طالب كثير في الأسماء و لكن ليس فيهم من

٣٦٣٥

قَالَ لَهُ صَاحِبُ الشَّرِيعَةِ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَرُونَ مِنْ مُوسَىٰ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي.

و قد تلتقى الأسماء في الناس و الكنى

كثيرا و لكن ميزوا في الخلائق.

فالتفت إليه الواعظ ليكلمه فصاح عليه القائم من الجانب الأيسر و قال يا سيدى فلان الدين حقك تجهله أنت معذور فى كونك لا تعرفه و إذا خفيت على الغبى فعاذر ألا ترانى مقله عمياء.

فاضطرب المجلس و ماج كما يموج البحر و افتتن الناس و توثبت العامة بعضها إلى بعض و تكشفت الرؤوس و مزقت الثياب و نزل الواعظ و احتمل حتى أدخل دارا أغلق عليه بابها و حضر أعوان السلطان فسكنوا الفتنة و صرفوا الناس إلى منازلهم و أشغالهم و أنفذ الناصر لدين الله فى آخر نهار ذلك اليوم فأخذ أحمد بن عبد العزيز الكزى و الرجلين اللذين قاما معه فحبسهم أياما لتطفأ نائره الفتنة ثم أطلقهم

ص: ١٠٩

١-١) سورة النجم ٢-٤.

أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ وَ أَسْتَتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ عَزِيزَ الْجُنْدِ عَظِيمَ الْمَجْدِ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ وَ قَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَادًا عَنِ دِينِهِ لَا يَثْنِيهِ عَنِ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ وَ التَّمَسُّسُ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ فَاعْتَصَمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا عَزُوتَهُ وَ مَعْقِلًا مَنِيعًا ذُرُوتَهُ وَ بَادِرُوا الْمَوْتَ وَ غَمَرَاتِهِ وَ امْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ وَ أَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نَزُولِهِ فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةَ وَ كَفَى بِذَلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ وَ مُعْتَبَرًا لِمَنْ جَهَلَ وَ قَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعَلَّمُونَ مِنْ ضَيْقِ الْأَرْمَاسِ وَ شِدَّةِ الْإِبْلَاسِ وَ هَوْلِ الْمُطَّلَعِ وَ رَوْعَاتِ الْفَرْعِ وَ اخْتِلَافِ الْأَضْلَاعِ وَ اسْتِتْكَاكِ الْأَسْمَاعِ وَ ظُلْمَةِ اللَّحِيدِ وَ حَيْفِهِ الْوَعِيدِ وَ غَمِّ الضَّرِيحِ وَ رَذَمِ الصَّفِيحِ فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنِ وَ أَنْتُمْ وَ السَّاعَةُ [السَّاعَةُ]

فِي قَرْنٍ وَ كَانَتْهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا وَ أَرِفَتْ بِأَفْوَاطِهَا وَ وَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا وَ كَانَتْهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِرِزَالِزِلِهَا وَ أَنَاخَتْ بِكَالِكَلِهَا وَ انْصَرَفَتْ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا وَ أَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا فَكَانَتْ كَيَوْمِ مَضَى وَ شَهْرٍ انْقَضَى وَ صَارَ جَدِيدُهَا رِثًا وَ سَمِينُهَا غَنًا فِي مَوْقِفِ ضَنْكَ الْمَقَامِ وَ أُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ وَ نَارٍ شَدِيدٍ كَلْبِهَا عَالٍ لِحَبِّهَا سَاطِعٍ لَهَبُهَا مُتَعَيِّظٍ زَفِيرُهَا مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا بَعِيدٍ حُمُودُهَا ذَاكٍ وَ قُودُهَا مَخُوفٍ

وَعِيدَهَا عَمَّ قَرَارُهَا مُظْلِمِهِ أَقْطَارُهَا حَامِيهِ قُدُورُهَا فَطِيعِهِ أُمُورُهَا وَسَبِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا قَدْ أَمِنَ الْعَذَابُ وَانْقَطَعَ
الْعَتِيَابُ وَزُخْرِحُوا عَنِ النَّارِ وَاطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً وَ
كَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَارًا تَخْشَعًا وَاسْتِغْفَارًا وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا تَوْحُّشًا وَانْقِطَاعًا فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَأْبَأً وَالْجَزَاءَ ثَوَابًا وَكَانُوا
أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا فِي مِلْسِكِ دَائِمٍ وَنَعِيمِ قَائِمٍ فَارْعَوْا عِبَادَ اللَّهِ مَا بَرِعَاتِيهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ وَيَاضَاعَتِيهِ يَخْسِرُ مُبْطِلُكُمْ وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ
بِأَعْمَالِكُمْ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهِنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ وَكَأَنَّ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ الْمَخُوفُ فَلَا رَجْعَهُ تَنَالُونَ [تَنَالُونَ]

وَلَا عَتْرَهُ تَقَالُونَ اسْتَعْمَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ الزُّمُومَا الْأَرْضَ وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ وَ
لَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعْجَلْهُ اللَّهُ لَكُمْ فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى
مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيدًا وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَاسْتَوْجِبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ وَقَامَتِ النَّيَّةُ
مَقَامَ إِصْلَاتِهِ لِسِنْفِهِ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلًا .

وظائف حقوقه

الواجبات المؤقتة كالصلوات الخمس و صوم شهر رمضان و الوظيفة ما يجعل للإنسان في كل يوم أو في كل شهر أو في كل
سنة من طعام أو رزق

ص: ١١١

و عزيز منصوب لأنه حال من الضمير فى أستعينه و يجوز أن يكون حالا من الضمير المجرور فى حقوقه و إضافة عزيز إلى الجند إضافة فى تقدير الانفصال لا توجب تعريفه ليمنع من كونه حالا .

و قاهر أعداءه

حاربهم و روى و قهر أعداءه .

و المعقل ما يعتصم به و ذروته أعلاه .

و امهدوا له

اتخذوا مهادا و هو الفراش و هذه استعاره.

قوله ع فإن الغايه القيامه أى فإن منتهى كل البشر إليها و لا بد منها .

و الأرماس جمع رمس و هو القبر و الإبلاس مصدر أبلس أى خاب و يئس و الإبلاس أيضا الانكسار و الحزن.

و استكاك الأسماع

صممها.

و غم الضريح

ضيق القبر و كربه و الصفيح الحجر و ردمه سده .

و السنن الطريق و القرن الجبل.

و أشرط الساعه علاماتها و أزفت قربت و أفرطها جمع فرط و هم المتقدمون السابقون من الموتى و من روى بإفراطها فهو مصدر أفرط فى الشىء أى قربت الساعه بشده غلوائها و بلوغها غايه الهول و الفظاعه و يجوز أن تفسر الروايه الأولى بمقدماتها و ما يظهر قبلها من خوارق العادات المزعجه كالدجال و دابه الأرض و نحوهما و يرجع ذلك إلى اللفظه الأولى و هى أشرطها و إنما يختلف اللفظ.

و الكلاكل جمع كلكل و هو الصدر و يقال للأمر الثقيل قد أناخ عليهم بكلكله أى هدهم و رضهم كما يهد البعير البارك من تحته إذا أنحى عليه بصدرة .

قوله ع و انصرفت الدنيا بأهلها أى ولت و يروى و انصرمت أى انقضت.

و الحضن بكسر الحاء ما دون الإبط إلى الكشح .

و الرث الخلق و الغث الهزيل .

و مقام ضنك أى ضيق .

و شديد كلبها أى شرها و أذاها و اللجب الصوت و وقودها هاهنا بضم الواو و هو الحدث و لا- يجوز الفتح لأنه ما يوقد به كالحطب و نحوه و ذاك لا يوصف بأنه ذاك .

قوله ع عم قرارها أى لا يهتدى فيه لظلمته و لأنه عميق جدا و يروى و كأنّ ليلهم نهار و كذلك أختها على التشبيه .

و المآب المرجع و مدينون مجزيون .

قوله ع فلا رجعه تنالون الروايه بضم التاء أى تعطون يقال أنلت فلانا مالا أى منحته و قد روى تنالون بفتح التاء .

ثمّ أمر أصحابه أن يشتبوا و لا يعجلوا فى محاربه من كان مخالطا لهم من ذوى العقائد الفاسده كالخوارج و من كان يبطن هوى معاويه و ليس خطابه هذا تشبيها لهم عن حرب أهل الشام كيف و هو لا يزال يقرعهم و يوبخهم عن التقاعد و الإبطاء فى ذلك و لكن قوما من خاصته كانوا يطلعون على ما عند قوم من أهل الكوفه و يعرفون نفاقهم و فسادهم و يرومون قتلهم و قتالهم فنهاهم عن ذلك و كان يخاف فرقه جنده و انتثار جبل عسكره فأمرهم بلزوم الأرض و الصبر على البلاء .

و روى بإسقاط الباء من قوله بأيديكم و من روى الكلمه بالباء جعلها زائده و يجوز ألا تكون زائده و يكون المعنى و لا تحركوا الفتنة بأيديكم و سيوفكم فى هوى ألسنتكم فحذف المفعول .

و الإصلاط بالسيف مصدر أصلت أى سل .

و اعلم أن هذه الخطبه من أعيان خطبه ع و من ناصع كلامه و نادره و فيها من صناعه البديع الرائقه المستحسنه البريئه من التكلف ما لا- يخفى و قد أخذ ابن نباته الخطيب كثيرا من ألفاظها فأودعها خطبه مثل قوله شديد كلبها عال لجبها ساطع لهبها متغيظ زفيرها متأجج سعيرها بعيد خمودها ذاك وقودها مخوف وعيدها عم قرارها مظلمه أقطارها حاميه قدورها فظيعة أمورها فإن هذه الألفاظ كلها اختطفها و أغار عليها و اغتصبها و سمط بها خطبه و شذر بها كلامه.

و مثل قوله هول المطلع و روعات الفزع و اختلاف الأضلاع و استكاك الأسماع و ظلمه اللحد و خيفه الوعد و غم الضريح و ردم الصفيح فإن هذه الألفاظ أيضا تمضى فى أثناء خطبه و فى غضون مواعظه

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ وَالْمُتَعَالَى جَدُّهُ أَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ التُّوَامِ وَالْآيَةِ الْعِظَامِ الَّذِي عَظَّمَ حِلْمُهُ فَعَفَا وَ
عَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى وَعَلِمَ مَا [بِمَا]

يَمْضَى وَمَا مَضَى مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بَعْلَمِهِ وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ بِلَا اقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ وَلَا اخْتِدَاءٍ لِمَثَالِ صَانِعِ حَكِيمٍ وَلَا إِصَابِهِ خَطَأٍ وَلَا
حَضْرِهِ مَلَأٍ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ابْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرِهِ وَيَمْوجُونَ فِي حَيْرِهِ قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْزَمَةُ الْحَيْنِ وَ
اسْتَيْغَلَّتْ عَلَى أَفْتِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ عِبَادَ اللَّهِ أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقَّكُمْ وَأَنْ تَسْتَعِينُوا
عَلَيْهَا بِاللَّهِ وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِزْرُ وَالْجَنَّةُ وَفِي غَدِ الطَّرِيقِ إِلَى الْجَنَّةِ مَسْلُكُهَا وَاصْبِرْ وَسَالِكُهَا رَابِحٌ وَ
مُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسِهَا عَلَى الْأُمَّمِ الْمَاضِيَةِ مِنْكُمْ وَالْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَدًا إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبْدَى وَأَخَذَ مَا
أَعْطَى وَسَأَلَ عَمَّا أَسْدَى فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبَلَهَا وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا أَوْلَيْكَ الْأَقْلُونَ عَدَدًا وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ وَقَلِيلٌ
مِنْ عِبَادِي الشَّاكِرُونَ (١) فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا وَالْأَطْوَا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا وَاعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلْفٍ خَلْفًا وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقًا

ص: ١١٥

أَيَقُطُّوا بِهَا نَوْمَكُمْ وَاقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ وَاشْعِرُوا قُلُوبَكُمْ وَارْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ وَدَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ وَاعْتَبِرُوا
بِمَنْ أَضَاعَهَا وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا إِلَّا فَصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا بِهَا وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نَزَاهًا وَإِلَى الْآخِرَةِ وُلَاهًا وَلَا تَضْمَعُوا مَنْ
رَفَعْتَهُ التَّقْوَى وَلَا تَزْفَعُوا مَنْ رَفَعْتَهُ الدُّنْيَا وَلَا تَشْتِيمُوا بَارِقَهَا وَلَا تَسْتَمِعُوا نَاطِقَهَا وَلَا تَجِيئُوا نَاعِقَهَا وَلَا تَسْتَنْصِئُوا بِإِسْرَاقِهَا وَلَا
تُفْتِنُوا بِأَعْلَاقِهَا فَإِنَّ بَرَقَهَا خَالِبٌ وَنُطِقَهَا كَاذِبٌ وَأَمْوَالُهَا مَحْرُوبَةٌ وَأَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ إِلَّا وَهِيَ الْمُتَّصِدِّيَةُ الْعُنُونُ وَالْجَامِئَةُ الْحُرُونُ
وَالْمَيْائِنَةُ الْحُنُونُ وَالْجَحِيوُدُ الْكُنُودُ وَالْعُنُودُ الصُّدُودُ وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ حَالِهَا انْتِقَالٌ وَوَطْأَتُهَا زَلْزَالٌ وَعِزُّهَا ذُلٌّ وَجِدُّهَا هَزْلٌ وَ
عُلُوهَا سُفْلٌ دَارٌ [حَرْبٌ]

حَرْبٌ وَ سَيْلٌ وَ نَهْبٌ وَ عَطَبٌ أَهْلُهَا عَلَى سَيْاقٍ وَ سَيْمَاقٍ وَ لِحَاقٍ وَ فِرَاقٍ قَدْ تَحَيَّرَتْ مِذَاهِبُهَا وَ أَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا وَ خَابَتْ مَطَالِبُهَا
فَأَسْلَمَتْهُمْ الْمَعَاقِلُ وَ لَفْظَتْهُمْ الْمَنَازِلُ وَ أَعْيَتْهُمْ الْمَحَاوِلُ فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ وَ لَحْمٍ مَجْزُورٍ وَ شَلْوٍ مَذْبُوحٍ وَ دَمٍ مَسْفُوحٍ وَ عَاضٍ عَلَى
يَدَيْهِ وَ صِيَافِقٍ بِكَفَيْهِ وَ مُزْتَفِقٍ بِخَدَيْهِ وَ زَارٍ عَلَى رَأْيِهِ وَ رَاجِعٍ عَنِ عِزِّهِ وَ قَدْ أَدْبَرَتِ الْحَيْلُ وَ أَقْبَلَتِ الْغَيْلُ وَ لَأَتَّ حِينَ مَنَاصٍ
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ وَ ذَهَبَ مَا ذَهَبَ وَ مَضَّتِ الدُّنْيَا لِحَالٍ بِأَلْهَا فَلَمَّا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَ مَا كَانُوا مُنْظَرِينَ .

(١)

ص: ١١٦

(١-١) سورة الدخان ٢٩.

الذائع فشا الخبر يفشو فشوا أى ذاع و أفشاه غيره و تفشى الشىء أى اتسع و الفواشى كل منتشر من المال مثل الغنم السائمه و الإبل و غيرهما و منه الحديث

٣٦٣٦

ضُمُوا فَوَاشِيَكُمْ حَتَّى تَذَهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ.

فيجوز أن يكون عنى بفشو حمده إطباق الأمم قاطبه على الاعتراف بنعمته و يجوز أن يريد بالفاشى سبب حمده و هو النعم التى لا يقدر قدرها فحذف المضاف.

قوله و الغالب جنده فيه معنى قوله تعالى فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (١).

قوله و المتعالى جده فيه معنى قوله تعالى وَ أَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا (٢) و الجد فى هذا الموضع و فى الآيه العظمه .

و التؤام جمع توأم على فوعل و هو الولد المقارن أخاه فى بطن واحد و قد أتأمت المرأه إذا وضعت اثنين كذلك فهى متثم فإن كان ذلك عادتها فهى متآم و كل واحد من الولدين توأم و هما توأمان و هذا توأم هذا و هذه توأمته و الجمع توأم مثل قشعم و قشاعم و جاء فى جمعه توأم على فعال و هى اللفظه التى وردت فى هذه الخطبه و هو جمع غريب لم يأت نظيره إلا فى مواضع معدوده و هى عرق العظم يؤخذ عنه اللحم و عراق و شاه ربي للحدِيثه العهد بالولاده و غنم رباب و ظئر للمرضعه غير ولدها و ظوار و رخل للأنثى من أولاد الضأن و رخال و فرير لولد البقره الوحشيه و فرار (٣).

و الآلاء النعم.

ص: ١١٧

١-١ (١) سورة المائده ٥٦.

٢-٢ (٢) سورة الجن ٣.

٣-٣ (٣) انظر صحاح الجوهري ٤:١٥٢٣ و اللسان-فرر.

قوله ع مبدع الخلاق بعلمه ليس يريد أن العلم عله في الإبداع كما تقول هوى الحجر بثقله بل المراد أبداع الخلق و هو عالم كما تقول خرج زيد بسلاحه أى خرج متسلحا فموضع الجار و المجرور على هذا نصب بالحاليه و كذلك القول فى و منشئهم بحكمه و الحكم هاهنا الحكمه.

و منه

٣٤٣٧

قَوْلُهُ ع إِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لِحِكْمَةٍ.

قوله بلا اقتداء و لا تعليم و لا احتذاء قد تكرر منه ع أمثاله مرارا.

قوله و لا- إصابه خطأ تحته معنى لطيف و ذلك لأن المتكلمين يوردون على أنفسهم سؤالا فى باب كونه عالما بكل معلوم إذا استدلوا على ذلك فإنه علم بعض الأشياء لا من طريق أصلا لا من إحساس و لا من نظر و استدلال فوجب أن يعلم سائرهما لأنه لا مخصص فقالوا لأنفسهم لم زعمتم ذلك و لم لا يجوز أن يكون فعل أفعاله مضطربه فلما أدركها علم كيفية صنعها بطريق كونه مدركا لها فأحكمها بعد اختلالها و اضطرابها و أجابوا عن ذلك بأنه لا- بد أن يكون قبل أن فعلها عالما بمفرداتها من غير إحساس و يكفى ذلك فى كونه عالما بما لم يتطرق إليه ثم يعود الاستدلال المذكور أولا.

قوله ع و لا- حضره ملاء- الملاء الجماعه من الناس و فيه معنى قوله تعالى مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ (١).

قوله يضربون فى غمره أى يسيرون فى جهل و ضلاله و الضرب السير السريع.

و الحين الهلاك و الرين الذنب على الذنب حتى يسود القلب و قيل الرين

ص: ١١٨

الطبع و الدنس يقال ران على قلبه ذنبه يرين رينا أى دنسه و وسخه و استغلقت أفقال الرين على قلوبهم تعسر فتحها .

قوله فإنها حقّ الله عليكم و الموجه على الله حقكم يريد أنّها واجبه عليكم فإن فعلتموها و جب على الله أن يجازيكم عنها بالثواب و هذا تصريح بمذهب المعتزله فى العدل و أن من الأشياء ما يجب على الله تعالى من باب الحكمة.

قوله و أن تستعينوا عليها بالله و تستعينوا بها على الله يريد أوصيكم بأن تستعينوا بالله على التقوى بأن تدعوه و تبتهلوا إليه أن يعينكم عليها و يوفقكم لها و ييسرها و يقوى دواعيكم إلى القيام بها و أوصيكم أن تستعينوا بالتقوى على لقاء الله و محاكمته و حسابه فإنه تعالى يوم البعث و الحساب كالحاكم بين المتخاصمين وَ تَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا (١) فالسعيد من استعان على ذلك الحساب و تلك الحكومه و الخصومه بالتقوى فى دار التكليف فإنها نعم المعونه وَ تَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى .

و الجنه

ما يستتر به.

قوله و مستودعها حافظ يعنى الله سبحانه لأنه مستودع الأعمال و يدلّ عليه قوله تعالى إِنَّا لَا نُضَيِّعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٢) و ليس ما قاله الراوندى من أنه أراد بالمستودع قلب الإنسان بشىء .

قوله لم تبرح عارضه نفسها كلام فصيح لطيف يقول إن التقوى لم تزل عارضه نفسها على من سلف من القرون قبلها القليل منهم شبهها بالمرأه العارضه نفسها نكاحا على قوم فرغب فيها من رغب و زهد من زهد و على الحقيقه ليست

ص: ١١٩

١-١) سورة الجاثيه ٢٨.

٢-٢) سورة الكهف ٣٠.

هى العارضة نفسها و لكن المكلفين ممكنون من فعلها و مرغوبون فيها فصارت كالعارضة.

و الغابر هاهنا الباقي و هو من الأضداد يستعمل بمعنى الباقي و بمعنى الماضى.

قوله ع إذا أعاد الله ما أبدى يعنى أنشر الموتى و أخذ ما أعطى و ورث الأرض مالِك الملوِك فلم يبق فى الوجود من له تصرف فى شىء غيره كما قال لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١) و قيل فى الأخبار و

٣٦٣٨

الْحَدِيثِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْمَعُ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ كُلُّ مَا كَانَ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا فَيَجْعَلُهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ ثُمَّ يَقُولَ هَذَا فِتْنَةٌ بَيْنِي أَدَمَ ثُمَّ تَسُوقُهُ إِلَى جَهَنَّمَ فَيَجْعَلُهُ مَكَاوِي لِحِبَابِ الْمُجْرِمِينَ.

و سأل عما أسدى

أى سأل أرباب الثروه عما أسدى إليهم من النعم فيم صرفوها و فيم أنفقوها .

قوله ع فما أقل من قبلها يعنى ما أقل من قبل التقوى العارضة نفسها على الناس.

و إذا فى قوله إذا أعاد الله ظرف لحاجتهم إليها لأن المعنى يقتضيه أى لأنهم يحتاجون إليها وقت إعاده الله الخلق و ليس كما ظنه الراوندى أنه ظرف لقوله فما أقل من قبلها لأن المعنى على ما قلناه و لأن ما بعد الفاء لا يجوز أن يكون عاملا فيما قبلها .

قوله فأهطعوا بأسماعكم أى أسرعوا أهطع فى عدوه أى أسرع و يروى فانقطعوا بأسماعكم إليها أى فانقطعوا إليها مصغين بأسماعكم.

قوله و أظوا بجدكم أى ألقوا و الإلطاء الإلحاح فى الأمر و منه قول

ص: ١٢٠:

(١-١) سورة غافر ١٦.

ابن مسعود أظفوا فى الدعاء بيا ذا الجلال والإكرام و منه الملاظه فى الحرب و يقال رجل ملظ و ملظاظ أى ملحاح و أظ المطر أى دام.

و قوله بجدكم أى باجتهادكم جددت فى الأمر جدا بالغت و اجتهدت و يروى و واكظوا بجدكم و المواكظه المداومه على الأمر و قال مجاهد فى قوله تعالى إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا (١) قال أى مواكظا .

قوله و أشعروا بها قلوبكم يجوز أن يريد اجعلوها شعارا لقلوبكم و هو ما دون الدثار و ألصق بالجسد منه و يجوز أن يريد اجعلوها علامه يعرف بها القلب التقى من القلب المذنب كالشعار فى الحرب يعرف به قوم من قوم و يجوز أن يريد أخرجوا قلوبكم بها من أشعار البدن أى طهروا القلوب بها و صفوها من دنس الذنوب كما يصفى البدن بالفصاد من غلبه الدم الفاسد و يجوز أن يريد الإشعار بمعنى الإعلام من أشعرت زيدا بكذا أى عرفته إياه أى اجعلوها عالمه بجلاله موقعها و شرف محلها.

قوله و ارحضوا بها أى اغسلوا و ثوب رحيض و مرحوض أى مغسول.

قال و داووا بها الأسقام يعنى أسقام الذنوب.

و بادروا بها الحمام

عجلوا و اسبقوا الموت أن يدر ككم و أنتم غير متقين.

و اعتبروا بمن أضع التقوى فهلك شقيا و لا يعتبرن بكم أهل التقوى أى لا تكونوا أنتم لهم معتبرا بشقاوتكم و سعادتهم .

ثم قال و صونوا التقوى عن أن تمازجها المعاصى و تصونوا أنتم بها عن الدناءه و ما ينافى العداله.

و النزه جمع نزيه و هو المتباعد عما يوجب الذم و الولاه جمع واله و هو المشتاق ذو الوجد حتى يكاد يذهب عقله .

ثم شرع في ذكر الدنيا فقال لا تشيموا بارقها الشيم النظر إلى البرق انتظارا للمطر.

و لا تسمعوا ناطقها

لا تصغوا إليها سامعين و لا تجيبوا مناديتها.

و الأغلاق جمع علق و هو الشيء النفيس و برق خالب و خلب لا مطر فيه.

و أموالها محروبه

أى مسلوبه .

قوله ع ألا و هى المتصديه العنون شبيها بالمرأه المومس تتصدى للرجال تريد الفجور و تتصدى لهم تتعرض و العنون المتعرضه أيضا عن لى كذا أى عرض.

ثم قال و الجامحه الحرون شبيها بالدابته ذات الجماح و هى التى لا يستطاع ركوبها لأنها تعثر بفارسها و تغلبه و جعلها مع ذلك حرونا و هى التى لا تنقاد.

ثم قال و المائنه الخئون مان أى كذب شبيها بامرأه كاذبه خائنه.

و الجحود الكنود

جحد الشيء أنكره و كند النعمه كفرها جعلها كامرأه تجحد الصنيعه و لا تعترف بها و تكفر النعمه و يجوز أن يكون الجحود من قولك رجل جحد و جحد أى قليل الخير و عام جحد أى قليل المطر و قد جحد النبت إذا لم يطل.

قال و العنود الصدود العنود الناقه تعدل عن مرعى الإبل و ترعى ناحيه.

و الصدود المعرضه صد عنه أى أعرض شبيها فى انحرافها و ميلها عن القصد بتلك.

قال و الحيوذ الميوذ حادث الناقه عن كذا تحيد فهى حيود إذا مالت عنه.

و مادت تميد فهى ميود أى مالت فإن كانت عادتها ذلك سميت الحيوذ الميوذ فى كل حال .

قال حالها انتقال يجوز أن يعنى به أن شيمتها و سجيتها الانتقال و التغيير و يجوز أن يريد به معنى أدق و هو أن الزمان على ثلاثه أقسام ماض و حاضر و مستقبل فالماضى و المستقبل لا وجود لهما الآن و إنما الموجود أبدا هو الحاضر فلما أراد المبالغه فى وصف الدنيا بالتغير و الزوال قال حالها انتقال أى أن الآن الذى يحكم العقلاء عليه بالحضور منها ليس بحاضر على الحقيقه بل هو سيال متغير فلا ثبوت إذا لشيء منها مطلقا و يروى و حالها افتعال أى كذب و زور و هى روايه شاذه.

قال و وطنتها زلزال الوطأه كالضغطه و منه

٣٤٣٩

قَوْلُهُ ص اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَيَّ مُضَرَّ .

و أصلها موضع القدم و الزلزال الشده العظيمه و الجمع زلازل.

و قال الراوندى فى شرحه يريد أن سكونها حركه من قولك وطؤ الشيء أى صار وطينا ذا حال لينه و موضع و طىء أى وثير و هذا خطأ لأن المصدر من ذلك و طاءه بالمد و هاهنا و طأه ساكن الطاء فأين أحدهما من الآخر.

قال و علوها سفلى يجوز ضم أولهما و كسره.

قال دار حرب الأحسن فى صناعه البديع أن تكون الرء هاهنا ساكنه ليوازي السكون هاء نهب و من فتح الرء أراد السلب حربته أى سلبت ماله .

قال أهلها على ساق و سياق يقال قامت الحرب على ساق أى على شده و منه قوله سبحانه يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ (١) و السياق نزع الروح يقال رأيت فلانا يسوق أى ينزع عند الموت أو يكون مصدر ساق الماشيه سوقا و سياقا.

و قال الراوندى فى شرحه يريد أن بعض أهلها فى أثر بعض كقولهم ولدت فلانه

ص: ١٢٣

ثلاثه بنين على ساق و ليس ما قاله بشيء لأنهم يقولون ذلك للمرأة إذا لم يكن بين البنين أنثى و لا يقال ذلك فى مطلع التابع أين كان.

قال ع و لحاق و فراق اللام مفتوحه مصدر لحق به و هذا كقولهم الدنيا مولود يولد و مفقود يفقد.

قال ع قد تحيرت مذاهبها أى تحير أهلها فى مذاهبهم و ليس يعنى بالمذاهب هاهنا الاعتقادات بل المسالك.

و أعجزت مهاربها

أى أعجزتهم جعلتهم عاجزين فحذف المفعول.

و أسلمتهم المعائل لم تحصنهم.

و لفظتهم

بفتح الفاء رمت بهم و قذفتهم.

و أعتبهم المحاول

أى المطالب .

ثم وصف أحوال الدنيا فقال هم فمن ناج معقور أى مجروح كالهارب من الحرب بحشاشه نفسه و قد جرح بدنه.

و لحم مجزور

أى قتيل قد صار جزرا للسباع.

و شلو مذبوح

الشلو العُضو من أعضاء الحيوان المذبوح أو الميت و

٣٦٤٠

فى الحديث ائتونى بشلوها الأيمن.

و دم مفسوح

أى مسفوك و عاض على يديه أى ندما.

و صَافِقٍ بِكَفِّهِ

أى تعسفاً أو تعجباً.

و مرتفقٍ بخديهِ

جاعلٍ لهما على مرفقيه فكراً و هما.

و زارٍ على رأيه

أى عائبٍ أى يرى الواحد منهم رأياً و يرجع عنه و يعيبه و هو البداء الذى يذكره المتكلمون ثم فسره بقوله و راجع عن عزمه .

ص: ١٢٤

فإن قلت فهل يمكن أن يفرق بينهما ليكون الكلام أكثر فائدة قلت نعم بأن يريد بالأول من رأى رأيا و كشفه لغيره و جامعه عليه ثم بدا له و عابه و يريد بالثاني من عزم نفسه عزما و لم يظهر لغيره ثم رجع عنه و يمكن أيضا بأن يفرق بينهما بأن يعنى بالرأى الاعتقاد كما يقال هذا رأى أبى حنيفة و العزم أمر مفرد خارج عن ذلك و هو ما يعزم عليه الإنسان من أمور نفسه و لا يقال عزم فى الاعتقادات ثم قال ع و قد أدبرت الحيلة أى ولت و أقبلت الغيلة أى الشر و منه قولهم فلان قليل الغائلة أو يكون بمعنى الاغتيال يقال قتله غيلة أى خديعه يذهب به إلى مكان يوهمه أنه لحاجه ثم يقتله.

قال ع وَ لَاتٌ حِينَ مَنَاصٍ هَذِهِ مِنْ أَلْفَاظِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ (١) قَالَ الْأَخْفَشُ شَبَّهُوا لَاتَ بِلَيْسٍ وَ أَضْمَرُوا فِيهَا اسْمَ الْفَاعِلِ قَالَ وَ لَا تَكُونُ لَاتٌ إِلَّا- مَعَ حِينَ وَ قَدْ جَاءَ حَذْفُ حِينَ فِي الشَّعْرِ وَ مِنْهُ الْمَثَلُ حَنْتَ وَ لَاتَ هَنْتَ أَيْ وَ لَاتَ حِينَ حَنْتَ وَ الْهَاءُ بَدَلٌ مِنَ الْحَاءِ فَحَذْفُ الْحِينَ وَ هُوَ يَرِيدُهُ قَالَ وَ قَرَأَ بَعْضُهُمْ وَ لَاتٌ حِينَ مَنَاصٍ بِالرَّفْعِ وَ أَضْمَرَ الْخَبْرَ وَ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ هِيَ لَا وَ التَّاءُ إِنَّمَا زِيدَتْ فِي حِينَ لَا فِي لَا وَ إِنْ كَتَبْتَ مَفْرُودَهُ وَ الْأَصْلُ تَحِينٌ كَمَا قَالَ فِي الْأَنْ تَلَانٌ فَزَادُوا التَّاءَ وَ أَنْشَدَ لِأَبِي وَ جَزَهُ الْعَاطِفُونَ تَحِينٌ مَا مِنْ عَاطِفٍ وَ الْمَطْعَمُونَ زَمَانَ أَيْنَ الْمَطْعَمِ (٢).

و قال المؤرج زيدت التاء فى لات كما زيدت فى ربت و ثمت.

و المناص المهرب ناص عن قرنه يُنوص نوصا و مناصا أى ليس هذا وقت الهرب و الفرار.

ص: ١٢٥

١- ١) و هو قوله تعالى فى سورة ص ٣: وَ لَاتٌ حِينَ مَنَاصٍ ..

٢- ٢) الصحاح ٢٢٦: ١.

و يكون المَنَاص أيضا بمعنى الملجأ و المفزع أى ليس هذا حين تجد مفزعا و معقلا تعتصم به .

هيات

اسم للفعل و معناه بعد يقال هياتُ زيدٌ فهو مبتدأ و خبر و المعنى يعطى الفعليه و التاء فى هيات مفتوحه مثل كيف و أصلها هاء و ناسٌ يَكْسِرُ وَنَهَا على كل حال بمنزله نون التشبيه و قال الراجز هيات من مصبجها هيات هيات حجر من صنيعات (١).

و قد تبدل الهاء همزه فيقال أيهات مثل هراق و أراق قال أيهات منك الحياه أيها (٢).

قال الكسائى فمن كسر التاء وقف عليها بالهاء فقال هيهاه و من فتحها وقف إن شاء بالتاء و إن شاء بالهاء.

قوله ع و مضت الدنيا لحالٍ بالها كلمه تقال فيما انقضى و فرط أمره و معناها مضى بما فيه إن كان خيرا و إن كان شرا.

قوله ع فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ هو من كلام الله تعالى و المراد أهل السماء و هم الملائكه و أهل الأرض و هم البشر و المعنى أنهم لا يستحقون أن يتأسف عليهم و قيل أراد المبالغه فى تحقير شأنهم لأن العرب كانت تقول فى العظيم القدر يموت بكته السماء و بكته النجوم قال الشاعر فالشمس طالعه ليست بكاسفه تبكى عليك نجوم الليل و القمر (٣).

ففى عنهم ذلك و قال ليسوا من يقال فيه مثل هذا القول

٣٦٤١

وَ تَأَوَّلَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا قِيلَ لَهُ أَ تَبْكِي السَّمَاءَ وَ الْأَرْضُ عَلَى أَحَدٍ فَقَالَ نَعَمْ يَبْكِيهِ مُصِيْلَةٌ فِي الْأَرْضِ وَ مَصْعَدٌ عَمَلِهِ فِي السَّمَاءِ.

فيكون نفى البكاء عنهما كناية عن أنه لم يكن لهم فى الأرض عمل صالح يرفع منهما إلى السماء

ص: ١٢٦

١- (١) اللسان ١٧:٤٥١ من رجز نسبه إلى حميد الأرقط.

٢- (٢) انظر اللسان ١٧:٤٥٢.

٣- (٣) لجرير، ديوانه ٣٠٤.

اشاره

و هي تتضمن ذم إبليس لعنه الله على استكباره و تركه السجود لآدم ع و أنه أول من أظهر العصبية و تبع الحميه و تحذير الناس من سلوك طريقته الحميد لله الذي لبس العز و الكبرياء و اختارهما لنفسه دون خلقه و جعلهما حمى و حرماً على غيره و اضيفاهما لجلاله و جعل اللعنه على من نازعه فيهما من عياده ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين فقال سبحانه و هو العالم بمضمرات القلوب و مَجْجُوبَاتِ الْعُيُوبِ إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ (١) اعترضته الحميه فافتخر على آدم بخلقيه و تعصب عليه لأصليه فعادو الله إمام المتعصبين و سلف المسكتبرين الذي وضع أساس العصبية و نازع الله رداء الجبرية و أدرع لباس التعزز و خلع قناع التذلل ألاً [يرون]

تَرُونَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكْبَرِهِ وَ وَضَعَهُ بِتَرْفَعِهِ فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُورًا وَ أَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا.

ص: ١٢٧

يجوز أن تسمى هذه الخطبه القاصعه من قولهم قصعت الناقه بجرتها و هو أن تردّها إلى جوفها أو تخرجها من جوفها فتملاً فاها فلما كانت الزواجر و المواعظ في هذه الخطبه مردده من أولها إلى آخرها شبهها بالناقه التي تقصع الجره و يجوز أن تسمى القاصعه لأنها كالقاتله لإبليس و أتباعه من أهل العصبية من قولهم قصعت القمله إذا هشمته و قتلته و يجوز أن تسمى القاصعه لأن المستمع لها المعبر بها يذهب كبره و نخوته فيكون من قولهم قصع الماء عطشه أى أذهبه و سكنه قال ذو الرمه بيتا في هذا المعنى فانصاعت الحقب لم تقصع صرائرها و قد تشح فلا رى و لا هيم (١).

الصرائر جمع صريره و هى العطش و يجوز أن تسمى القاصعه لأنها تتضمن تحقير إبليس و أتباعه و تصغيرهم من قولهم قصعت الرجل إذا امتهنته و حقرتة و غلام مقصوع أى قمىء لا يشب و لا يزداد.

و العصبية على قسمين عصبية فى الله و هى محموده و عصبية فى الباطل و هى مذمومه و هى التى نهى أمير المؤمنين ع عنها و كذلك الحميه و

٣٦٤٢

جَاءَ فِي الْخَبْرِ الْعَصَبِيَّةُ فِي اللَّهِ تُورِثُ الْجَنَّةَ وَ الْعَصَبِيَّةُ فِي الشَّيْطَانِ تُورِثُ النَّارَ .

و

٣٦٤٣

جَاءَ فِي الْخَبْرِ الْعُظْمَةُ إِزَارِي وَ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي فَمَنْ نَارَعَنِي فِيهِمَا فَصَمْتُهُ.

و هذا معنى قوله ع اختارهما لنفسه دون خلقه إلى آخر قوله من عباده .

قال ع ثم اخترت بذلك ملائكته المقربين مع علمه بمضمراتهم و ذلك لأن اختباره سبحانه ليس ليعلم بل ليعلم غيره من خلقه طاعه من يطيع و عصيان من يعصى و كذلك قوله سبحانه وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ

ص: ١٢٨

(١-١) ديوانه ٥٨٨.انصاعت: ذهبت هاربه.و الحقب:الحمر الوحشية.و روايته:«و قد نشحن».

النون في لِنَعْلَمَ نون الجمع لا- نون العظمه أى لتصير أنت و غيرك من المكلفين عالمين لمن يطيع و من يعصى كما أنا عالم بذلك فتكونوا كلكم مشاركين لى فى العلم بذلك.

فإن قلت و ما فائده وقوفهم على ذلك و علمهم به قلت ليس بممتنع أن يكون ظهور حال العاصى و المطيع و علم المكلفين أو أكثرهم أو بعضهم به يتضمن لطفًا فى التكليف.

فإن قلت إن الملائكة لم تكن تعلم ما البشر و لا تتصور ماهيته فكيف قال لهم إني خالقٌ بشرًا من طينٍ قلت قد كان قال لهم إني خالقٌ جسمًا من صفته كيت و كيت فلما حكاه اقتصر على الاسم و يجوز أن يكون عرفهم من قبل أن لفظه بشر على ما ذا تقع ثم قال لهم إني خالقٌ هذا الجسم المخصوص الذى أعلمتكم أن لفظه بشر واقعه عليه من طين.

قوله تعالى فَإِذَا سَوَّيْتُهُ أَي إِذَا أَكْمَلْتَ خَلْقَهُ.

فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ

أمرهم بالسجود له و قد اختلف فى ذلك فقال قوم كان قبله كما الكعبه اليوم قبله و لا يجوز السجود إلا لله و قال آخرون بل كان السجود له تكممه و محنه و السجود لغير الله غير قبيح فى العقل إذا لم يكن عباده و لم يكن فيه مفسده.

و قوله تعالى وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي أَي أَحَلَلْتُ فِيهِ الْحَيَاةَ وَ أَجْرَيْتُ الرُّوحَ إِلَيْهِ فِى عُرُوقِهِ وَ أَضَافُ الرُّوحَ إِلَيْهِ تَبْجِيلًا لَهَا وَ سَمَى ذَلِكَ نَفْخًا عَلَى وَجْهِ الِاسْتِعَارَةِ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَتَصَوَّرُ مِنَ الرُّوحِ مَعْنَى الرِّيحِ وَ النِّفْخِ يَصْدُقُ عَلَى الرِّيحِ فَاسْتِعَارَ لِفِظِهِ النِّفْخَ تَوْسِعًا.

ص: ١٢٩

وقالت الحكماء هذا عبارته عن النفس الناطقه.

فإن قلت هل كان إبليس من الملائكة أم لا قلت قد اختلف في ذلك فمن جعله منهم احتج بالاستثناء و من جعله من غيرهم احتج بقوله تعالى [□] كَانَ مِنَ الْجِنَّ وَ جَعَلَ الْإِسْتِثْنَاءَ مَنْقُطَعًا وَ بَأْنَ لَهُ نَسْلًا وَ ذُرِّيَّهُ قَالَ تَعَالَى أَفَتَسْخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي (١) وَ الملائكة لا نسل لهم وَ لا ذُرِّيَّهُ وَ بَأْنَ أَصْلَهُ نَارَ وَ الملائكة أَصْلُهُ نَورَ وَ قَدْ مَرَّرْنَا كَلَامَ فِي هَذَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ .

قوله فافتخر على آدم بخلقه و تعصب عليه لأصله كانت خلقة أهون من خلقه آدم ع و كان أصله من نار و أصل آدم ع من طين.

فإن قلت كيف حكم على إبليس بالكفر و لم يكن منه إلا مخالفه الأمر و معلوم أن تارك الأمر فاسق لا كافر قلت إنه اعتقد أن الله أمره بالقيح و لم ير أمره بالسجود لآدم ع حكمه و امتنع من السجود تكبرا و ردّ على الله أمره و استخف بمن أوجب الله إجلاله و ظهر أن هذه المخالفة عن فساد عقيدة فكان كافرا.

فإن قلت هل كان كافرا في الأصل أم كان مؤمنا ثم كفر قلت أما المرجئه فأكثرهم يقول كان في الأصل كافرا لأن المؤمن عندهم لا يجوز أن يكفر و أما أصحابنا فلما كان هذا الأصل عندهم باطلا توقفوا في حال إبليس و جوزوا كلا الأمرين.

ص: ١٣٠

قوله ع رداء الجبريه الباء مفتوحه يقال فيه جبريه و جبروه و جبروت و جبوره كفروجه أى كبر و أنشدوا فإنك إن عاديتنى غضب الحصا عليك و ذو الجبوره المتغترف (١).

و جعله مدحورا أى مطرودا مبعدا دحره الله دحورا أى أقصاه و طرده و لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ وَ يَبْهَرُ الْعُقُولَ رُؤَاؤُهُ وَ طِيبٌ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ وَ لَوْ فَعَلَ لَطَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً وَ لَحَفَّتِ الْبُلُوى فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَ لَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بَعْضٍ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَمَيِّزاً بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ وَ نَفِيّاً لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ وَ إِبْعَاداً لِلْخِيَلَاءِ مِنْهُمْ فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ وَ جَهَّزَهُ الْجَهِيدَ وَ كَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافٍ سِنِينَ لَا يُدْرَى أَمْ مِنْ سِنِينَ الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِينَ الْآخِرَةِ عَنْ كِبَرِ سَاعِهِ وَاحِدَةٍ فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلُمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ كَلَّا مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ وَ مَا بَيْنَ اللَّهِ وَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحِهِ حَمَى حَرَمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ .

خَطَفَتِ الشَّيْءَ بِكسر الطاء أَخْطَفَهُ إِذَا أَخَذْتَهُ بِسرعه استلابا و فيه لغه أخرى

ص: ١٣١

١- ١) لمغلس بن لقيط الأسدي، و انظر الصحاح و حواشيه (جبر).

خَطَفَ بالفتح و يَخْطِفُ بالفتح و يَخْطِفُ بالكسر و هى لغه رديئه قليله لا- تكاد تعرف و قد قرأ بها يونس فى قوله تعالى يَكَادُ
الْبُرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ (١).

و الرُّوَاء بالهمزه و المد المنظر الحسن و العرف الريح الطيبه .

و الخِيَلَاء بضم الخاء و كسرهما الكبر و كذلك الخال و المخيله تقول اختال الرجل و خال أيضا أى تكبر .

و أَحْبَط عمله أبطل ثوابه و قد حبط العمل حبطا بالتسكين و حبوطا و المتكلمون يسمون إبطال الثواب إِحْبَاطًا و إبطال العقاب
تكفيرا.

و جَهده

بفتح الجيم اجتهاده و جده و وصفه بقوله الجهد أى المستقصى من قولهم مرعى جهيد أى قد جهده المال الراعى و استقصى
رعيه .

و كلامه ع يدلّ على أنّه كان يذهب إلى أن إبليس من الملائكه لقوله أخرج منها ملكا و الهَوَادَه الموادعه و المصالحه يقول إن
الله تعالى خلق آدم من طين و لو شاء أن يخلقه من النور الذى يخطف أو من الطيب الذى يعبق لفعل و لو فعل لهال الملائكه
أمره و خضعوا له فصار الابتلاء و الامتحان و التكليف بالسجود له خفيفا عليهم لعظمته فى نفوسهم فلم يستحقوا ثواب العمل
الشاق و هذا يدلّ على أن الملائكه تشم رائحه كما نشمها نحن و لكن الله تعالى يبتلى عباده بأمر يجهلون أصلها اختبارا لهم .

فإن قلت ما معنى قوله ع تمييزا بالاختبار لهم قلت لأنه ميزهم عن غيرهم من مخلوقاته كالحوانات العجم و أبانهم عنهم و فضلهم
عليهم بالتكليف و الامتحان-

ص: ١٣٢

قال و نفيا للاستكبار عنهم لأن العبادات خضوع و خشوع و ذله ففيها نفى الخيلاء و التكبر عن فاعليها فأمرهم بالاعتبار بحال إبليس الذى عبد الله ستة آلاف سنة لا يدري أ من سنى الدنيا أم من سنى الآخرة و هذا يدل على أنه قد سمع فيه نصا من رسول الله ص مجملا لم يفسره له أو فسر له خاصه و لم يفسره أمير المؤمنين ع للناس لما يعلمه فى كتمانهم من المصلحه.

فإن قلت قوله لا يُدْرِى على ما لم يسم فاعله يقتضى أنه هو لا يدري قلت إنه لا يقتضى ذلك و يكفى فى صدق الخبر إذا ورد بهذه الصيغه أن يجهله الأكثرون.

فأما القول فى سنى الآخرة كم هى فاعلم أنه قد ورد فى الكتاب العزيز آيات مختلفات إحداهن قوله تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (١).

و الأخرى قوله يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٢).

و الثالثه قوله وَ إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٣).

و أولى ما قيل فيها أن المراد بالآيه الأولى مده عمر الدنيا و سمي ذلك يوما و قال إن الملائكة لا تزال تعرج إليه بأعمال البشر طول هذه المده حتى ينقضى التكليف و ينتقل الأمر إلى دار أخرى و أما الآيتان الأخيرتان فمضمونهما بيان كميه أيام الآخرة و هو أن كل يوم منها مثل ألف سنة من سنى الدنيا.

ص: ١٣٣

١-١) سورة المعارج ٤.

٢-٢) سورة السجده ٥.

٣-٣) سورة الحج ٤٧.

فإن قلت فعلى هذا كم تكون مده عباده إبليس إذا كانت ستة آلاف سنة من سنى الآخرة قلت يكون ما يرتفع من ضرب أحد المضروبين فى الآخرة و هو ألفا ألف ألف ثلاث لفظات الأولى منهم مئاه و مائه ألف ألف لفظتان و ستون ألف ألف سنة لفظتان أيضا من سنى الدنيا و لما رأى أمير المؤمنين ع هذا المبلغ عظيما جدا علم أن أذهان السامعين لا تحتمله فلذلك أبهم القول عليهم و قال لا يدري أ من سنى الدنيا أم من سنى الآخرة .

فإن قلت فإذا كنتم قد رجحتم قول من يقول إن عمر الدنيا خمسون ألف سنة فكم يكون عمرها إن كان الله تعالى أراد خمسين ألف سنة من سنى الآخرة لأنه لا يؤمن أن يكون أراد ذلك إذا كانت السنه عنده عباره عن مده غير هذه المده التى قد اصطلح عليها الناس قلت يكون ما يرتفع من ضرب خمسين ألفا فى ثلاثمائه و ستين ألف من سنى الدنيا و مبلغ ذلك ثمانيه عشر ألف ألف ألف سنة من سنى الدنيا ثلاث لفظات و هذا القول قريب من القول المحكى عن الهند .

٣٤٤٤

و روى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري فى تاريخه روايات كثيرة بأسانيد أوردتها عن جماعه من الصحابه أن إبليس كان إليه ملك السماء و ملك الأرض و كان من قبيله من الملائكة يقال لهم الجن و إنما سيموا الجن لأنهم كانوا خزان الجنان و كان إبليس رئيسهم و مقدمهم و كان أضل خلقهم من نار السموم و كان اسمه الحارث قال و قد روى أن الجن كانت فى الأرض و أنهم أفسدوا فيها فبعث الله إليهم إبليس فى جنود من الملائكة فقتلهم و طردهم إلى جزائر البحار ثم تكبر فى نفسه و رأى أنه قد صنع شيئا عظيما لم يصنعه غيره قال و كان شديد الاجتهاد فى العباده.

ص: ١٣٤

وَقِيلَ كَانَ اسْمُهُ عَزَازِيلَ وَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَهُ حَكَمًا وَقَاضِيًا بَيْنَ سُكَّانِ الْأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ فَدَخَلَهُ الْكِبْرُ وَالْعُجْبُ لِعِبَادَتِهِ وَ اجْتِهَادِهِ وَ حَكَمَهُ فِي سُكَّانِ الْأَرْضِ وَ قَضَائِهِ بَيْنَهُمْ فَانطَوَى عَلَى الْمَعْصِيَةِ حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَعَ آدَمَ ع مَا كَانَ. قلت و لا ينبغي أن نصدق من هذه الأخبار و أمثالها إلا ما ورد في القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه أو في السنه أو نقل عن من يجب الرجوع إلى قوله و كل ما عدا ذلك فالكذب فيه أكثر من الصدق و الباب مفتوح قليلا كل أحد في أمثال هذه القصص ما شاء و اعلم أن كلام أمير المؤمنين في هذا الفصل يطابق مذهب أصحابنا في أن الجنة لا يدخلها ذو معصية ألا تسمع قوله فمن بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته كالا ما كان الله ليدخل الجنة بشرا بأمر أخرج به منها ملكا إن حكمه في أهل السماء و الأرض لواحد .

فإن قلت أليس من قولكم إن صاحب الكبره إذا تاب دخل الجنة فهذا صاحب معصيه و قد حكمتم له بالجنة قلت إن التوبه أحبطت معصيته فصار كأنه لم يعص.

فإن قلت إن أمير المؤمنين ع إنما قال فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته و لم يقل بالمعصيه المطلقه و المرجئه لا تخالف في أن من وافى القيامه بمثل معصيه إبليس لم يكن من أهل الجنة قلت كل معصيه كبيره فهي مثل معصيته و لم يكن إخراجها من الجنة لأنه كافر بل لأنه عاص مخالف للأمر أ لا ترى أنه قال سبحانه قال فاهبط منها فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا (١) فعمل إخراجها من الجنة بتكبره لا بكفره.

فإن قلت هذا مناقض لما قدمت في شرح الفصل الأول

ص: ١٣٥

قلت كلا لأننى فى الفصل الأول عللت استحقاقه اسم الكفر بأمر زائد على المعصية المطلقة و هو فساد اعتقاده و لم أجعل ذلك
عله فى خروجه من الجنة و هاهنا عللت خروجه من الجنة بنفس المعصية فلا تناقض.

فإن قلت ما معنى قول أمير المؤمنين ع ما كان الله ليدخل الجنة بشرا بأمر أخرج به منها ملكا و هل يظن أحد أو يقول إن الله
تعالى يدخل الجنة أحدا من البشر بالأمر الذى أخرج به هاهنا إبليس كلا هذا ما لا يقوله أحد و إنما الذى يقوله المرجئه إنه
يدخل الجنة من قد عصى و خالف الأمر كما خالف الأمر إبليس برحمته و عفوه و كما يشاء لا أنه يدخله الجنة بالمعصية و
كلام أمير المؤمنين ع يقتضى نفي دخول أحد الجنة بالمعصية لأن الباء للسببية قلت الباء هاهنا ليست للسببية كما يتوهمه هذا
المعترض بل هى كالباء فى قولهم خرج زيد بثيابه و دخل زيد بسلاحه أى خرج لابسا و دخل متسلحا أى يصحبه الثياب و
يصحبه السلاح فكذلك قوله ع بأمر أخرج به منها ملكا معناه أن الله تعالى لا يدخل الجنة بشرا يصحبه أمر أخرج الله به ملكا
منها فأخذروا عباد الله عدو الله أن يعددكم بدائه و أن يستفزكم بدائه و أن يجلب عليكم بخيله و رجله [رجله]

فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوْقَ لَكُمْ سَيِّئِهِمُ الْوَعِيدِ وَ أَعْرَقَ إِلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ وَ رَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ فَقَالَ رَبِّ بِمَا أَعُوذُ بِكَ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي
الْأَرْضِ وَ لَأُعْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (١) فَذَفَأَ بَعْغِبٍ بَعِيدٍ وَ رَجْمًا بَظَنٍّ

ص: ١٣٦

غَيْرِ مُصَيَّبٍ صِدْقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ وَإِخْوَانُ الْعَصِيَّةِ وَفُرْسِيَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ وَاسْتَحْكَمَتِ
الطَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ فِيكُمْ فَانْجَمَتْ [فَنَجَمَتْ فِيهِ]

الْحِيَالُ مِنَ السَّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْمَأْمَرِ الْجَلِيِّ اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ فَأَقْفَحُمُوكُمْ وَلَحَاتِ الدُّلَّ وَأَحْلُوكُمْ
وَرَطَاتِ الْقَتْلِ وَأَوْطَأُوكُمْ إِتْخَانَ الْجِرَاحِ طَعْنًا فِي عُيُونِكُمْ وَحَزًّا فِي حُلُوقِكُمْ وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ وَقَصِيدًا لِمَقَاتِلِكُمْ وَسَوْقًا بِخَزَائِمِ
الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَيَّدَةِ لَكُمْ فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ حَرْجًا وَأُورَى فِي دُنْيَاكُمْ قَسْدًا مِنَ الدِّينِ أَصْدَبِحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ وَعَلَيْهِمْ
مُتَأَلِّبِينَ فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حِدِّكُمْ وَ لَهُ جِدِّكُمْ فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَتَقْدَ فَخَرَ عَلَى أَصِيلِكُمْ وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ وَأَجْلَبَ بِحَيْلِهِ
عَلَيْكُمْ وَقَصِيدًا بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ لَا تَمْتَنِعُونَ بِحَيْلِهِ وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمِهِ فِي حَوْمِهِ
ذُلٌّ وَحَلْقُهُ ضَيْقٌ وَعَرْضُهُ مَوْتُ وَجَوْلُهُ بَلَاءٌ فَطَافُوا مَا كَمَنَّ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصِيَّةِ وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ
تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ وَنَزَعَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ وَاعْتَمَدُوا وَضَعِ التَّدْلِيلِ عَلَى رُءُوسِكُمْ وَالْقَعَاءِ التَّعْزِزِ تَحْتَ
أَقْدَامِكُمْ وَخَلَعَ التَّكْبُرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ وَاتَّجِدُوا التَّوَاضِعَ مَسِيلَحَهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عِدْوِكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُودًا وَ
أَعْوَانًا وَرَجُلًا [رَجُلًا]

وَفُرْسَانًا وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلِ [فُضِّلَ]

جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعُظْمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ [الْحَسَبِ]

وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْعُصْبِ وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِي أَعَقَبَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةَ وَالزَّمَمَةَ آثَامَ الْقَاتِلِينَ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

موضع أن يعديكم نصب على البدل من عدو الله و قال الراوندى يجوز أن يكون مفعولا ثانيا و هذا ليس بصحيح لأن حذر لا يتعدى إلى المفعولين و العدوى ما يعدى من جرب أو غيره أعدى فلان فلانا من خلقه أو من علقته و هو مجاوزته من صاحبه إلى غيره و

٣٦٤٥

فِي الْحَدِيثِ لَا عَدْوَى فِي الْإِسْلَامِ .

فإن قلت فإذا كان النبي ص قد أبطل أمر العِدْوَى فكيف قال أمير المؤمنين فَاخِرُ دُرُوهُ أَنْ يُعِدِّيَكُمْ قلت إن النبي ص أبطل ما كانت العرب تزعمه من عِدْوَى الْجَرْبِ فِي الْإِبِلِ و غيرها و أمير المؤمنين ع حَذَّرَ الْمُكَلْفِينَ مِنْ أَنْ يَتَعَلَّمُوا مِنْ إِبْلِيسِ الْكَبِيرِ وَ الْحَمِيَّةِ و شبه تعلمهم ذلك منه بِالْعَدْوَى لِاشْتِرَاكِ الْأَمْرَيْنِ فِي الْإِنْتِقَالِ مِنْ أَحَدِ الشَّخْصِينَ إِلَى الْآخَرِ .

قوله ع يَشْتَفِزُّكُمْ أَي يَشْتَفِخُكُمْ وَ هُوَ مِنَ الْفَافِ الْقُرْآنِ وَ اسْتَفْزَرُ مِنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ (١) أَي أزعجه و استخفه و أطر قلبه و الخيل الخياله و منه

٣٦٤٦

الْحَدِيثُ يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي .

و الرَّجُلُ اسْمٌ جَمْعٌ لِرَاجِلٍ كَرَكَبَ اسْمٌ جَمْعٌ لِرَاكِبٍ وَ صَحَبَ اسْمٌ جَمْعٌ لَصَاحِبٍ وَ هَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْفَافِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ وَ أَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجَلِكَ (٢) وَ قَرِيٌّ وَ رَجَلِكَ (٣) بِكَسْرِ الْجِيمِ عَلَى أَنَّ فِعْلًا بِالْكَسْرِ بِمَعْنَى فَاعِلٍ نَحْوُ تَعَبَ وَ تَاعَبَ

ص: ١٣٨

١-١) سورة الإسراء ٦٤.

٢-٢) سورة الإسراء ٦٤.

٣-٣) هي قراءه حفص؛ و انظر تفسير القرطبي ١٠: ٢٨٨.

و معناه و قد تضم الجيم أيضا فيكون مثل قولك رَجُلٌ حَدِثٌ و حَدِثٌ و نَدِسٌ و نَدَسٌ.

فإن قلت فهل لإبليس خيل تركبها جنده قلت يجوز أن يكون ذلك و قد فسرهم قوم بهذا و الصحيح أنه كلام مخرج المثل شبهت حاله في تسلطه على بنى آدم بمن يُغَيِّرُ على قوم بِخَيْلِهِ فَيَسْتَأْصِلُهُمْ و قيل بصوتك أى بدعائك إلى القبيح و خيله و رجله كل ماش و راكب من أهل الفساد من بنى آدم قوله و فَوَقَّتْ السَّهْمَ جعلت له فوقا و هو موضع الوتر و هذا كناية عن الاستعداد و لا يجوز أن يفسر قوله فقد فَوَّقَ لكم سهمَ الوعيد بأنه وضع الفوق في الوتر ليرمى به لأن ذلك لا يقال فيه قد فوق بل يقال أَفَقَّتْ السهم و أَوْفَقْتَهُ أيضا و لا يقال أَفَوَّقْتَهُ و هو من النوادر.

و قوله و أغرق إليكم بالزرع أى استوفى مد القوس و بالغ في نزعها ليكون مرماه أبعد و وقع سهامه أشد.

قوله و رماكم من مكان قريب لأنه كما جاء

٣٦٤٧

في الحديثِ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ وَ يُخَالِطُ القَلْبَ.

و لا شيء أقرب من ذلك.

و الباء في قوله بِمَا أَعْوَيْتَنِي متعلق بفعل محذوف تقديره أجازيك بما أعويتني تزييني لهم القبيح فما على هذا مصدره أى أجازيك بإغوائك لى تزييني لهم القبيح فحذف المفعول و يجوز أن تكون الباء قسما كأنه أقسم بإغوائه إياه ليزين لهم.

فإن قلت و أى معنى فى أن يُقَسِّمَ بِإِغْوَائِهِ و هل هذا مما يُقَسِّمُ به قلت نعم لأنه ليس إغواء الله تعالى إياه خلق الغي و الضلال فى قلبه بل تكليفه

ص: ١٣٩

إياه السجود الذى وقع الغى عنده من الشيطان لا من الله فصار حيث وقع عنده كأنه موجب عنه فنسب إلى البارى و التكليف تعريض للثواب و لذه الأبد فكان جديرا أن يقسم به و قد أقسم فى موضع آخر فقال فِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (١) فأقسم بالعزه و هاهنا أقسم بالأمر و التكليف و يجوز فيه وجه ثالث و هو ألا تكون الباء قسما و يقدر قسم محذوف و يكون المعنى بسبب ما كلفتنى فأفضى إلى غوايتى أقسم لأفعلن بهم نحو ما فعلت بى و هو أن أزين لهم المعاصى التى تكون سبب هلاكهم.

فإن قلت ليس هذا نحو ما فعله البارى به لأن البارى أمره بالحسن فأباه و عدل عنه إلى القبيح و الشيطان لا يأمرنا بالحسن فنكرهه و نعدل عنه إلى القبيح فكيف يكون ذلك نحو وَاَقَعْتُهُ مَعَ الْبَارِي قَلت المشابهه بين الواقعتين فى أن كل واحده منهما تقع عندها المعصيه لا- على وجه الإجبار و القسر بل على قصد الاختيار لأن معصيه إبليس كانت من نفسه و وقعت عند الأمر بالسجود اختيارا منه لا فعلا من البارى و معصيتنا نحن عند التزيين و الوسوسه تقع اختيارا منا لا اضطرارا يضطرنا إبليس إليه فلما تشابهت الصورتان فى هذا المعنى حسن قوله بما فعلت بى كذا لأفعلن بهم نحوه.

فإن قلت ما معنى قوله فى الأَرْضِ و من أين كان يعلم إبليس أن آدم سيصير له ذريه فى الأرض قلت أما علمه بذلك فمن قول الله تعالى له و للملائكه إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (٢) و أمّا لفظه الأرض فالمراد بها هاهنا الدنيا التى هى دار التكليف كقوله تعالى

ص: ١٤٠

١-١) سورة ص ٨٢.

٢-٢) سورة البقره ٣٠.

ليس يريد به الأرض بعينها بل الدنيا و ما فيها من الملاذ و هوى الأنفس.

قوله ع قَدْ ذَفَأَ بِغَيْبٍ بَعِيدٍ أَى قال إبليس هذا القول قذفا بغيب بعيد و العرب تقول للشىء المتوهم على بعد هذا قذف بغيب بعيد و القذف فى الأصل رمى الحجر و أشباهه و الغيب الأمر الغائب و هذه اللفظه من الألفاظ القرآنيه قال الله تعالى فى كفار قريش وَ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٢) أَى يقولون هذا سحر أو هذا من تعليم أهل الكتاب أو هذه كهانه و غير ذلك ممّا كانوا يرمونه ع به و انتصب قذفا على المصدر الواقع موقع الحال و كذلك رجما و قال الراوندى انتصبا لأنهما مفعول له و ليس بصحيح لأن المفعول له ما يكون عذرا و عله لوقوع الفعل و إبليس ما قال ذلك الكلام لأجل القذف و الرجم فلا يكون مفعولا له.

فإن قلت كيف قال ع قذفا مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ و رجما بظن غير مصيب و قد صح ما توهمه و أصاب فى ظنه فإن إغواءه و تزيينه تم على الناس كلهم إلا على المخلصين قلت أما أولا فقد روى و رجما بظن مصيب بحذف غير و يؤكد هذه الروايه قوله تعالى وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا (٣) و أما ثانيا على الروايه التى هى أشهر فنقول أما قذفا مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ فإنه قال ما قال على سبيل التوهم و الحسبان لأمر مستبعد لا يعلم صحته و لا يظنها و ليس وقوع ما وقع من المعاصى و صحه ما توهمه بمخرج لكون قوله الأول قذفا بغيب بعيد و أما رجما بظن غير مصيب

ص: ١٤١

١-١) سورة الأعراف ١٧٦.

٢-٢) سورة سبأ ٥٣.

٣-٣) سورة سبأ ٢٠.

فيجب أن يحمل قوله لأَعْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ (١) على الغوايه بمعنى الشرك أو الكفر و يكون الاستثناء و هو قوله إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ (٢) معناه إِلَّا المعصومين من كل معصيه و هذا ظنّ غير مصيب لأنّه ما أعوى كل البشر الغوايه التي هي الكفر و الشرك إِلَّا المعصومين العصمه المطلقه بل أعوى بعضهم كذلك و بعضهم بأن زين له الفسق دون الكفر فيكون ظنه أنّه قادر على إغواء البشر كافة بمعنى الضلال بالكفر ظنا غير مصيب .

قوله صدقه به أبناء الحَمِيَّة موضع صدقه جر لأنّه صفة ظنّ و قد روى صدقه أبناء الحميه من غير ذكر الجار و المجرور و من رواه بالجار و المجرور كان معناه صدقه في ذلك الظنّ أبناء الحميه فأقام الباء مقام في .

قوله حتى إذا انقادت له الْجَامِحَةُ منكم أي الأنفس الجامحه أو الأخلاق الجامحه .

قوله فنجمت فيه الحال أي ظهرت و قد روى فنجمت الحال من السر الخفى من غير ذكر الجار و المجرور و من رواه بالجار و المجرور فالمعنى فنجمت الحال في هذا الشأن المذكور بينه و بينكم من الخفاء إلى الجلاء .

و اسْتَفْحَلَ سلطانه قوى و اشتد و صار فَحْلا و اسْتَفْحَلَ جواب قوله حتى إذا .

دلف بجنوده

تقدم بهم .

و الْوَلَجَات جمع وَلَجَ بالتحريك و هي موضع أو كهف يستتر فيه الماره من مطر أو غيره .

و أقحموكم أدخلوكم و الورطه الهلكه .

قوله و أوطئوكم إِثْخَانَ الجراحه أي جعلوكم واطئين لذلك و الإِثْخَان مصدر أِثْخَنَ فى القتل أى أكثر منه و بالغ حتى كثف شأنه و صار كالشيء الثخين و معنى

ص: ١٤٢

١-١) سورة ص: ٨٢، ٨٣.

١-٢) سورة ص: ٨٢، ٨٣.

إيطاء الشيطان بينى آدم ذلك إلقاءه إياهم فيه و توريطهم و حمله لهم عليه فالإثخان على هذا منصوب لأنه مفعول ثان لا كما زعم الراوندى أنه انتصب بحذف حرف الخفض.

قوله ع طعنا فى عيونكم انتصب طعنا على المصدر و فعله محذوف أى فعلوا بكم هذه الأفعال فطعنوكم فى عيونكم طعنا فأما من روى و أوطئوكم لإثخان الجراحه باللام فإنه يجعل طعنا منصوبا على أنه مفعول به أى أوطئوكم طعنا و حزا كقولك أوطأته نارا و أوطأته عشوه و يكون لإثخان الجراحه مفعولا له أى أوطئوكم الطعن ليثخنوا جراحكم و ينبغى أن يكون قصدا و سوقا خالصين للمصدرية لأنه يبعد أن يكون مفعولا به.

و اعلم أنه لما ذكر الطعن نسبه إلى العيون و لما ذكر الحز و هو الذبح نسبه إلى الحلق و لما ذكر الدق و هو الصدم الشديد أضافه إلى المناخر و هذا من صناعه الخطابه التى علمه الله إياها بلا تعليم و تعلمها الناس كلهم بعده منه.

و الخزائم جمع خزامه و هى حلقة من شعر تجعل فى وتره أنف البعير فيشد فيها الزمام.

و تقول قد ورى الزند أى خرجت ناره و هذا الزند أورى من هذا أى أكثر إخراجا للنار يقول فأصبح الشيطان أضمر عليكم و أفسد لحالكم من أعدائكم الذين أصبحتم مناصبين لهم أى معادين و عليهم متألين أى مجتمعين .

فإن قلت أما أعظم فى الدين حرجا فمعلوم فأى معنى لقوله و أورى فى دنياكم قدحا و هل يفسد إبليس أمر الدنيا كما يفسد أمر الدين قلت نعم لأن أكثر القبائح الدينيه مرتبطه بالمصالح و المفسد الدينويه ألا ترى أنه إذا أغرى السارق بالسرقة أفسد حال السارق من جهه الدين و حال المسروق منه من جهه الدنيا

و كذلك القول فى الغصب و القتل و ما يحدث من مضار الشرور الدنيويه من اختلاط الأنساب و اشتباه النسل و ما يتولد من شرب الخمر و السكر الحاصل عنها من أمور يحدثها السكران خبطا بيده و قذفا بلسانه إلى غير ذلك من أمثال هذه الأمور و أشباهها .

قوله ع فاجعلوا عليه حدكم أى شباتكم و بأسكم .

و له جدكم

من جددت فى الأمر جدا أى اجتهدت فيه و بالغت .

ثم ذكر أنه فخر على أصل بنى آدم يعنى أباهم آدم ع حيث امتنع من السجود له و قال أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ .

و وقع فى حسبكم

أى عاب حسبكم و هو الطين فقال إن النار أفضل منه و دفع فى نسبكم مثله و أجلب بخيله عليكم أى جمع خياله و فرسانه و ألها .

و يَفْتَنُصُونَكُمْ يَتَصَيَّدُونَكُمْ و البَنان أطراف الأصابع و هو جمع واحده بنانه و يجمع فى القله على بنانات و يقال بنان مخضب لأن كل جمع ليس بينه و بين واحده إلا الهاء فإنه يذكر و يوحد .

و الحومه معظم الماء و الحرب و غيرهما و موضع هذا الجار و المجرور نصب على الحال أى يقتنصونكم فى حومه ذل .

و الجوله الموضع الذى تجول فيه .

و كمن فى قلوبكم استتر و منه الكمين فى الحرب .

و نزغات الشيطان وساوسه التى يفسد بها و نفثاته مثله .

قوله و اعتمدوا وضع التذلل على رءوسكم و إلقاء التعزز تحت أقدامكم كلام شريف جليل المحل و كذلك قوله ع و اتخذوا التواضع مسلحه بينكم و بين عدوكم إبليس و جنوده و المسلحه خيل معده للحمايه و الدفاع .

ص: ١٤٤

ثم نهاهم أن يكونوا كقبايل الذى حسد أخاه هايبيل فقتله و هما أخوان لأب و أم و إنما قال ابن أمه فذكر الأم دون الأب لأن الأخوين من الأم أشد حنوا و محبه و التصاقا من الأخوين من الأب لأن الأم هى ذات الحضانه و التربيه.

و قوله من غير ما فضل ما هاهنا زائده و تعطى معنى التأكيد نهاهم ع أن يحسدوا النعم و أن يبغوا و يفسدوا فى الأرض فإن آدم لما أمر ولده بالقربان قرب قبايل شر ماله و كان كافرا و قرب هايبيل خير ماله و كان مؤمنا فتقبل الله تعالى من هايبيل و أهبط من السماء نارا فأكلته قالوا لأنه لم يكن فى الأرض حينئذ فقير يصل القربان إليه فحسده قبايل و كان أكبر منه سنا ف قال لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ هايبيل إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أى بذنبك و جرمك كان عدم قبول قربانك لانسلاخك من التقوى فقتله فأصبح نادما لا ندم التوبه بل ندم الحير و رقه الطبع البشرى و لأنه تعب فى حمله كما ورد فى التنزيل أنه لم يفهم ما ذا يصنع به حتى بعث الله الغراب .

قوله ع و ألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة لأنه كان ابتداء بالقتل و من سن سنه شر كان عليه وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة كما أن من سن سنه خير كان له أجرها و أجر من عمل بها إلى يوم القيامة

٣٦٤٨

وَ رَوَى أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ أَنَّ الرُّوَايَاتِ اِخْتَلَفَتْ فِي هَيْدِهِ اَلْوَاقِعِ فَرَوَى قَوْمٌ أَنَّ الرَّجُلَيْنِ كَانَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَيْسَا مِنْ وُلْدِ آدَمَ لِصُلْبِهِ وَ اَلْأَكْثَرُونَ خَالَفُوا فِي ذَلِكَ.

ثُمَّ اِخْتَلَفَ اَلْمَأْكَثَرُونَ فَرَوَى قَوْمٌ أَنَّ اَلْقُرْبَانَ مِنْ قَابِيلَ وَ هَابِيلَ كَمَا نِ اِئْتِدَاءِ وَ اَلْأَكْثَرُونَ قَالُوا بَلْ أَرَادَ آدَمُ عَ أَنْ يُرَوِّجَ هَابِيلَ أُخْتِ قَابِيلَ تَوَاطَمَتْهُ وَ يُرَوِّجَ

ص: ١٤٥

قَابِيلَ أَخْتِ هَابِيلَ تَوَأَمَتَهُ فَأَبَى قَابِيلُ لِأَنَّ تَوَأَمَتَهُ كَانَتْ أَحْسَنَ فَأَمَرَهُمَا أَبُوهُمَا بِالْقُرْبَانِ فَمَنْ تَقَبَّلَ قُرْبَانَهُ نَكَحَ الْحَسَنَاءَ فَتَقَبَّلَ قُرْبَانُ هَابِيلَ فَقَتَلَهُ أَخُوهُ كَمَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ.

و

٣٦٤٩

رَوَى الطَّبْرِيُّ مَوْفُوعًا أَنَّهُ ص قَالَ مَا مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ عِ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا وَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ.

و هَذَا يُشِيدُ قَوْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِ الْأَ - وَ قَدْ أَمَعْتُمْ فِي الْبَغْيِ وَ أَفْسِدْتُمْ فِي الْمَارِضِ مُصِداً رَحَهُ لِلَّهِ بِالْمُنَاصِبِ بِهِ وَ مِبَارِزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمَحَارِبِ فَاللَّهُ اللَّهُ فِي كِبَرِ الْحَمِيَّةِ وَ فَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مَلَأَ قِيْحَ الشَّنَانِ وَ مَنَاقِحُ الشَّيْطَانِ الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَّمَ الْمَاضِيَةَ وَ الْقُرُونَ الْخَالِيَةَ حَتَّى أَعْتَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ وَ مَهَاوِي ضَلَالَتِهِ ذُلًّا عَنِ سِيَاقِهِ سُلْسَاءً فِي قِيَادِهِ أَمْرًا تَشَابَهَتْ الْقُلُوبُ فِيهِ وَ تَتَابَعَتِ الْقُرُونَ عَلَيْهِ وَ كِبْرًا تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ إِلَّا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعِهِ سَادَاتِكُمْ وَ كُبْرَائِكُمْ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسْبِهِمْ وَ تَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسْبِهِمْ وَ أَلْفُوا الْهَجِيئَةَ عَلَى رَبِّهِمْ وَ جَا حَدُّوا اللَّهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ وَ مُعَالَبَةً لِأَلَانِهِ فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أُسَاسِ [أَسَاسِ]

الْعَصِيَّةِ وَ دَعَائِمِ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ وَ سُيُوفِ اعْتِرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ لَا تَكُونُوا لِنِعْمِهِ عَلَيْكُمْ أُضْدَادًا وَ لَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَادًا

ص: ١٤٦

وَلَا تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِيتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ وَهُمْ أَسَاسٌ [آسَاسٌ] الْفُسُوقِ وَأَخْلَاسُ الْعُقُوقِ اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ وَجُنُوداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ وَتَرَاجِمَهُ يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ اسْتِزْقَ لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ وَنَفْساً فِي أَسْمَاعِكُمْ فَجَعَلَكُمْ مَرَمَى نَبْلِهِ وَمَوْطَى قَدَمِهِ وَمَأْخِذَ يَدِهِ فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسِيئِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ وَقَائِعِهِ وَثَلَاثِهِ وَتَعَطُّوا بِمِثَالِهِ وَخُدُودِهِمْ وَمَصَارِعَ جُنُوبِهِمْ وَاسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ كَمَا تَسْتَعِيدُونَ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ .

أمعنتم في البغي

بَالَعْتُمْ فِيهِ مِنْ أَمْعَنَ فِي الْأَرْضِ أَى ذَهَبَ فِيهَا بَعِيداً وَمَصَارِحَ لِلَّهِ أَى مَكَاشِفَهُ .

وَالْمُنَاصِبَةُ الْمَعَادَةُ .

وَمَلَاوِيحُ الشَّنَائِنِ قَالَ الرَّوَانْدِيُّ الْمَلَاوِيحُ هِيَ الْفُحُولُ الَّتِي تَلْقَحُ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ نَصَ الْجَوْهَرِيِّ عَلَى أَنَّ الْوَجْهَ لَوَاقِحُ كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَ أَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ (١) وَقَالَ هُوَ مِنَ النُّوَادِرِ لِأَنَّ الْمَاضِي رِبَاعِيٌّ وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمَلَاوِيحَ هَاهُنَا جَمْعُ مَلْقَحٍ وَهُوَ الْمَصْدَرُ مِنْ لَقَحَتْ كَضْرَبَتْ مَضْرَباً وَشَرِبَتْ مَشْرَباً وَيَجُوزُ فَتْحُ النُّونِ مِنَ الشَّنَائِنِ وَتَسْكِينُهَا وَهُوَ الْبِغْضُ .

وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ

جَمْعُ مَنْفَخٍ وَهُوَ مَصْدَرٌ أَيْضاً مِنْ نَفَخَ وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ وَنَفَثَهُ

ص: ١٤٧

واحد و هو وسوسته و تسويله و يقال للمتطاول إلى ما ليس له قد نفخ الشيطان في أنفه.

و

٣٦٥٠

١- في كلامه ع يَقُولُهُ لِطَلْحَةَ وَ هُوَ صَيْرِيعٌ وَ قَدْ وَقَفَ عَلَيْهِ وَ أَخَذَ سَيْفَهُ سَيْفٌ طَالَمَا جَلَى بِهِ الْكَرْبَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ لَكِنَّ الشَّيْطَانَ نَفَخَ فِي أَنْفِهِ .

قوله و أَعْنَقُوا أَسْرَعُوا و فرس مِعْنَقٌ و السَّيْرُ الْعَنْقُ قال الراجز يا ناقُ سِيرِي عَنَقًا فَسِيحًا إلى سليمان فَنَشْتَرِيحًا (١) .

و الْحَنَادِسُ الظُّلْمُ .

و الْمَهَاوِي جمع مَهْوَاهٍ بالفتح و هي الهُوَّة يتردى الصيد فيها و قد تهاوى الصيد في المَهْوَاهِ إذا سقط بعضه في أثر بعض .

قوله ع ذُلًّا عن سياقه انتصب على الحال جمع ذلول و هو السهل المقاده و هو حال من الضمير في أَعْنَقُوا أى أَسْرَعُوا منقادين لسوقه إياهم .

و سُيْلًا جمع سَلِسٍ و هو السهل أيضا و إنما قسم ذُلًّا و سُيْلًا بين سياقه و قياده لأن المستعمل في كلامهم قَدَّتِ الْفَرَسُ فوجدته سلسا أو صعبا و لا يستحسنون سقته فوجدته سلسا أو صعبا و إنما المستحسن عندهم سقته فوجدته ذلولا أو شموسا .

قوله ع أمرا منصوب بتقدير فعل أى اعتمدوا أمرا و كبرا معطوف عليه أو ينصب كبرا على المصدر بأن يكون اسما واقعا موقعه كالعطاء موضع الإعطاء .

و قال الراوندى أمراً منصوب هاهنا لأنه مفعول به و ناصبه المصدر الذى هو سياقه و قياده تقول سَيِّقْتُ و قُدْتُ قِيَادًا و هذا غير صحيح لأن مفعول هذين المصدرين محذوف تقديره عن سياقه إياهم و قياده إياهم و هذا هو معنى الكلام و لو فرضنا مفعول

ص: ١٤٨

(١-١) الراجز لأبى النجم العجلى، و هو من شواهد ابن عقيل ٢:٢٧٤.

أحد هذين المصدرين أمرا لفسد معنى الكلام و قال الراوندى أيضا و يجوز أن يكون أمرا حالا و هذا أيضا ليس بشىء لأن الحال وصف هيئه الفاعل أو المفعول و أمرا ليس كذلك.

قوله ع تَشَابَهَتْ الْقُلُوبُ فِيهِ أَى أَنْ الْحَمِيهِ وَ الْفَخْرَ وَ الْكِبْرَ وَ الْعَصِيْبِيَهَ مَا زَالَتْ الْقُلُوبُ مَتَشَابِهَهُ مَتَمَاثِلَهُ فِيهَا.

و تتابعت القرون عليه

جمع قَزَنَ بِالْفَتْحِ وَ هِيَ الْأُمَّةُ مِنَ النَّاسِ.

و كبرا تضايقت الصدور به

أى كبر فى الصدور حَتَّى امْتَلَأَتْ بِهِ وَ ضَاقَتْ عَنْهُ لِكثْرَتِهِ .

ثُمَّ أَمَرَ بِالْحَذَرِ مِنْ طَاعَةِ الرُّؤَسَاءِ أَرْبَابِ الْحَمِيَّةِ وَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَ كُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (١) .

و قد كان أمر فى الفصل الأول بالتواضع لله و نهى هاهنا عن التواضع للرؤساء و قد جاء

٣٤٥١

فِي الْحَبْرِ الْمَرْفُوعِ مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ وَ أَحْسَنُ مِنْهُ تَكَبُّرُ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ.

الذين تكبروا عن حسبهم

أى جهلوا أنفسهم و لم يفكروا فى أصلهم من النُّطْفِ الْمَسْتَقْدَرَهُ مِنَ الطِّينِ الْمَتَّنِ قَالَ الشَّاعِرُ مَا بَالَ مِنْ أَوْلِهِ نَطْفَهُ

قوله ع و أَلْقُوا الْهَجِيْنَةَ عَلَى رَبِّهِمْ روى الهجينه على فعيله كالتبيعه و الخليقه و روى الهجنه على فعله كالمضغه و اللقمه و المراد بهما الاستهجان من قولك هو يهجن كذا أى يقبحه و يستهجنه أى يستقبحه أى نسبوا ما فى الأنساب

ص: ١٤٩

من القبح بزعمهم إلى ربهم مثل أن يقولوا للرجل أنت عجمي و نحن عرب فإن هذا ليس إلى الإنسان بل هو إلى الله تعالى فأى ذنب له فيه.

قوله و جاحدوا الله أى كابروه و أنكروا صنعه إليهم .

و أساس بالمد جمع أساس .

و اعتراء الجاهليه قولهم يا لفلان و سمع أبى بن كعب رجلا- يقول يا لفلان فقال عضضت بهن أبيك فقيل له يا أبا المنذر ما كنت فحاشا

٣٤٥٢

قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ مَنْ تَعَزَّى بِعِزِّ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّهُ بِهِنَّ أَبِيهِ وَلَا تُكْنُوا .

قوله فلا تكونوا لنعمه الله أضدادا لأن البغى و الكبر يقتضيان زوال النعمه و تبدلها بالنقمه.

قوله و لا تطيعوا الأذعياء مراده هاهنا بالأذعياء الذين ينتحلون الإسلام و يبطنون النفاق.

ثم وصفهم فقال الذين شربتم بصفوكم كدرهم أى شربتم كدرهم مستبدلين ذلك بصفوكم و يروى الذين ضربتم أى مزجتم و يروى شربتم أى بعتم و استبدلتم .

و الأخلّاس جمع حلس و هو كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازما له فقيل لكل ملازم أمر هو حلس ذلك الأمر.

و الترجمان بفتح التاء هو الذى يفسر لسانا بلسان غيره و قد تضم التاء و يروى و نثا فى أسماعكم من نث الحديث أى أفشاه

ص : ١٥٠

فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِمَنْ لَخَّصَ فِيهِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَ لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَاثُرَ وَ رَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ
فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ وَ عَفَرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ وَ خَفَضُوا أَعْيُنَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ كَانُوا قَوْمًا مُسْتَضْعَفِينَ قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ
بِالْمَخْمَصَةِ وَ ابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ وَ امْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَافِ وَ مَخَضَهُمْ [مَحَصَهُمْ]

بِالْمَكَارِهِ فَلَا تَعْتَبِرُوا [الرِّضَا]

الرِّضَى وَ السُّخْطَ بِالْمَالِ وَ الْوَلَدِ جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ وَ الْإِخْتِبَارِ فِي مَوْضِعِ الْغِنَى وَ الْإِقْتِدَارِ [الْإِقْتَارِ]

فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى أَيْحَسِبُونَ أَنَّ نُمُودَهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَ بَيْنَ نَسَارِعِ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ .

(١)

التكاير

التعاضم و الغرض مقابله لفظه التواضع لتكون الألفاظ مزدوجة .

و عفر وجهه ألصقه بالعفر.

و خفضوا أعينهم

ألانوا جانبهم.

و المخمصه الجوع و المجهده المشقه و أمير المؤمنين ع كثير الاستعمال لمفعل و مفعله بمعنى المصدر إذا تصفحت كلامه
عرفت ذلك.

و محصهم

أى طهرهم و روى مخضهم بالخاء و الضاد المعجمه أى حركهم و زلزلهم.

ص: ١٥١

ثم نهى أن يعتبر رضا الله و سخطه بما نراه من إعطائه الإنسان مالا و ولدا فإن ذلك جهل بمواقع الفتنة و الاختبار .

و قوله تعالى أَيْحَسِبُونَ الْآيَةَ دَلِيلَ عَلَى مَا قَالَهُ عِ وَ الْأَدْلَةَ الْعَقْلِيَّةَ أَيْضًا دَلَّتْ عَلَى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْآلَامِ وَ الْغُمُومِ وَ الْبَلْوَى إِنَّمَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْأَطْلَافِ وَ الْمَصَالِحِ وَ مَا الْمَوْصُولَةُ فِي الْآيَةِ يَعُودُ إِلَيْهَا مُحذُوفٌ وَ مُقَدَّرٌ لَا بَدَّ مِنْهُ وَ إِلَّا كَانَ الْكَلَامُ غَيْرَ مُنْتَظَمٍ وَ غَيْرَ مُرْتَبَطٍ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَ تَقْدِيرُهُ تُلْسَارُ عَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسِيئِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ وَ لَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَ مَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَ عَلَى فِرْعَوْنَ وَ عَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَ بِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسِيلِمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَ دَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ أَلَا تَعَجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَ بَقَاءَ الْمُلْكِ وَ هُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَ الذُّلِّ فَهَلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَ جَمْعُهُ وَ اخْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَ لُبْسِهِ وَ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبِ وَ مَعَادِنَ الْعِقْيَانِ وَ مَعَارِسَ الْجِنَانِ وَ أَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَ وَحُوشَ الْأَرْضِينَ لَفَعَلَ وَ لَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ وَ بَطَلَ الْجَزَاءُ وَ اضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ وَ لَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُتَبَلِّغِينَ وَ لَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ وَ لَا لَزِمَتْ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا وَ لَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أَوْلَى قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وَ ضَعْفَهُ فِيمَا

تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ مَعَ قَنَاعِهِ تَمَلُّ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غَنَى وَخِصَاصَهُ تَمَلُّ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَدَى .

مَدَارِعُ الصَّوْفِ

جمع مَدْرَعِه بكسر الميم و هي كالكساء و تدرع الرجل و تمدرع إذا لبسها و العِصَى جمعُ عَصَا .

و تقول هذا سوار المرأه و الجمع أسوره و جمع الجمع أساوره و قرئ فَلَوْلَا- أَلْقَى عَلَيْهِ أَسُورَهُ مِنْ ذَهَبٍ (١) و قد يكون جمع أساور قال سبحانه يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ (٢) قال أبو عمرو بن العلاء أساور هاهنا جمع إسوار و هو السَّوَارِ.

و الذُّهْبَانُ بكسر الذال جمع ذهب كخرب لذكر الجبارى و خربان و العُقَيَانُ الذهب أيضا قوله ع و اضمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ أَى تَلَاشَتْ و فَيَبِئَتْ و الْأَنْبَاءُ جمع نبأ و هو الخبر أَى لسقط الوعد و الوعيد و بطلا.

قوله ع و لا لزمَتِ الْأَسْمَاءُ معانيها أَى من يسمى مؤمنا أو مسلما حينئذ فإن تسميته مجاز لا حقيقه لأنه ليس بمؤمن إيمانا من فعله و كسبه بل يكون ملجأ إلى الإيمان بما يشاهده من الآيات العظيمة.

و الْمُبْتَلَيْنَ بفتح اللام جمع مبتلى كالمعطين و المرتضين جمع معطى و مرتضى .

و الخصاصه الفقر.

ص: ١٥٣

١-١) سورة الزخرف ٥٣.

٢-٢) سورة الحج ٢٣.

و هذا الكلام هو ما يقوله أصحابنا بعينه في تعليل أفعال الباري سبحانه بالحكمه و المصلحه و أن الغرض بالتكليف هو التعريض للثواب و أنه يجب أن يكون خالصا من الإلجاء و من أن يفعل الواجب بوجه غير وجه وجوبه يرتدع عن القبيح لوجه غير وجه قبحه.

٣٦٥٣

و روى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في التاريخ أن موسى قدم هو و أخوه هارون مضر على فزعون لما بعثهما الله تعالى إليه حتى وقفوا على باب يلمس إنا الباذن عليه فمكثا سنين يعدوان على بابيه و يزوحان لا يعلم بهما و لا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنيهما و قد كانا قالا لمن بالباب إنا رسولا رب العالمين إلى فزعون حتى دخل عليه بطال له يلاعبه و يضجكه فقال له أيها الملك إن على الباب رجلا يقول قولا عجيبا عظيما و يزعم أن له إلهة غيرك قال ببأبي قال نعم قال أدخلوه فدخل و بيده عصاه و معه هارون أخوه فقال أنا رسول رب العالمين إليك. و ذكر تمام الخبر.

فإن قلت أي خاصيه في الصوف و لبسه و لم اختاره الصالحون على غيره قلت ورد

٣٦٥٤

في الخبر أن أول لباس لبسه آدم لما هبط إلى الأرض صوف كبش قيضه الله له و أمره أن يذبحه فيأكل لحمه و يلبس صوفه لأنه أهبط عريانا من الجنة فذبحه و غزلت حواء صوفه فلبس آدم منه ثوبا و ألبس حواء ثوبا آخر فلذلك صار شعار الأولياء و انتسبت إليه الصوفيّه.

ص: ١٥٤

وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَأُتْرَامَ وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ وَ مُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرَّجَالِ وَ تُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرَّحَالِ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْإِعْتِبَارِ وَ أَبْعَدَ لَهُمْ [مِنْ]

فِي الْإِسْتِكْبَارِ وَ لَأَمْنُوا عَنْ رَهْبِهِ قَاهِرِهِ لَهُمْ أَوْ رَغْبِهِ مَائِلِهِ بِهِمْ فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَ الْحَسَنَاتُ مُقْتَسِمَةً وَ لَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّبَاعَ لِرُسُلِهِ وَ التَّصَدِيقَ بِكُتُبِهِ وَ الْخُشُوعَ لَوَجْهِهِ وَ الْإِسْتِكَانَةَ لِأَمْرِهِ وَ الْإِسْتِسْلَامَ لِطَاعَتِهِ أُمُورًا لَهُ خَاصَّةً لَا تَشُوبُهَا [يَشُوبُهَا]

مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ .

تمد نحوه أعناق الرجال

أى لعظمته أى يؤمله المؤمنون و يرجوه الراجون و كل من أمل شيئاً فقد طمح ببصره إليه معنى لا صوره فكنى عن ذلك بمد العنق.

و تشد إليه عقد الرحال

يسافر أرباب الرغبات إليه يقول لو كان الأنبياء ملوكا ذوى بأس و قهر لم يمكن إيمان الخلق و انقيادهم إليهم لأن الإيمان فى نفسه واجب عقلا- بل كان لرهبه لهم أو رغبه فيهم فكانت النيات مشتركة هذا فرض سؤال و جواب عنه كأنه قال لنفسه لم لا يجوز أن يكون إيمانهم على هذا التقدير لوجوبه و لخوف ذلك النبى أو لرجاء نفع ذلك النبى ص فقال لأن النيات تكون حينئذ مشتركة أى يكون المكلف قد فعل الإيمان لكلا الأمرين و كذلك تفسير قوله و الحسنات مقتسمة قال و لا يجوز أن تكون طاعه الله تعالى تعلقو إلا لكونها طاعه له لا غير و لا يجوز أن يشوبها و يخالطها من غيرها شائبة .

ص: ١٥٥

فإن قلت ما معنى قوله لكان ذلك أهون على الخلق فى الاعتبار و أبعد لهم من الاستكبار قلت أى لو كان الأنبياء كالملوك فى السطوه و البطش لكان المكلف لا يشق عليه الاعتبار و الانزجار عن القبائح مشقته عليه إذا تركه لقبحه لا لخوف السيف و كان بعد المكلفين عن الاستكبار و البغى لخوف السيف و التأديب أعظم من بعدهم عنهما إذا تركوهما لوجه قبحهما فكان يكون ثواب المكلف إما ساقطا و إما ناقصا و كلما كانت البلوى و الاختيار أعظم كانت المثوبه و الجزاء أجزل أ لا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم ص إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر و لا تنفع و لا تبصر و لا تسمع فجعلها بيته الحرام الذى جعله [الله]

للناس قياماً ثم وضعه بأوعر بقاء الأرض حجراً و أقل نتائق الدنيا مدرأ و أضيق بطن الأودية قطراً بين جبال خشنه و رمال دمه و عيون وشمله و قرى منقطعته لا يزكو بها حفر و لا حافر و لا ظلف ثم أمر آدم ع و ولده أن يثنوا أعطافهم نحوه فصار مثابه لمنتجع أسفارهم و غايه لملقى رحالهم تهوى إليه ثمار الأفئده من مفاوز قفار سحيقه و مهاوى فجاج عميقه و جزائر بحار منقطعته حتى يهزوا منابكهم ذللاً يهللون لله حوله و يزملون على أقدامهم شعناً غبراً له قد نبذوا السرايل وراء ظهورهم و شوها بإعفاء الشعور محاسن خلقهم ابتلاء عظيماً و امتحاناً شديداً و اختباراً مبيناً و تمحيصاً بليغاً جعله الله سبباً لرحمته و واصله إلى جنته

وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَ مَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارٍ وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ جَمِّ الْأَشْجَارِ دَانِي الثَّمَارِ مُلْتَفِّ الْبُنَى
مُتَّصِلِ الْقَرَى بَيْنَ بُرِّهِ سَمَرَاءَ وَ رَوْضِهِ خَضْرَاءَ وَ أَرْيَافٍ مُحَدِقَةٍ وَ عِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ وَ [زُرُوعٍ]

رِيَاضٍ نَاصِرَةٍ وَ طُرُقٍ عَامِرَةٍ لَكَانَ قَدْ صَعُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ وَ لَوْ كَانَ [الْأَسَاسُ]

الْأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا وَ الْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا مِنْ زُمُرَدِهِ خَضْرَاءَ وَ يَاقُوتِهِ حَمْرَاءَ وَ نُورٍ وَ ضِيَاءٍ لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي
الْصُّدُورِ وَ لَوَضَعَ مُجَاهِدَةً إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ وَ لَنَفَى مُعْتَلِمِجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ وَ يَتَعَبَّدُهُمْ
بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ وَ يَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ إِخْرَاجًا لِلتَّكْبِيرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَ إِشِيكَانًا لِلتَّنَدُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ وَ لِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَابًا فَتْحًا إِلَى
فَضْلِهِ وَ أَسْبَابًا ذُلًّا لِعَفْوِهِ .

كانت المثوبه

أى الثواب.

و أجزل أكثر و الجزيل العظيم و عطاء جزل و جزيل و الجمع جزال و قد أجزلت له من العطاء أى أكثرت .

و جعله للناس قياما أى عمادا و فلان قيام أهله أى يقيم شئونهم و منه قوله تعالى وَ لَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ
قِيَامًا (١) .

و أوعر بقاع الأرض حجرا أى أصعبها و مكان وعر بالتسكين صعب المسلك أو المقام.

ص: ١٥٧

أصل هذه اللفظه من قولهم امرأه متناق أى كثيره الجبل و الولاده و يقال ضيعه متناق أى كثيره الريع فجعل ع الضياع ذوات المدر التي تثار للحرث نتائق و قال إن مكه أقلها صلاحا للزرع لأن أرضها حجريه.

و القطر الجانب و رمال دمه سهله و كلما كان الرمل أسهل كان أبعد عن أن ينبت.

و عيونٍ و شَلَه

أى قليله الماء و الوشل بفتح الشين الماء القليل و يقال و شَلَ الماءَ و شَلَانًا أى قطر.

قوله لا- يزكو بها خف أى لا- تزيد الإبل فيها أى لا تسمن و الخف هاهنا هو الإبل و الحافر الخيل و الحمير و الظلف الشاه أى ليس حولها مرعى يرعاه الغنم فتسمن .

و أن يشوا أعطافهم نحوه أى يقصدوه و يحجوه و عطفا الرجل جانباه.

و صار مثابه أى يثاب إليه و يرجع نحوه مره بعد أخرى و هذه من ألفاظ الكتاب العزيز (١).

قوله ع لمنتجع أسفارهم أى لنجعتها و النجعه طلب الكلاء فى الأصل ثم سمي كل من قصد أمرا يروم النفع منه مُنتَجِعًا.

قوله و غايه لِمُلْقَى رِحَالِهِم أى صار البيت هو الغايه التي هى الغرض و المقصد و عنده تلقى الرحال أى تحط رحال الإبل عن ظهورها و يبطل السفر لأنهم قد انتهوا إلى الغايه المقصوده.

ص: ١٥٨

(١-١) و هو قوله تعالى فى سورة البقره: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا.

قوله تهوى إليه ثمار الأفئدة ثمره الفؤاد هو سويداء القلب و منه قولهم للولد هو ثمره الفؤاد و معنى تهوى إليه أى تتشوقه و تحن نحوه.

و المفاوز هى جمع مفازه الفلاسه سميت مفازه إمّا لأنها مهلكه من قولهم فوز الرجل أى هلك و أمّا تَفَاؤُلاً بالسلامه و الفوز و الروايه المشهوره من مَفَاوِزٍ قَفَارٍ بالإضافه و قد روى قوم من مفاوزَ بفتح الزاء لأنه لا ينصرف و لم يضيفوا جعلوا قفار صفة. و السحيقه البعيده.

و المهاوى المساقط.

و الفجاج جمع فج و هو الطريق بين الجبلين.

قوله ع حتى يهزوا مناكبهم أى يحركهم الشوق نحوه إلى أن يسافروا إليه فكنى عن السفر بهز المناكب.

و ذُلًّا حال إمّا منهم و إمّا من المَنَاكِبِ و واحد المناكب منكب بكسر الكاف و هو مجمع عظم العضد و الكتف.

قوله و يهللون يقولون لا إله إلا الله و روى يهلون لله أى يرفعون أصواتهم بالتبليه و نحوها.

و يرملون

الرمل السعى فوق المشى قليلا.

شُعْنًا غُبْرًا

لا يتعهدون شعورهم و لا ثيابهم و لا أبدانهم قد نَبَدُوا السراييل و رموا ثيابهم و قُمَصَاتِهِم المخيطة.

و شَوْهُوا بإعفاء الشعور

أى غيروا و قبحوا محاسن صورهم بأن أعفوا شعورهم فلم يحلقوا ما فضل منها و سقط على الوجه و نبت فى غيره من الأعضاء التى جرت العاده بإزالتها عنها.

ص: ١٥٩

و التَّمْحِيسُ التَّطْهِيرُ مِنْ مَحْضَتِ الذَّهَبِ بِالنَّارِ إِذَا صَفِيَتْهُ مِمَّا يَشُوْبُهُ وَ التَّمْحِيسُ أَيْضًا الْإِمْتِحَانُ وَ الْإِخْتِبَارُ وَ الْمَشَاعِرُ مَعَالِمُ النَّسْكِ.

قوله و سهل و قرار أى فى مكان سهل يستقر فيه الناس و لا ينالهم من المقام به مشقه.

و جَمَّ الأشجار كثيرها و دانى الثمار قريبها.

و ملتفَّ البنى مُشْتَبِكُ العِمَارِهِ .

و البَرَّةُ الواحده من البِرِّ و هو الحنطه.

و الأَرْيَافُ جمع ريف و هو الخصب و المرعى فى الأصل و هو هاهنا السواد و المزارع و محدقه محيطه و مغدقه غزيره و الغدق الماء الكثير.

و ناضره ذات نضاره و روتق و حسن .

قوله و لو كانت الأساس (1) يقول لو كانت أساس البيت التى حمل البيت عليها و أحجاره التى رفع بها من زُمُرْدَةٍ و يَأْقُوْتَةٍ فالمحمول و المرفوع كلاهما مرفوعان لأنهما صفة اسم كان و الخبر من زمرده و روى بين زمرده و يجوز أن تحمل لفظتا المفعول و هما المحمول و المرفوع ضمير البيت فيكون قائما مقام اسم الفاعل و يكون موضع الجار و المجرور نصبا و يجوز ألا تحملهما ذلك الضمير و يجعل الجار و المجرور هو الساد مسد الفاعل فيكون موضعه رفعا.

و روى مضارعه الشك بالضاد المعجمه و معناه مقارنه الشك و دنوه من النفس و أصله من مضارعه القدر إذا حان إدراكها و من مضارعه الشمس إذا دنت للمغيب.

و قال الراوندى فى تفسير هذه الكلمه من مضارعه الشك أى مماثلته و مشابهته و هذا بعيد لأنه لا معنى للمماثله و المشابهه هاهنا و الروايه الصحيحه بالصاد المهمله.

قوله ع و لنفى معتلج الريب أى اعتلاجه أى و لنفى اضطراب الشك فى القلوب و روى يستعبدهم و يتعبدهم و الثانى أحسن.

ص : ١٦٠

(١ - ١) الأساس، بالكسر: جمع أس.

والمجاهد جمع مجهده و هي المشقه.

و أبوابا فتحة أى مفتوحه و أسبابا ذللا أى سهله.

و اعلم أن محصول هذا الفصل أنه كلما كانت العباده أشق كان الثواب عليها أعظم و لو أن الله تعالى جعل العبادات سهله على المكلفين لما استحقوا عليها من الثواب إلا قدرا يسيرا بحسب ما يكون فيها من المشقه اليسيره.

فإن قلت فهل كان البيت الحرام موجودا أيام آدم ع ثم أمر آدم و ولده أن يشنوا أعطافهم نحوه قلت نعم هكذا روى أرباب السير و أصحاب التواريخ

٣٤٥٥

رَوَى أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى آدَمَ لَمَّا أَهْبَطَهُ إِلَى الْأَرْضِ أَنْ لِي حَرَمًا حِيَالَ عَرْشِي فَانْطَلِقْ فَأَبِنِ لِي بَيْتًا فِيهِ ثُمَّ طُفْ بِهِ كَمَا رَأَيْتَ مَلَائِكَتِي تَحْفُ بِعَرْشِي فَهَذَا لَكَ أَسْتَجِيبُ دُعَاءَكَ وَ دُعَاءَ مَنْ يَحْفُ بِكَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ فَقَالَ آدَمُ إِنِّي لَسْتُ أَقْوَى عَلَى بِنَائِهِ وَلَا أَهْتَدِي إِلَيْهِ فَقَبِضَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مَلَكًا فَانْطَلَقَ بِهِ نَحْوَ مَكَّةَ وَ كَانَ آدَمُ فِي طَرِيقِهِ كَلِمًا رَأَى رَوْضَةً أَوْ مَكَانًا يُعْجِبُهُ سَأَلَ الْمَلَكُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ هُنَاكَ لِيُنِي فِيهِ فَيَقُولُ الْمَلِكُ إِنَّهُ لَيْسَ هَاهُنَا حَتَّى أَقْدِمَهُ مَكَّةَ فَبَنَى الْعَبِيَّتَ مِنْ حَمْسَةِ جِبَالِ طُورِ سَيْنَاءَ وَ طُورِ زَيْتُونٍ وَ لُبْنَانَ وَ الْجُودِيَّ وَ بَنَى قَوَاعِدَهُ مِنْ حِرَاءٍ فَلَمَّا فَرَّغَ خَرَجَ بِهِ الْمَلَكُ إِلَى عَرَافَاتٍ فَأَرَاهُ الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا الَّتِي يَفْعَلُهَا النَّاسُ الْيَوْمَ ثُمَّ قَدِمَ بِهِ مَكَّةَ وَ طَافَ بِالْبَيْتِ أُسْبُوعًا ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَرْضِ الْهِنْدِ فَمَاتَ.

٣٤٥٦

و رَوَى الطَّبْرِيُّ فِي التَّارِيخِ أَنَّ آدَمَ حَجَّ مِنْ أَرْضِ الْهِنْدِ إِلَى الْكَعْبَةِ أَرْبَعِينَ حِجَّةً عَلَى رِجْلَيْهِ.

ص: ١٤١

قَدْ رَوَى أَنَّ الْكُفْبَةَ أَنْزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ وَ هِيَ يَاقُوتَةٌ أَوْ لؤلؤَةٌ عَلَى اخْتِلَافِ الرُّوَايَاتِ وَ أَنَّهَا بَقِيَتْ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ إِلَى أَنْ فَسَدَتْ
الْأَرْضُ بِالْمَعَاصِي أَيَّامَ نُوحٍ وَ جَاءَ الطُّوفَانُ فَرَفَعَ الْبَيْتَ وَ بَنَى إِبْرَاهِيمَ هَذِهِ الْبَيْتَةَ عَلَى قَوَاعِدِهِ الْقَدِيمَةِ.

رَوَى أَبُو جَعْفَرٍ عَنْ وَهْبِ بْنِ مَتِيهِ أَنَّ آدَمَ دَعَا رَبَّهُ فَقَالَ يَا رَبِّ أَمَا لِلأَرْضِ حِكْمٌ هَذِهِ عَامِرٌ يُسَبِّحُ بِحُكِّكَ وَ يُقَدِّسُكَ فِيهَا غَيْرِي فَقَالَ اللَّهُ
إِنِّي سَأَجْعَلُ فِيهَا مِنْ وُلْدِكَ مَنْ يُسَبِّحُ بِحَمْدِي وَ يُقَدِّسُنِي وَ سَأَجْعَلُ فِيهَا بِيوتًا تُرْفَعُ لِتَذَكَّرِي يُسَبِّحُنِي فِيهَا خَلْقِي وَ يَذَكُرُ فِيهَا
اسْمِي وَ سَأَجْعَلُ مِنْ تِلْكَ الْبِيوتِ بَيْتًا أَخْتَصُّهُ بِكَرَامَتِي وَ أُؤْتِرُهُ بِاسْمِي فَأَسْمِيهِ بَيْتِي وَ عَلَيْهِ وَضَعْتَ جَلَالَتِي وَ خَصَصْتَهُ بِعَظَمَتِي وَ
أَنَا مَعَ ذَلِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ أَجْعَلُ ذَلِكَ أَلَمِيَّتَ حَرَمًا آمِنًا يُحْرَمُ بِحُرْمَتِهِ مَنْ حَوْلَهُ وَ مَنْ تَحْتَهُ وَ مَنْ فَوْقَهُ فَمَنْ حَرَّمَهُ بِحُرْمَتِي
اسْمِي تَوَجَّبَ كَرَامَتِي وَ مَنْ أَخَافَ أَهْلَهُ فَقَدْ أَبَاحَ حُرْمَتِي وَ اسْمِي تَحَقَّقَ سَخَطِي وَ أَجْعَلُهُ بَيْتًا مُبَارَكًا يَأْتِيهِ بَنُوكَ شُعْنًا غَيْرًا عَلَيَّ كُلِّ ضَامِرٍ
... مِنْ كُلِّ فَحْجٍ عَمِيْقٍ يَرْجُونَ بِالتَّلْبِيَةِ رَجِيحًا وَ يَعْبُجُونَ بِالتَّكْبِيرِ عَجِيحًا مِنْ اعْتِمَادِهِ لَا يُرِيدُ غَيْرَهُ وَ وَقَدَ إِلَيَّ وَ زَارَنِي وَ اسْمِي تَضَافَ بِي
اسْمِي عَفْتُهُ بِحِاجَتِهِ وَ حَقُّ عَلَى الْكَرِيمِ أَنْ يُكْرِمَ وَ فَعْدُهُ وَ أَضْيَافُهُ تَعْمُرُهُ يَا آدَمَ مَا دُمْتَ حَيًّا ثُمَّ تَعْمُرُهُ الْأُمَمُ وَ الْقُرُونُ وَ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ
وُلْدِكَ أُمَّهُ بَعْدَ أُمَّهِ وَ قَوْمًا بَعْدَ قَوْمٍ.

قَالَ ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ الَّذِي أَهْبَطَ لَهُ إِلَى الْأَرْضِ فَيَطُوفُ بِهِ كَمَا كَانَ يَرَى الْمَلَائِكَةَ تَطُوفُ حَوْلَ الْعَرْشِ وَ
كَانَ الْبَيْتُ حِينَئِذٍ مِنْ دَرِهِ أَوْ مِنْ يَاقُوتِهِ فَلَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْمَ نُوحٍ رَفَعَهُ وَ بَقِيَ أَسَاسُهُ فَبَوَّأَهُ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ فَبَنَاهُ .

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ وَ آجِلِ وَخَامِهِ الظُّلْمِ وَ سُوءِ عَاقِبِهِ الْكِبْرِ فَإِنَّهَا مَضِيْدُهُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى وَ مَكِيدَتُهُ الْكِبْرَى الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ
الرِّجَالِ مُسَاوِرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ فَمَا تُكْرِدِي أَبَدًا وَ لَا تُشْوِي أَحَدًا لَا عَالِمًا لِعِلْمِهِ وَ لَا مُقِلًّا فِي طَمْرِهِ وَ عَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ
الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ مُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ تَسْكِينًا لِأَطْرَافِهِمْ وَ تَخْشِيْعًا لِأَبْصَارِهِمْ وَ تَذَلِيلًا لِنُفُوسِهِمْ وَ
تَخْفِيْضًا لِقُلُوبِهِمْ وَ إِذْهَابًا لِلْخِيَلَاءِ عَنْهُمْ وَ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَغْيِيْرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضِعًا وَ التِّصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالأَرْضِ
تَصِيْغًا وَ لِحُوقِ الْبُطُونِ بِالمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلًا مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صِيْرِفِ ثَمَرَاتِ الأَرْضِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسِيْكَنَةِ وَ
الْفَقْرِ انْظُرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ وَ قَدْعِ طَوَالِعِ الْكِبْرِ .

بلده وخمه و وخيمه بينه الوخامه أى وبيئه.

مَضِيْدُهُ إِبْلِيسَ

بسكون الصاد و فتح الياء آلتة التي يصطاد بها.

و تَسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ تَوَاتِبُهَا وَ سَارَ إِلَيْهِ يَسُورُ أَى وَثَبَ وَ المَصْدَرُ السُّورُ وَ مَصْدَرُ تَسَاوَرَ الْمَسَاوِرَةُ وَ يُقَالُ إِنْ لَغَضِبَهُ سُوْرُهُ وَ هُوَ
سُوَارُ أَى وَثَابَ مَعْرَبًا.

ص: ١٦٣

و سورة الشراب وثوبه فى الرأس و كذلك مساوره السموم التى ذكرها أمير المؤمنين ع .

و ما تكدى ما ترد عن تأثيرها من قولك أكدى حافر الفرس إذا بلغ الكديه و هى الأرض الصلبه فلا يمكنه أن يحفر.

و لا تشوى أحدا

لا تخطئ المقتل و تصيب غيره و هو الشوى و الشوى الأطراف كاليد و الرجل.

قال لا ترد مكيدته عن أحد لا عن عالم لأجل علمه و لا عن فقير لظمره و الطمر الثوب الخلق .

و ما فى قوله و عن ذلك ما حرس الله زائده مؤكده أى عن هذه المكاييد التى هى البغى و الظلم و الكبر حرس الله عباده فعن متعلقه بحرس و قال الراوندى يجوز أن تكون مصدرية فىكون موضعها رفعا بالابتداء و خبر المبتدأ قوله لما فى ذلك و قال أيضا يجوز أن تكون نافية أى لم يحرس الله عباده عن ذلك إلقاء و قهرا بل فعلوه اختيارا من أنفسهم و الوجه الأول باطل لأن عن على هذا التقدير تكون من صله المصدر فلا- يجوز تقديمها عليه و أيضا فإن لما فى ذلك لو كان هو الخير لتعلق لام الجر بمحذوف فىكون التقدير حراسه الله لعباده عن ذلك كائنه لما فى ذلك من تعفير الوجوه بالتراب و هذا كلام غير مفيد و لا منتظم إلا- على تأويل بعيد لا حاجة إلى تعسفه و الوجه الثانى باطل لأن سياقه الكلام تدلّ على فساده أ لا ترى قوله تسكيننا و تخشيعا و قوله لما فى ذلك من كذا و هذا كله تعليل الحاصل الثابت لا تعليل المنفى المعدوم.

ثم بين ع الحكمه فى العبادات فقال إنه تعالى حرس عباده بالصلوات

ص: ١٦٤

التي افترضها عليهم من تلك المكاييد و كذلك بالزكاه و الصوم ليسكن أطرافهم و يخشع أبصارهم فجعل التسكين و التخشيع عذرا و عله للحراسه و نصب اللفظات على أنّها مفعول له.

ثمّ علل السكون و الخشوع الذى هو عله الحراسه لما فى الصلاه من تعفير الوجه على التراب فصار ذلك عله العله قال و ذلك لأن تعفير عتاق الوجوه بالتراب تواضعا يوجب هضم النفس و كسرها و تذليلها.

و عتاق الوجوه كرائمها.

و إصاق كرائم الجوارح بالأرض كاليدين و الساقين تصاغرا يوجب الخشوع و الاستسلام و الجوع فى الصوم الذى يلحق البطن فى المتن يقتضى زوال الأشر و البطر و يوجب مذلّه النفس و قمعها عن الانهماك فى الشهوات و ما فى الزكاه من صرف فواضل المكاسب إلى أهل الفقر و المسكنه يوجب تطهير النفوس و الأموال و مواساه أرباب الحاجات بما تسمح به النفوس من الأموال و عاصم لهم من السرقات و ارتكاب المنكرات ففى ذلك كله دفع مكاييد الشيطان .

و تخفيض القلوب حطها عن الاعتلاء و التيه.

و الخيلاء التكبر و المسكنه أشدّ الفقر فى أظهر الرايين .

و القمع القهر.

و النواجم جمع ناجمه و هى ما يظهر و يطلع من الكبر و غيره.

و القدح بالبدال المهمله الكف قدعت الفرس و كبحته باللجام أى كففته.

و الطوالع كالنواجم

ص: ١٦٥

وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لَشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عَلِيٍّ تَحْتَمِلُ تَمْوِيَةَ الْجُهَلَاءِ أَوْ حُجَّه تَلِيْطُ بِعُقُولِ الشُّفَهَاءِ غَيْرِكُمْ فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرِ مَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عَلَيْهِ أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خَلْقِهِ فَقَالَ أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفِهِ الْأُمَّمِ فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النَّعْمِ فَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجْدَاءُ وَالنُّجْدَاءُ مِنْ يُبُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِيِبِ الْقَبَائِلِ بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيْبَةِ وَالْأَحْلَامِ الْعَظِيْمَةِ وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيْلَةِ وَالْأَنْشَارِ الْمَحْمُودَةِ فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمِيدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجَوَارِ وَالْوَفَاءِ بِالذَّمَامِ وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكَبْرِ وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ وَالْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ وَالْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ .

قد روى تحتل بالتاء و روى تحمل و المعنى واحد.

و التمويه التلبس من موهت النحاس إذا طليته بالذهب ليخفى.

و لاط الشيء بقلبي يلوط و يليط أى التصق .

و المترف الذى أطعته النعمه .

و تفاضلت فيها أى تزايدت.

و المجداء جمع ماجد و المجد الشرف فى الآباء و الحسب و الكرم يكونان فى الرجل و إن لم يكونا فى آباءه هكذا قال ابن السكيت و قد اعترض عليه بأن المجيد من صفات الله تعالى قال سبحانه ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١) على قراءه من رفع و الله سبحانه يتعالى عن الآباء و قد جاء فى وصف القرآن المجيد قال سبحانه بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢).

و النجداء

الشجعان واحدهم نجيد و أمّا نجد و نجد بالكسر و الضم فجمعه أنجاد مثل يقظ و أيقاظ.

و بيوتات العرب قبائلها و يعاسب القبائل رؤسائها و يعسوب فى الأصل ذكر النحل و أميرها.

و الرغيبه الخصله يرغب فيها.

و الأحلام

العقول و الأخطار الأقدار .

ثم أمرهم بأن يتعصبوا لخلال الحمد و عددها و ينبغى أن يحمل قوله ع فإنكم تتعصبون لأمر ما يعرف له سبب و لا عله على أنه لا يعرف له سبب مناسب فكيف يمكن أن يتعصبوا لغير سبب أصلا.

و قيل إن أصل هذه العصبية و هذه الخطبه أن أهل الكوفه كانوا قد فسدوا فى آخر خلافه أمير المؤمنين و كانوا قبائل فى الكوفه فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيله أخرى فينادى باسم قبيلته يا للنخع مثلا أو يا لكنده نداء عاليا يقصد به الفتنة و إثارة الشر فيتألب عليه فتیان القبيله التى مر بها فينادون يا لتميم

ص: ١٦٧

١-١) سورة البروج ١٥.

٢-٢) سورة البروج ٢١.

و يا لربيعة و يقبلون إلى ذلك الصائح فيضربونه فيمضى إلى قبيلته فيستصرخها فتسل السيوف و تثور الفتن و لا يكون لها أصل في الحقيقه إلا تعرض الفتیان بعضهم ببعض و اخذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلثات بسوء الأفعال و ذميم الأعمال فتذكروا في الخير و الشر أحوالهم و اخذروا أن تكونوا أمثالهم فإذا تفكرتم في تفاوت حاليتهم فالزموا كل أمر لزم العز به شأنهم [حالهم]

و زاحت الأعداء له عنهم و مئدت العافية به عليهم و انقادت النعمه له معهم و وصلت الكرامه عليه حبلهم من الاجتناب للفرقه و اللزوم للألفه و التحاض عليها و التواصي بها و اجتنبوا كل أمر كسر فقرتهم و أوهن متتهم من تضاعن القلوب و تشاحن الصدور و تدابر النفوس و تحاذل الأيدي .

المثلثات

العقوبات.

و ذميم الأفعال ما يذم منها.

و تفاوت حاليتهم اختلافهما و زاحت الأعداء بعدت و له أى لأجله.

و التحاض عليها

تفاعل يستدعى وقوع الحض و هو الحث من الجهتين أى يحث بعضهم بعضا .

و الفقره واحده فقر الظهر و يقال لمن قد أصابته مصيبه شديده قد كسرت فقرته.

ص: ١٦٨

و المنه القوه.

و تضاعن القلوب و تشاحنهما واحد و تخاذل الأيدي ألا ينصر الناس بعضهم بعضا و تدبروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم كيف كانوا في حال التمحيص و البلاء ألم يكونوا أثقل الخلائق أعباء و أجهد العباد بلاء و أضيّق أهل الدنيا حالا اتخذتهم الفراعنة عبيدا فساموهم سوء العذاب و [جرّعوهم جرّع المرار]

جرّعوهم المرار فلم تبرح الحبال بهم في ذل الهلكه و فهر الغلبه لا- يجدون حيله في امتناع و لا سبيلا إلى دفاع حتى إذا رأى الله سبحانه جد الصبر منهم على الأذى في محبته و الإختمال للمكروه من خوفه جعل لهم من مضايق البلاء فرجا فأبدلهم العز مكان الدل و الأمان مكان الخوف فصاروا ملوكا حكاما و أئمة أعلاما و قد بلغت الكرامة من الله لهم ما لم تذهب الآمال إليه بهم .

تدبروا

أى تأملوا و التمحيص التطهير و التصفيه.

و الأعباء الأثقال واحداه عبء.

و أجهد العباد

أتعبهم .

و الفراعنه العتاه و كل عات فرعون.

و ساموهم سوء العذاب ألزموهم إياه و هذا إشاره إلى قوله تعالى يسومونكم سوء

ص: ١٦٩

الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ

(١)

و المرار بضم الميم شجر مر فى الأصل و استعير شرب المرار لكل من يلقى شديد المشقه .

و رأى الله منهم جد الصبر أى أشده .

و أئمه أعلاما

أى يهتدى بهم كالعلم فى الفلاسه فأنظروا كيف كانوا حيث كانت الأملاء مجتمعه و الأهواء مؤتلفه و القلوب معتدله و الأيدي مترادفه و السيوف متناصرة و البصائر نافذة و العرائم واحده ألم يكونوا أرباباً فى أقطار الأرضين و ملوكاً على رقاب العالمين فأنظروا إلى ما صاروا إليه فى آخر أمورهم حين وقعت الفرقة و تشتت العالفه و اختلفت الكلمه و الأفئده و تشعبوا مختلفين و تفرقوا متحاربين و قد خلع الله عنهم لباس كرامته و سلبهم غصارة نعمته و بقى قصص أخبارهم فيكم عبرة [عبرة]

للمعتبرين [منكم]

الأملاء

الجماعات الواحد ملاً.

ص : ١٧٠

(١ - ١) سورة البقره ٤٩.

و مترادفه متعاونه البصائر نافذه يقال نفذت بصيرتى فى هذا الخبر أى اجتمع همى عليه و لم يبق عندى تردد فيه لعلمى به و تحقيقى إياه .

و أقطار الأرضين نواحيها و تشتت تفرقت .

و تشعبوا صاروا شعوبا و قبائل مختلفين .

و تفرقوا مُتَحَرِّبِينَ اختلفوا أَحْزَابًا و روى متحازبين .

و غَضَارُهُ النُّعْمَةُ الطيب اللين منها .

و القصص الحديث .

يقول انظروا فى أخبار من قبلكم من الأمم كيف كانت حالهم فى العز و الملك لما كانت كلمتهم واحده و إلى ما ذا آلت حالهم حين اختلفت كلمتهم فاحذروا أن تكونوا مثلهم و أن يحل بكم إن اختلفتم مثل ما حل بهم فَأَعْتَبِرُوا بِحَالِ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ وَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَ فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الْأَحْوَالِ وَ أَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الْأَمْثَالِ تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشْتِيهِمْ وَ تَفَرُّقِهِمْ لِيَأْتِيَ كَانَتْ الْأَكْاسِرَةُ وَ الْقِيَاصِرَةُ أَرْبَابًا لَهُمْ يَحْتَارُونَ عَنْ رَيْفِ الْأَفَاقِ وَ بَحْرِ الْعِرَاقِ وَ خُضْرِهِ الدُّنْيَا إِلَى مَنَابِتِ الشُّيْحِ وَ مَهَافِي الرِّيحِ وَ نَكَدِ الْمَعَاشِ فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبْرٍ وَ وَبَرٍ أَذَلَّ الْأُمَمِ دَارًا وَ أَجِيدَبَهُمْ قَرَارًا لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوِهِ يَعْتَصِمُونَ بِهَا وَ لَا إِلَى ظِلِّ أُلْفِهِ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ وَ الْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ وَ الْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ فِي بَلَاءِ أَرْزُلٍ وَ أَطْبَاقِ جَهْلِ مِنْ بَنَاتِ مَوْءُودَةٍ وَ أَصْنَامِ مَعْبُودَةٍ وَ أَرْحَامِ مَقْطُوعَةٍ وَ غَارَاتِ مَشْنُونَةٍ .

ص : ١٧١

لقائل أن يقول ما نعرف أحدا من بنى إسحاق و بنى إسرائيل احتازتهم الأكاسره و القياصره عن ريف الآفاق إلى الباديه و منابت الشّيح إلا أن يقال يهود خبير و النضير و بنى قريظه و بنى قينقاع و هؤلاء نفر قليل لا يعتد بهم و يعلم من فحوى الخطبه أنهم غير مرادين بالكلام و لأنّه ع قال تركوهم إخوان دبر و وير و هؤلاء لم يكونوا من أهل الوبر و الدبر بل من أهل المدر لأنّهم كانوا ذوى حصون و آطام و الحاصل أن الذين احتازتهم الأكاسره و القياصره من الريف إلى الباديه و صاروا أهل وبر ولد إسماعيل لا بنو إسحاق و بنو إسرائيل و الجواب أنّه ع ذكر فى هذه الكلمات و هى قوله فاعتبروا بحال ولد إسماعيل و بنى إسحاق و بنى إسرائيل المقهورين و القاهرين جميعا أما المقهورون فبنو إسماعيل و أمّا القاهرون فبنو إسحاق و بنو إسرائيل لأن الأكاسره من بنى إسحاق ذكر كثير من أهل العلم أن فارس من ولد إسحاق و القياصره من ولد إسحاق أيضا لأن الروم بنو العيص بن إسحاق و على هذا يكون الضمير فى أمرهم و تشتتهم و تفرقهم يرجع إلى بنى إسماعيل خاصّه.

فإن قلت فبنو إسرائيل أى مدخل لهم هاهنا قلت لأن بنى إسرائيل لما كانوا ملوكا بالشام فى أيام أجاى الملك و غيره حاربوا العرب من بنى إسماعيل غير مره و طردوهم عن الشام و ألجئوهم على المقام بباديه الحجاز و يصير تقدير الكلام فاعتبروا بحال ولد إسماعيل مع بنى إسحاق و بنى إسرائيل فجاء بهم فى صدر الكلام على العموم ثم خصص فقال الأكاسره و القياصره و هم داخلون فى عموم ولد إسحاق و إنّما لم يخصص عموم بنى إسرائيل لأن العرب لم تكن تعرف ملوك

ولد يعقوب فيذكر لهم أسماءهم في الخطبه بخلاف ولد إسحاق فإنهم كانوا يعرفون ملوكهم من بنى ساسان و من بنى الأصفر .

قوله ع فما أشدّ اعتدال الأحوال أى ما أشبه الأشياء بعضها ببعض و إن حالكم لشبيهه بحال أولئك فاعتبروا بهم .

قوله يحتازونهم عن الريف يبعدونهم عنه و الريف الأرض ذات الخصب و الزرع و الجمع أرياف و رافت الماشيه أى رعت الريف و قد أرفنا أى صرنا إلى الريف و أرافت الأرض أى أخصبت و هى أرض ريفه بتشديد الياء .

و بحر العراق

دجله و الفرات أما الأكاسره فطردوهم عن بحر العراق و أما القياصره فطردوهم عن ريف الآفاق أى عن الشام و ما فيه من المرعى و المنتجع .

قوله ع أربابا لهم أى ملوكا و كانت العرب تسمى الأكاسره أربابا و لما عظم أمر حذيفه بن بدر عندهم سَمَّوْهُ رَبِّ مَعَدَّ .

و منابت الشيخ أرض العرب و الشيخ نبت معروف .

و مهافى الريح

المواضع التى تهفو فيها أى تهب و هى الفيافى و الصحارى .

و نكد المعاش

ضيقه و قلته .

و تركوهم عماله أى فقراء جمع عائل و العائل ذو العيله و العيله الفقر قال تعالى وَ إِنِ خِفْتُمْ عَيْلَهُ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ (١) قال الشاعر تُعَيِّرُنَا أَنَّنَا عَالَةٌ صَعَالِيكُ نَحْنُ وَ أَنْتُمْ مُلُوكُ .

ص : ١٧٣

نظيره قائد وقاده و سائس و ساسه.

وقوله إخوان دبر و وبر الدبر مصدر دبر البعير أى عقره القتب و الوبر للبعير بمنزله الصوف للضأن و الشعر للمعز.

وقوله أَذَلَّ الْأُمَمِ دَارًا لِعَدَمِ الْمَعَاوِلِ وَ الْحِصُونِ الْمُنِيْعَةِ فِيهَا.

و أَجْدَبَهُمْ قَرَارًا

لِعَدَمِ الزَّرْعِ وَ الشَّجَرِ وَ النَّخْلِ بِهَا وَ الْجَدْبُ الْمَحَلُّ .

وَ لَا يَأْوُونَ لَا يَلْتَجُونَ وَ لَا يَنْضَمُونَ .

وَ الْأَرْلُ الضُّيْقُ وَ أَطْبَاقُ جَهْلٍ جَمَعَ طَبَقَ أَى جَهْلٍ مَتْرَاكِمٍ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ .

وَ غَارَاتٌ مَشْنُونَةٌ

مَتَفَرِّقَةٌ وَ هِيَ أَصْعَبُ الْغَارَاتِ

فصل فى ذكر الأسباب التى دعت العرب إلى وأد البنات

من بنات مؤؤوده كان قوم من العرب يئدون البنات قيل إنهم بنو تميم خاصه و إنه استفاض منهم فى جيرانهم و قيل بل كان ذلك فى تميم و قيس و أسد و هذيل و بكر بن وائل قالوا و ذلك

٣٦٥٩

١٤- أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ص دَعَا عَلَيْهِمْ فَقَالَ اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرَ وَ اجْعَلْ عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ فَأُجْدِبُوا سَبْعَ سِنِينَ حَتَّى أَكَلُوا الْوَبَرَ بِالْدَمِّ وَ كَانُوا يُسْمُونَهُ الْعِلْهَزَ فَوَأَدُوا الْبَنَاتِ لِإِمْلَاقِهِمْ وَ فَقَرِهِمْ .

و قد دل على ذلك بقوله وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةَ إِمْلَاقٍ (١) قَالَ وَ لَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ (٢) .

و قال قوم بل وأدوا البنات أنفه و زعموا أن تميما منعت النعمان الإتاوه سنه من

ص: ١٧٤

١- ١) سورة الإسراء ٣١.

٢- ٢) سورة الممتحنه ١٢.

السنين فوجه إليهم أخاه الريان بن المنذر و جل من معه من بكر بن وائل فاستاق النَّعَمَ و سَبَى الذَّرَارِيَّ و فى ذلك يقول بعض بنى يشكر لما رأوا رايه النُّعْمَانَ مُقْبِلَهُ

فوفدت بنو تميم إلى النعمان و استعطفوه فرق عليهم و أعاد عليهم السبى و قال كل امرأه اختارت أباهما ردت إليه و إن اختارت صاحبها تركت عليه فكلهن اخترن آباءهن إلا- ابنه قيس بن عاصم فإنها اختارت من سبأها و هو عمرو بن المشمرخ الإشكري فنذر قيس بن عاصم المنقرى التميمى ألا- يولد له بنت إلا وأدها و الوأد أن يخنقها فى التراب و يثقل وجهها به حتى تموت ثم اقتدى به كثير من بنى تميم قال سبحانه وَ إِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (١) أى على طريق التبكيت و التوبيخ لمن فعل ذلك أو أجازة كما قال سبحانه يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ (٢) .

و من جيد شعر الفرزدق قوله فى هجاء جرير أ لم تر أنا بنى دارم

ص: ١٧٥

١-١) سورة التكوير ٨،٩.

٢-٢) سورة المائدة ١١٦.

١٤- فِي الْحَدِيثِ أَنَّ صَعَصَعَةَ بْنَ نَاجِيَةَ بْنَ عِقَالٍ لَمَّا وَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَعْمَلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَمَلًا صَالِحًا فَهَلْ يَنْفَعُنِي ذَلِكَ الْيَوْمَ قَالَ ع وَ مَا عَمِلْتَ قَالَ ضَلَلْتُ [أَضَلَلْتُ]

نَاقَتَيْنِ عَشْرًا وَبَيْنَ (١) فَرَكِبْتُ جَمَلًا وَ مَضَيْتُ فِي بُغَائِهِمَا (٢) فَرَفَعَ لِي بَيْتَ حَرِيدٍ (٣) فَقَصَدْتُهُ فَإِذَا شَيْخٌ جَالِسٌ بَيْنَاهُ فَسَأَلْتُهُ عَنِ النَّاقَتَيْنِ فَقَالَ مَا نَارُهُمَا (٤) قُلْتُ مَيْسَمُ بِنِي دَارِمٍ قَالِ هُمَا عِنْدِي وَقَدْ أَحْيَا اللَّهُ بِهِمَا قَوْمًا مِنْ أَهْلِكَ مِنْ مُضَرَ فَجَلَسْتُ مَعَهُ لِيُخْرِجَهُمَا إِلَيَّ فَإِذَا عَجُوزٌ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ كَثْرِ الْبَيْتِ فَقَالَ لَهَا مَا وَضَعْتَ إِنْ كَانَ سَقْبًا (٥) سَارَكْنَا فِي أَمْوَالِنَا وَ إِنْ كَانَ حَائِلًا (٦) وَأَذْنَاهَا فَقَالَتِ الْعَجُوزُ وَضَعْتُ أَنْتِي فَقُلْتُ لَهُ أَتَبِيعُهَا قَالَ وَ هَلْ تَبِيعُ الْعَرَبُ أَوْلَادَهَا قُلْتُ إِنَّمَا أَشْتَرِي حَيَاتَهَا وَ لَا أَشْتَرِي رِقَّهَا قَالَ فَبِكُمْ قُلْتُ اخْتِكُمْ قَالَ بِالنَّاقَتَيْنِ وَ الْجَمَلِ قُلْتُ أَ ذَاكَ لَكَ عَلَى أَنْ يُبَلِّغُنِي الْجَمَلَ وَ إِيَّاهَا قَالَ بَعْتُكَ فَاسْتَنْقَذْتُهَا

ص: ١٧٦

١-١) ناجية؛ هو ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع. و الأقرعان: الأقرع و فراس ابنا حابس بن عقال.

٢-٢) الأسعد: نجم طالعه سعد.

٣-٣) القرني: ضرب من الخنافس أرقط طويل القوائم، و القعدد: اللثيم الآباء.

٤-٤) العشراء من النياق: التي مضى لحملها عشرة أشهر، كالنفساء.

٥-٥) في بغائهما: في طلبهما.

٦-٦) الحرید: المعتزل المتنحي.

مِنْهُ بِالْجَمَلِ وَالنَّاقَتَيْنِ وَآمَنْتُ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ صَارَتْ لِي سِنَّةً فِي الْعَرَبِ أَنْ أُشْتَرِيَ كُلَّ مَوْءُودَةٍ بِنَاقَتَيْنِ عَشْرًاوَيْنِ وَجَمَلٍ
فَعِنْدِي إِلَى هَذِهِ الْغَبَايَةِ ثَمَانُونَ وَمِائَتًا مَوْءُودَةً قَدْ أَنْتَذْتُهِنَّ قَالَتْ لَا يَنْفَعُكَ ذَاكَ لِأَنَّكَ لَمْ تَبْتَغِ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ وَ أَنْ تَعْمَلَ فِي
إِسْلَامِكَ عَمَلًا صَالِحًا تَثْبُ عَلَيْهِ

(١)

٣٦٦١

وَرَوَى الزُّبَيْرُ فِي الْمَوْفِقِيَّاتِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لِقَيْسِ بْنِ عَاصِمِ الْمُنْقَرِيِّ مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ أَنْ وَأَدْتَ قَالَ مَخَافَهُ أَنْ يَخْلِفَ
عَلَيْهِنَّ مِثْلَكَ.

فَانظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ وَ جَمَعَ عَلَيَّ دَعْوَتَهُ أَلْفَتْهُمْ كَيْفَ نَشَرْتَ النِّعْمَةَ عَلَيْهِمْ
جَنَاحَ كِرَامَتِهَا وَ أَسَأَلْتُ لَهُمْ حَيْدَاوِلَ نَعِيمِهَا وَ التَّفَتِ الْمِلَّةَ بِهِمْ فِي عَوَاتِدِ بَرَكَتِهَا فَأَصْدَبُحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ وَ فِي خُضْرِهِ عَيْشَتِهَا
فَكَيْهِينَ [فَاكَيْهِينَ]

قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانِ قَاهِرٍ وَ آوَتْهُمْ الْحَالُ إِلَى كَنْفِ عِزِّ غَالِبٍ وَ تَعَطَّطَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ فَهُمْ
حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ وَ مُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ وَ يُمَضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ
يُمَضِيهَا فِيهِمْ لَا تُعْمَرُ لَهُمْ قَنَاهُ وَ لَا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاهُ .

لما ذكر ما كانت العرب عليه من الذل و الضيم و الجهل عاد فذكر ما أبدل الله

ص: ١٧٧

(١ - ١) انظر الفائق ١٣٣:٣.

به حالهم حين بعث إليهم محمدا ص فعقد عليهم طاعتهم كالشيء المنتشر المحلول فعقدوها بمله محمد ص .

و الجداول الأنهر.

و التفت المله بهم

أى كانوا متفرقين فالتفت مله محمد بهم أى جَمَعْتَهُمْ و يقال التَفَّ الحَبْلُ بالحَطَبِ أى جمعه و التفت الحطب بالحبل أى اجتمع به.

و فى فى قوله فى عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا متعلقه بمحذوف و موضع الجار و المجرور نصب على الحال أى جمعتم المله كائنه فى عوائد بركتها و العوائد جمع عائده و هى المنفعه تقول هذا أعود عليك أى أنفع لك و روى و التقت المله بالقاف أى اجتمعت بهم من اللقاء و الروايه الأولى أصح.

و أصبحوا فى نعمتها غرقين مبالغه فى وصف ما هم فيه من النعمه.

و فاكهين ناعمين و روى فكهين أى أشرين و قد قرئ بهما فى قوله تعالى وَ نَعَمَ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (١) و قال الأصمعى فاكهين مازحين و المفاكهه الممازحه و من أمثالهم لا تفاكه أمه و لا تبل على أكمه فأما قوله تعالى فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٢) فقيل تندمون و قيل تعجبون.

و عن فى قوله و عن خُضْرِهِ عَيْشِهَا متعلقه بمحذوف تقديره فأصبحوا فاكهين فكاكه صادره عن خضره عيشها أى خضره عيش النعمه سبب لصدور الفكاهه و المزاح عنه .

و تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ أى أقامت من قولك ربع بالمكان أى أقام به.

ص: ١٧٨

١-١) سورة الدخان ٢٧.

٢-٢) سورة الواقعة ٦٥.

بالممد أى ضمتهم و أنزلتهم قال تعالى آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ (١) أى ضمه إليه و أنزله و يجوز أوتهم بغير مد أفعلت فى هذا المعنى و فعلت واحد عن أبى زيد .

و الكَنَفُ الجانب و تعطفت الأمور عليهم كناية عن السيادة و الإقبال يقال قد تعطف الدهر على فلان أى أقبل حظه و سعادته بعد أن لم يكن كذلك.

و فى ذرًا ملك بضم الذال أى فى أعاليه جمع ذروه و يكنى عن العزيز الذى لا يضام فيقال لا يغمز له قناه أى هو صلب و القناه إذا لم تلن فى يد الغامر كانت أبعد عن الحطم و الكسر.

و لا تفرع لهم صَفَاءٌ

مثل يضرب لمن لا يطمع فى جانبه لعزته و قوته أَلَا وَ إِنكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ وَ تَلَمَّتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبِ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ امْتَنَّ عَلَىٰ جَمَاعِهِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأُلفَةِ الَّتِي [يَتَقَلَّبُونَ]

يَتَقَلَّبُونَ فى ظِلِّهَا وَ يَأْوُونَ إِلَىٰ كَنَفِهَا بِنِعْمِهِ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيَمَةً لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنِ وَ أَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعِيدَ الْهَجْرَةِ أَعْرَابًا وَ بَعْدَ الْمُوَالَاهِ أَحْزَابًا مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ وَ لَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسِيمَهُ تَقُولُونَ النَّارَ وَ لَا الْعَارَ كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِتُوا الْإِسْلَامَ عَلَىٰ وَجْهِهِ انْتِهَاكَ لِحَرِيمِهِ وَ نَقْضًا لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَمًا فى أَرْضِهِ وَ أَمْنَا بَيْنَ خَلْقِهِ وَ إِنكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ ثُمَّ لَا [جِبْرَائِيلَ]

جِبْرَائِيلُ

ص: ١٧٩

وَلَا [مِيكَائِيلَ وَلَا مُهَاجِرِينَ وَلَا أَنْصَارَ]

مِيكَائِيلَ وَلَا- مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا الْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ وَإِنَّ عِنْدَكُمْ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَ قَوَارِعِهِ وَ أَيَّامِهِ وَ وَقَائِعِهِ فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ وَ تَهَاوُنًا بِبَطْشِهِ وَ يَأْسًا مِنْ بَأْسِهِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقُرُونَ الْمَاضِيَةَ [الْقُرُونَ الْمَاضِيَةَ]

بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي وَ الْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي .

نفضتم أيديكم

كلمه تقال فى اطراح الشىء و تركه و هى أبلغ من أن تقول تركتم حبل الطاعه لأن من يخلى الشىء من يده ثم ينفض يده منه يكون أشد تخليه له ممن لا ينفضها بل يقتصر على تخليته فقط لأن نفضها إشعار و إيدان بشده الاطراح و الإعراض .

و الباء فى قوله بأحكام الجاهليه متعلقه ب ثلتم أى ثلتم حصن الله بأحكام الجاهليه التى حكتم بها فى مله الإسلام .

و الباء فى قوله بنعمه لا يعرف متعلقه ب امتن و فى من قوله فيما عقد متعلقه بمحذوف و موضعها نصب على الحال و هذا إشاره إلى قوله تعالى لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ (١) و قوله فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا (٢) .

و روى تتقلبون فى ظلها .

ص : ١٨٠

١-١) سورة الأنفال ٦٣.

٢-٢) سورة آل عمران ٧٩.

قوله صرتم بعد الهجره أعرابا الأعراب على عهد رسول الله ص من آمن به من أهل البادية و لم يهاجر إليه و هم ناقصو المرتبه عن المهاجرين لجفائهم و قسوتهم و توحشهم و نشئهم فى بعد من مخالطه العلماء و سماع كلام الرسول ص و فيهم أنزل **الْمَأْعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَ نِفَاقًا وَ أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ (١)** و ليست هذه الآيه عامه فى كل الأعراب بل خاصه ببعضهم و هم الذين كانوا حول المدينه و هم جهينه و أسلم و أشجع و غفار و إليهم أشار سبحانه بقوله **وَ مِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ (٢)** و كيف يكون كل الأعراب مذموما و قد قال تعالى **وَ مِّنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ (٣)** و صارت هذه الكلمه جاريه مجرى المثل.

و أنشد الحجاج على منبر الكوفه قد لفها الليل بعصلبى **(٤)** أروع خراج من الدوى **(٥)** مهاجر ليس بأعرابى **(٦)**.

و قال عثمان لأبى ذر أخشى أن تصير بعد الهجره أعرابيا.

و روى و لا يعقلون من الإيمان .

و قولهم النار و لا- العار منصوبتان بإضمار فعل أى ادخلوا النار و لا تلتزموا العار و هى كلمه جاريه مجرى المثل أيضا يقولها أرباب الحميه و الإباء فإذا قيلت فى حق كانت صوابا و إذا قيلت فى باطل كانت خطأ.

و أكفأت الإناء و كفأته لغتان أى كيبته.

ص: ١٨١

١-١) سورة التوبه ٩٧.

٢-٢) سورة التوبه ١٠١.

٣-٣) سورة التوبه ٩٩.

٤-٤) العصلبى: الشديد الخلق.

٥-٥) أروع: أى ذكى. يقول: خراج من كل غماء شديده. و يقال للصحراء: دويه، و هى التى لا تكاد تنقضى، منسوبه إلى الدو، و الدو: صحراء ملساء لا علم بها.

٦-٦) الكامل للمبرد ٣٨١:١ (طبعه نهضه مصر).

قوله ثم لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا مهاجرين الروايه المشهوره هكذا بالنصب و هو جائز على التشبيه بالنكره كقولهم معضله و لا أبا حسن لها قال الراجز لا هيثم الليله للمطى.

و قد روى بالرفع فى الجميع.

و المقارعه منصوبه على المصدر و قال الراوندى هى استثناء منقطع و الصواب ما ذكرناه و قد روى إلا المقارعه بالرفع تقديره و لا نصير لكم بوجه من الوجوه إلا المقارعه .

و الأمثال التى أشار إليها أمير المؤمنين ع هى ما تضمنه القرآن من أيام الله و نعماته على أعدائه و قال تعالى وَ ضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ (١).

و التناهى مصدر تنهى القوم عن كذا أى نهى بعضهم بعضا يقول لعن الله الماضين من قبلكم لأن سفهاءهم ارتكبوا المعصيه و حلماءهم لم ينهوهم عنها و هذا من قوله تعالى كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٢) أَلَا وَ قَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْأَسْيَافِ وَ عَطَلْتُمْ حُدُودَهُ وَ أَمُتُّمُ أَحْكَامَهُ أَلَا- وَ قَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبُغْيِ وَ النَّكْثِ وَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُمْ وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُمْ وَ أَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخَتْ وَ أَمَّا شَيْطَانُ الرَّذْهِهِ فَقَدْ كُفَيْتُهُ بِصَعْقِهِ سَمِعَتْ لَهَا وَجِبُهُ قَلْبِهِ وَ رَجَّهُ صَدْرُهُ

ص: ١٨٢

١-١) سورة إبراهيم ٤٥.

٢-٢) سورة المائدة ٧٩.

وَبَقِيَتْ بَقِيَّتُهُ مِنْ أَهْلِ الْبُغْيِ وَ لَكِنَّ أذْنَ اللَّهِ فِي الْكَرِّهِ عَلَيْهِمْ لِأَدِيلَتِّ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَدَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَدُّرًا .

قد ثبت

٣٦٦٢

عَنِ النَّبِيِّ ص أَنَّهُ قَالَ لَهُ ع سَتَقَاتِلُ بَعْدِي النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ .

فكان الناكثون أصحاب الجمل لأنهم نكثوا بيعته ع و كان القاسطون أهل الشام بصفين و كان المارقون الخوارج في النهروان و في الفرق الثلاث قال الله تعالى فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ (١) وَقَالَ وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (٢) و

٣٦٦٣

قَالَ النَّبِيُّ ص يَخْرُجُ مِنْ ضَنْضَةٍ هَذَا قَوْمٌ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَةِ يَنْظُرُ أَحَدُكُمْ فِي النَّصْلِ فَلَا يَجِدُ شَيْئًا فَيَنْظُرُ فِي الْفَوْقِ (٣) فَلَا يَجِدُ شَيْئًا سَبَقَ الْفَرْثَ وَالِدَّمَ .

و هذا الخبر من أعلام نبوته ص و من أخباره المفصلة بالغيوب .

و أما شيطان الرده فقد قال قوم إنّه ذو الشديه صاحب النهروان و روى في ذلك خبرا عن النبي ص و ممن ذكر ذلك و اختاره الجوهري صاحب الصحاح (٤) و هؤلاء يقولون إن ذا الشديه لم يقتل بسيف و لكن الله رماه يوم النهروان بصاعقه و إليها أشار ع بقوله فقد كفيته بصعقه سمعت لها وجهه

ص: ١٨٣

١-١ (١) سورة الفتح ١٠.

٢-٢ (٢) سورة الجن ١٥.

٣-٣ (٣) الفوق: مشق رأس السهم حيث يقع الوتر.

٤-٤ (٤) الصحاح ٢٢٣٢: ٨، وفيه: قال الخليل: الرده: شبه أكمه كثيره الحجاره. و في الحديث أنه صلى الله عليه و سلم ذكر المقتول بالنهروان، فقال: «شيطان الرده».

وقال قوم شيطان الردهه أحد الأبالسه المرده من أعوان عدو الله إبليس ورووا في ذلك خبرا عن النبي ص و أنه كان يتعوذ منه و الردهه شبه نقره في الجبل يجتمع فيها الماء و هذا مثل

٣٦٦٤

قَوْلُهُ ع هَذَا أَرَبُّ الْعَقَبَةِ.

أى شيطانها و لعلّ أرب العقبه هو شيطان الردهه بعينه فتاره يرد بهذا اللفظ و تاره يرد بذلك اللفظ و قال قوم شيطان الردهه مارد يتصور في صوره حيه و يكون على الردهه و إنما أخذوا هذا من لفظه الشيطان لأن الشيطان الحيه و منه قولهم شيطان الحمامه و الحمامه شجره مخصوصه و يقال إنها كثيره الحيات.

قوله و يتشذر في أطراف الأرض يتمزق و يتبدد و منه قولهم ذهبوا شذر مذر.

و البقيه التي بقيت من أهل البغى معاويه و أصحابه لأنه ع لم يكن أتى عليهم بأجمعهم و إنما وقفت الحرب بينه و بينهم بمكيدته التحكيم.

قوله ع و لئن أذن الله في الكره عليهم أى إن مد لى في العمر لأدينن منهم أى لتكونن الدوله لى عليهم أدلت من فلان أى غلبته و قهرته و صرت ذا دوله عليه

استدلال قاضى القضاة على إمامه أبى بكر و رد المرتضى عليه

و اعلم أن أصحابنا قد استدلوا على صحه إمامه أبى بكر بقوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ

ص: ١٨٤

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ

(١)

ثم قال قاضى القضاء فى المعنى و هذا خبر من الله تعالى و لا بد أن يكون كائنا على ما أخبر به و الذين قاتلوا المرتدين هم أبو بكر و أصحابه فوجب أن يكونوا هم الذين عناهم الله سبحانه بقوله يُجِبُّهُمْ وَ يُجْبُونَهُ و ذلك يوجب أن يكونوا على صواب.

و اعترض المرتضى رحمه الله على هذا الاحتجاج فى الشافى فقال من أين قلت إن الآية نزلت فى أبى بكر و أصحابه فإن قال لأنهم الذين قاتلوا المرتدين بعد رسول الله ص و لا أحد قاتلهم سواهم قيل له و من الذى سلم لك ذلك أ و ليس أمير المؤمنين ع قد قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين بعد الرسول ص و هؤلاء عندنا مرتدون عن الدين و يشهد بصحة التأويل زائدا على احتمال القول له

٣٦٦٥

١- مَا رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع مِنْ قَوْلِهِ يَوْمَ الْبَصْرَةِ وَ اللَّهُ مَا قُوتِلَ أَهْلُ الْآيَةِ حَتَّى الْيَوْمِ وَ تَلَاهَا .

و قد روى عن عمار و حذيفه و غيرهما مثل ذلك.

فإن قال دليلى على أنها فى أبى بكر و أصحابه قول أهل التفسير قيل له أ و كل أهل التفسير قال ذلك فإن قال نعم كابر لأنه قد روى عن جماعة التأويل الذى ذكرناه و لو لم يكن إلا ما روى عن أمير المؤمنين ع و وجوه أصحابه الذين ذكرناهم لكفى و إن قال حجتي قول بعض المفسرين قلنا و أى حجه فى قول البعض و لم صار البعض الذى قال ما ذكرت أولى بالحق من البعض الذى قال ما ذكرنا.

ثم يقال له قد وجدنا الله تعالى قد نعت المذكورين فى الآية بنعوت يجب أن

ص: ١٨٥

تراعيها لنعلم أ في صاحبنا هي أم في صاحبك و قد جعله الرسول ص في خير حين فر من فر من القوم عن العدو صاحب هذه الأوصاف

٣٦٦٦

١٤,١- فَقَالَ لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ كَرَارًا غَيْرَ فَرَارٍ فَدَفَعَهَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع .

ثم قوله تعالى أذله على المؤمنين أعزّه على الكافرين (١) يقتضى ما ذكرنا لأنه من المعلوم بلا خلاف حال أمير المؤمنين ع في التخاشع و التواضع و ذم نفسه و قمع غضبه و أنه ما رثى قط طائشا و لا متطيرا في حال من الأحوال و معلوم حال صاحبيكم في هذا الباب أما أحدهما فإنه اعترف طوعا بأن له شيطانا يعتريه عند غضبه و أما الآخر فكان معروفا بالجد و العجلة مشهورا بالفضاظة و الغلظة و أما العزّه على الكافرين فإنما تكون بقتالهم و جهادهم و الانتقام منهم و هذه حال لم يسبق أمير المؤمنين ع إليها سابق و لا لحقه فيها لاحق.

ثم قال تعالى يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ (٢) و هذا وصف أمير المؤمنين المستحق له بالإجماع و هو منتف عن أبي بكر و صاحبه إجماعا لأنه لا قتل لهما في الإسلام و لا جهاد بين يدي الرسول ص و إذا كانت الأوصاف المراعاة في الآيه حاصله لأمر المؤمنين ع و غير حاصله لمن ادّعيتم لأنها فيهم على ضربين ضرب معلوم انتفاؤه كالجهاد و ضرب مختلف فيه كالأوصاف التي هي غير الجهاد و على من أثبتها لهم الدلالة على حصولها و لا بد أن يرجع في ذلك إلى غير ظاهر الآيه لم يبق في يده من الآيه دليل.

هذه جملة ما ذكره المرتضى رحمه الله و لقد كان يمكنه التخلص من الاحتجاج بالآيه

ص: ١٨٦

١- ١) سورة المائدة: ٥٤.

١- ٢) سورة المائدة: ٥٤.

على وجه اللفظ و أحسن و أصح ممّا ذكره فيقول المراد بها من ارتد على عهد رسول الله ص في واقعه الأسود العنسي باليمن فإن كثيرا من المسلمين ضلوا به و ارتدوا عن الإسلام و ادعوا له النبوة و اعتقدوا صدقه و القوم الذين يحبهم الله و يحبونه القوم الذين كاتبهم رسول الله ص و أغراهم بقتله و الفتك به و هم فيروز الديلمي و أصحابه و القصه مشهوره و قد كان له أيضا أن يقول لم قلت إن الذين قاتلهم أبو بكر و أصحابه كانوا مرتدين فإن المرتد من ينكر دين الإسلام بعد أن كان قد تدين به و الذين منَعوا الزكاه لم ينكروا أصل دين الإسلام و إنما تأولوا فأخطئوا لأنهم تأولوا قول الله تعالى خذ من أموالهم صدقه تطهرهم و تزيهم بها و صل عليهم إن صلاتك سكن لهم (١) فقالوا إنما ندفع زكاه أموالنا إلى من صلاته سكن لنا و لم يبق بعد وفاه النبي ص من هو بهذه الصفه فسقط عنا وجوب الزكاه ليس هذا من الرده في شيء و إنما سماهم الصحابه أهل الرده على سبيل المجاز إعظاما لما قالوه و تأولوه.

فإن قيل إنما الاعتماد على قتال أبي بكر و أصحابه لمسيلمه و طليحة اللذين ادعيا النبوة و ارتد بطريقهما كثير من العرب لا على قتال مانعي الزكاه قيل إن مسيلمة و طليحة جاهدهما رسول الله ص قبل موته بالكتب و الرسل و أنفذ لقتلهما جماعه من المسلمين و أمرهم أن يفتكوا بهما غيلة إن أمكنهم ذلك و استنفر عليهما قبائل من العرب و كل ذلك مفصل مذکور في كتب السير و التواريخ فلم لا يجوز أن يكون أولئك نفر الذين بعثهم رسول الله ص للفتك بهما هم المعنيون بقوله يحبهم و يحبونه إلى آخر الآيه و لم يقل في الآيه يجاهدون

ص: ١٨٧

فيقتلون و إنما ذكر الجهاد فقط و قد كان الجهاد من أولئك نفر حاصلا و إن لم يبلغوا الغرض كما كان الجهاد حاصلا عند حصار الطائف و إن لم يبلغ فيه الغرض.

و قد كان له أيضا أن يقول سياق الآية لا يدل على ما ظنه المستدل بها من أنه من يرتدد عن الدين فإن الله يأتي بقوم يحبهم و يحبونهم يحاربونه لأجل رده و إنما الذى يدل عليه سياق الآية أنه من يرتدد منكم عن دينه بترك الجهاد مع رسول الله ص و سماه ارتدادا على سبيل المجاز فسوف يأتي الله بقوم يحبهم و يحبونهم ... يجاهدون في سبيل الله معه عوضا عنكم و كذلك كان كل من خذل النبي ص و قعد عن النهوض معه في حروبه أغناه الله تعالى عنه بطائفه أخرى من المسلمين جاهدوا بين يديه.

و أما قول المرتضى رحمه الله إنها أنزلت في الناكثين و القاسطين و المارقين الذين حاربهم أمير المؤمنين ع فبعيد لأنهم لا يطلق عليهم لفظ الرده عندنا و لا عند المرتضى و أصحابه أما اللفظ فبالاتفاق و إن سموهم كفارا و أما المعنى فلأن في مذهبهم أن من ارتد و كان قد ولد على فطره الإسلام بانت امرأته منه و قسم ماله بين ورثته و كان على زوجته عده المتوفى عنها زوجها و معلوم أن أكثر محاربي أمير المؤمنين ع كانوا قد ولدوا في الإسلام و لم يحكم فيهم بهذه الأحكام.

و قوله إن الصفات غير متحققه في صاحبكم فلعمري إن حظ أمير المؤمنين ع منها هو الحظ الأوفى و لكن الآية ما خصت الرئيس بالصفات المذكوره و إنما أطلقها على المجاهدين و هم الذين يباشرون الحرب فهب أن أبا بكر و عمر ما كانا بهذه الصفات لم لا يجوز أن يكون مدحا لمن جاهد بين أيديهما من المسلمين و باشر الحرب و هم شجعان المهاجرين و الأنصار الذين فتحوا الفتوح و نشروا الدعوه و ملكوا الأقاليم.

و قد استدل قاضي القضاة أيضا عن صحه إمامه أبي بكر و أسند هذا الاستدلال إلى شيخنا أبي علي بقوله تعالى سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَ أَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ (١) و قال تعالى فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَ لَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٢) و قال تعالى سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوا ذُرُوعًا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ (٣) يعنى قوله تعالى لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَ لَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ثم قال سبحانه قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَيُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَ إِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٤) فيبين أن الذى يدعو هؤلاء المخلفين من الأعراب إلى قتال قوم أولى بأس شديد غير النبى ص لأنه تعالى قد بين أنهم لا يخرجون معه و لا يقاتلون معه عدوا بآيه متقدمه و لم يدعهم بعد النبى ص إلى قتال الكفار إلا أبو بكر و عمر و عثمان لأن أهل التأويل لم يقولوا فى هذه الآيه غير وجهين من التأويل فقال بعضهم عنى بقوله سَيُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ بنى حنيفه و قال بعضهم عنى فارس و الروم و أبو بكر هو الذى دعا إلى قتال بنى حنيفه و قتال آل فارس و الروم و دعاهم بعده إلى قتال فارس و الروم عَمْرُ فَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ بَيَّنَّ أَنَّهُمْ بَطَاعَتُهُمْ لَهَا يُؤْتِيهِمْ أَجْرًا حَسَنًا وَ إِنْ تَوَلَّوْا عَنْ طَاعَتِهِمَا يُعَذِّبُهُمَا عَذَابًا أَلِيمًا صح أنهما على حق و أن طاعتهما طاعه الله تعالى و هذا يوجب صحه إمامتهما.

ص: ١٨٩

- ١-١) سورة الفتح ١١.
- ٢-٢) سورة التوبه ٨٣.
- ٣-٣) سورة الفتح ١٥.
- ٤-٤) سورة الفتح ١٦.

فإن قيل إنما أراد الله بذلك أهل الجمل و صفيين قيل هذا فاسد من وجهين أحدهما قوله تعالى تَقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَبِّحُونَ و الذين حاربوا أمير المؤمنين كانوا على الإسلام و لم يقاتلوا على الكفر و الوجه الثاني أنا لا نعرف من الذين عناهم الله تعالى بهذا من بقى إلى أيام أمير المؤمنين ع كما علمنا أنهم كانوا باقين في أيام أبي بكر .

اعترض المرتضى رحمه الله على هذا الكلام من وجهين أحدهما أنه نازع في اقتضاء الآية داعيا يدعو هؤلاء المخلفين غير النبي ص و ذلك لأن قوله تعالى سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَ زَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (١) .

إنما أراد به سبحانه الذين تخلفوا عن الحديبيه بشهاده جميع أهل النقل و إطباق المفسرين .

ثم قال تعالى سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسَدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) و إنما التمس هؤلاء المخلفون أن يخرجوا إلى غنيمه خبير فمنعهم الله تعالى من ذلك و أمر نبيه أن يقول لهم لن تتبعونا إلى هذه الغزاه لأن الله تعالى كان حكم من قبل بأن غنيمه خبير لمن شهد الحديبيه و أنه لا حظ لمن لم يشهدا و هذا هو معنى قوله تعالى يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ و قوله كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ثم قال تعالى قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ

ص : ١٩٠

١-١ (١) سورة الفتح ١٢، ١١.

١-٢ (١) سورة الفتح ١٢، ١١.

مِنَ الْأَعْرَابِ سَيَتَدَعُونَ إِلَيَّ قَوْمٌ أَوْلَىٰ بِأَسِ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ الرَّسُولَ سَيَدْعُوكُمْ فِيمَا بَعْدَ إِلَى قِتَالِ قَوْمِ أَوْلَىٰ بِأَسِ شَدِيدٍ وَقَدْ دَعَاهُمُ النَّبِيُّ ص بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى غَزَوَاتٍ كَثِيرَةٍ إِلَى قَوْمِ أَوْلَىٰ بِأَسِ شَدِيدٍ كَمْؤَتَهُ وَحَنِينٍ وَتَبُوكٍ وَغَيْرَهُمَا فَمَنْ أَيْنَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الدَّاعِيَ لَهُؤُلَاءِ غَيْرَ النَّبِيِّ ص مَعَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْحُرُوبِ الَّتِي كَانَتْ بَعْدَ خَيْرٍ .

وَقَوْلُهُ إِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى كَذَلِكَ قَالِ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ مَا بَيْنَهُ فِي قَوْلِهِ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَيَّ طَائِفَهُ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُواكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَ لَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا يُبْغِوْكَ سَنَةً تَسَعِ وَ آيَةُ الْفَتْحِ نَزَلَتْ فِي سَنَةِ سِتِّ فَكَيْفَ يَكُونُ قَبْلَهَا.

وَلَيْسَ يَجِبُ أَنْ يُقَالَ فِي الْقُرْآنِ بِالْإِرَادَةِ وَبِمَا يَحْتَمَلُ مِنَ الْوُجُوهِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ دُونَ الرَّجُوعِ إِلَى تَارِيخِ نَزُولِ الْآيِ وَ الْأَسْبَابِ الَّتِي وَرَدَتْ عَلَيْهَا وَ تَعَلَّقَتْ بِهَا.

وَمِمَّا يَبِينُ لَكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمَخْلُفِينَ غَيْرَ أَوْلَىٰ لَكَ لَوْ لَمْ نَرْجِعْ فِي ذَلِكَ إِلَى نَقْلِ وَ تَارِيخِ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي هَؤُلَاءِ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسِينًا وَ إِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١) فَلَمْ يَقْطَعْ مِنْهُمْ عَلَى طَاعِهِ وَ لَا مَعْصِيَةِ بَلْ ذَكَرَ الْوَعْدَ وَ الْوَعِيدَ عَلَى مَا يَفْعَلُونَهُ مِنْ طَاعِهِ أَوْ مَعْصِيَةِ وَ حَكْمِ الْمَذْكُورِينَ فِي آيَةِ سُورَةِ التَّوْبَةِ بِخِلَافِ هَذِهِ لِأَنَّهُ تَعَالَى بَعْدَ قَوْلِهِ إِنَّكُمْ رَضِيْتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ وَ لَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَيْدَاءً وَ لَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ مَا تَوَا وَ هُمْ فَاسِقُونَ وَ لَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَ أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كَافِرُونَ (٢) وَ اخْتِلَافِ أَحْكَامِهِمْ وَ صِفَاتِهِمْ يَدُلُّ

ص: ١٩١

١-١ (١) سورة الفتح: ١٦.

٢-٢ (٢) سورة التوبة: ٨٣-٨٥.

على اختلافهم و أن المذكورين فى آيه سورة الفتح غير المذكورين فى آيه سورة التوبه .

و أما قوله لأن أهل التأويل لم يقولوا فى هذه الآيه غير وجهين من التأويل فذكرهما باطل لأن أهل التأويل قد ذكروا شيئاً آخر لم يذكره

٣٦٦٧

لِأَنَّ الْمُسَيْبَ رَوَى عَنْ أَبِي رَوْقٍ عَنِ الصَّحَّاحِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بِأُسِّ شَدِيدٍ (١) الْآيَةَ قَالَ هُمْ ثَقِيفٌ .

٣٦٦٨

وَ رَوَى هُشَيْمٌ عَنْ أَبِي يُسْرِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ هُمْ هُوَازِنٌ يَوْمَ حُنَيْنٍ .

٣٦٦٩

وَ رَوَى الْوَائِدِيُّ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ هُمْ هُوَازِنٌ وَ ثَقِيفٌ . فكيف ذكر من أقوال المفسرين ما يوافقهم مع اختلاف الروايه عنهم على أنا لا- نرجع فى كل ما يحتمله تأويل القرآن إلى أقوال المفسرين فإنهم ربما تركوا ممّا يحتمله القول وجهها صحيحاً و كم استخراج جماعه من أهل العدل فى مشابه القرآن من الوجوه الصحيحه التى ظاهر التنزيل بها أشبه و لها أشدّ احتمالاً ممّا لم يسبق إليه المفسرون و لا دخل فى جملة تفسيرهم و تأويلهم.

و الوجه الثانى سلم فيه أن الداعى هؤلاء المخلفين غير النبى ص و قال لا يمتنع أن يعنى بهذا الداعى أمير المؤمنين ع لأنه قاتل بعده الناكثين و القاسطين و المارقين و بشره النبى ص بأنه يقاتلهم و قد كانوا أولى بأس شديد بلا شبهه.

قال فأما تعلق صاحب الكتاب بقوله أَوْ يُشْرِكُونَ و أن الذين حاربهم أمير المؤمنين ع كانوا مسلمين فأول ما فيه أنهم غير مسلمين عنده و عند أصحابه لأن الكبائر تخرج من الإسلام عندهم كما تخرج عن الإيمان إذ كان الإيمان هو الإسلام

ص: ١٩٢

على مذهبهم ثم إن مذهبنا في محاربي أمير المؤمنين ع معروف لأنهم عندنا كانوا كفاراً بمحاربتهم لوجه الأول منها أن من حاربه كان مستحلاً لقتاله مظهراً أنه في ارتكابه على حق و نحن نعلم أن من أظهر استحلال شرب جرعه خمر هو كافر بالإجماع و استحلال دماء المؤمنين فضلاً عن أفاضلهم و أكابرهم أعظم من شرب الخمر و استحلاله فيجب أن يكونوا من هذا الوجه كفاراً.

الثاني

٣٦٧٠

أَنَّهُ ع قَالَ لَهُ بِلاَ خِلاَفٍ بَيْنَ أَهْلِ النَّقْلِ حَزْبِكَ يَا عَلِيُّ حَزْبِي وَ سَلْمُكَ سَلْمِي.

و نحن نعلم أنه لم يرد إلا التشبيه بينهما في الأحكام و من أحكام محاربي النبي ص الكفر بلا خلاف.

الثالث

٣٦٧١

أَنَّ النَّبِيَّ ص قَالَ لَهُ بِلاَ خِلاَفٍ أَيْضاً لِلَّهِمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ وَ انْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَ اخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ.

و قد ثبت عندنا أن العداوة من الله لا تكون إلا للكفار الذين يعادونه دون فساق أهل الملّة.

الرابع قوله إنا لا- نعلم ببقاء هؤلاء المخلفين إلى أيام أمير المؤمنين ع فليس بشيء لأنه إذا لم يكن ذلك معلوماً و مقطوعاً عليه فهو مجوز و غير معلوم خلافه و الجواز كاف لنا في هذا الموضوع.

و لو قيل له من أين علمت بقاء المخلفين المذكورين في الآية على سبيل القطع إلى أيام أبي بكر لكان يفرع إلى أن يقول حكم الآية يقتضى بقاءهم حتى يتم كونهم مدعويين إلى قتال أولى البأس الشديد على وجه يلزمهم فيه الطاعة و هذا بعينه يمكن أن يقال له و يعتمد في بقائهم إلى أيام أمير المؤمنين ع على ما يوجبه حكم الآية.

فإن قيل كيف يكون أهل الجمل و صفين كفاراً و لم يسر أمير المؤمنين ع

ص: ١٩٣

فيهم بسيره الكفار لأنه ما سباهم و لا- غنم أموالهم و لا- تبع موليهم قلنا أحكام الكفر تختلف و إن شملهم اسم الكفر لأن في الكفار من يقتل و لا يستبقى و فيهم من يؤخذ منه الجزية و لا يحل قتله إلا بسبب طارئ غير الكفر و منهم من لا يجوز نكاحه على مذهب أكثر المسلمين فعلى هذا يجوز أن يكون أكثر هؤلاء القوم كفارا و إن لم يسر فيهم بجميع سيره أهل الكفر لأننا قد بينا اختلاف أحكام الكفار و يرجع في أن حكمهم مخالف لأحكام الكفار إلى فعله ع و سيرته فيهم على أنا لا نجد في الفساق من حكمه أن يقتل مقبلا و لا يقتل موليا و لا يجهز على جريحه إلى غير ذلك من الأحكام التي سيرها في أهل البصره و صفين .

فإذا قيل في جواب ذلك أحكام الفسق مختلفه و فعل أمير المؤمنين هو الحجة في أن حكم أهل البصره و صفين ما فعله قلنا مثل ذلك حرفا بحرف و يمكن مع تسليم أن الداعي لهؤلاء المخلفين أبو بكر أن يقال ليس في الآية دلالة على مدح الداعي و لا على إمامته لأنه قد يجوز أن يدعو إلى الحق و الصواب من ليس عليهما فيلزم ذلك الفعل من حيث كان واجبا في نفسه لا لدعاء الداعي إليه و أبو بكر إنما دعا إلى دفع أهل الردة عن الإسلام و هذا يجب على المسلمين بلا دعاء داع و الطاعة فيه طاعة الله تعالى فمن أين له أن الداعي كان على حق و صواب و ليس في كون ما دعا إليه طاعة ما يدل على ذلك.

و يمكن أيضا أن يكون قوله تعالى سَيُتَدَعُونَ إنما أراد به دعاء الله تعالى لهم بإيجاب القتال عليهم لأنه إذا دلهم على وجوب قتال المرتدين و رفعهم عن بيضه الإسلام فقد دعاهم إلى القتال و وجبت عليهم الطاعة و وجب لهم الثواب إن أطاعوا و هذا أيضا تحتمله الآية.

فهذه جمله ما ذكره المرتضى رحمه الله في هذا الموضوع وأكثره جيد لا اعتراض عليه وقد كان يمكنه أن يقول لو سلمنا بكل هذا لكان ليس في قوله لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَيِّدًا الْآيَةَ ما يدل على أن النبي ص لا يكون هو الداعي لهم إلى القوم أولى البأس الشديد لأنه ليس فيها إلا محض الإخبار عنهم بأنهم لا يخرجون معه ولا يقاتلون العدو معه وليس في هذا ما ينفي كونه داعيا لهم كما

٣٦٧٢

أَنَّهُ ع قَالَ

أَبُو لَهَبٍ لَا يُؤْمِنُ بِي.

لم يكن هذا القول نافيا لكونه يدعو إلى الإسلام .

وقوله فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ليس بأمر على الحقيقة وإنما هو تهديد كقوله إِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ (١) ولا بد للمرتضى و لقاضي القضاة جميعا من أن يحملا- صيغه افعال على هذا المحمل لأنه ليس لأحدهما بمسوغ أن يحمل الأمر على حقيقته لأن الشارع لا يأمر بالعود و ترك الجهاد مع القدره عليه و كونه قد تعين وجوبه.

فإن قلت لو قدرنا أن هذه الآية و هي قوله تعالى قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرَةٌ إِلَى قَوْمِ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ أنزلت بعد غزوه تبوك و بعد نزول سوره براهه التي تتضمن قوله تعالى لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَيِّدًا و قدرنا أن قوله تعالى لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَيِّدًا ليس إخبارا محضا كما تأولته أنت و حملت الآية عليه بل معناه لا أخرجكم معي و لا أشهدكم حرب العدو هل كان يتم الاستدلال قلت لا- لأن للإماميه أن تقول يجوز أن يكون الداعي إلى حرب القوم أولى البأس الشديد مع تسليم هذه المقدمات كلها هو رسول الله ص لأنه دعاهم إلى حرب الروم في سريه أسامه بن زيد في صفر من سنه إحدى عشره لما سيره إلى الْبَلْقَاءِ و قال له سر إلى الروم مقتل أبيك فَأَوْطِئْتَهُمُ الْخَيُْولَ و حَشَّدَ مَعَهُ أَكْثَرَ الْمُسْلِمِينَ فهذا الجيش قد دعى فيه المخلفون من الأعراب الذين قعدوا عن الجهاد

ص: ١٩٥

فِي غَزَاهِ تَبَوَّكَ إِلَيَّ قَوْمٌ أَوْلَىٰ بِأَسِّ شَدِيدٍ وَّ لَمْ يَخْرُجُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَّ لَا حَارَبُوا مَعَهُ عَدَاوًا.

فَإِنْ قُلْتَ إِذَا خَرَجُوا مَعَ أَسِيَامَةَ فَكَأَنَّمَا خَرَجُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَّ إِذَا حَارَبُوا مَعَ أَسَامَةَ الْعَدُوِّ فَكَأَنَّمَا حَارَبُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَّ قَدْ كَانَ سَبْقُ أَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَّ لَا يَحَارِبُونَ مَعَهُ عَدَاوَةً قُلْتَ وَّ إِذَا خَرَجُوا مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَغَيْرِهِ فِي أَيَّامِ أَبِي بَكْرٍ وَّ مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ وَ سَعْدٍ فِي أَيَّامِ عَمْرِو فَكَأَنَّمَا خَرَجُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَّ حَارَبُوا الْعَدُوِّ مَعَهُ أَيضًا.

فَإِنْ اعْتَذَرْتَ بِأَنَّهُ وَّ إِنْ شَابَهُ الْخُرُوجُ مَعَهُ وَّ الْحَرْبُ مَعَهُ إِلَّا أَنَّهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَيْسَ مَعَهُ وَّ إِنَّمَا هُوَ مَعَ امْرَأَةٍ مِنْ قَبْلِ خَلْفَائِهِ قِيلَ لَكَ وَّ كَذَلِكَ خُرُوجُهُمْ مَعَ أَسَامَةَ وَّ مُحَارَبَةُ الْعَدُوِّ مَعَهُ وَّ إِنْ شَابَهُ الْخُرُوجُ مَعَ النَّبِيِّ وَّ مُحَارَبَةُ الْعَدُوِّ مَعَهُ إِلَّا أَنَّهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَيْسَ مَعَهُ وَّ إِنَّمَا هُوَ مَعَ بَعْضِ أَمْرَائِهِ.

وَيُمْكِنُ أَنْ يَعْتَرِضَ الْاِسْتِدْلَالَ بِالْآيَةِ فَيَقَالُ لَا يَجُوزُ حَمْلُهَا عَلَى بَنِي حَنِيفَةَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُسْلِمِينَ وَّ إِنَّمَا مَنَعُوا الزَّكَاةَ مَعَ قَوْلِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ص وَّ مَنَعَ الزَّكَاةَ لَا يَخْرُجُ بِهِ الْإِنْسَانُ عَنِ الْإِسْلَامِ عِنْدَ الْمَرْجئِةِ وَّ الْإِمَامِيَّةِ مَرْجئِةٍ وَّ لَا يَجُوزُ حَمْلُهَا عَلَى فَارِسٍ وَّ الرُّومِ لِأَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا وَاَسْطَهُ بَيْنَ قِتَالِهِمْ وَّ إِسْلَامِهِمْ كَمَا تَقُولُ إِمَامًا كَذَا وَّ إِمَامًا كَذَا فَيَقْتَضِي ذَلِكَ نَفْيَ الْوَاَسْطَةِ وَّ قِتَالَ فَارِسٍ وَّ الرُّومِ بَيْنَهُ وَّ بَيْنَ إِسْلَامِهِمْ وَاَسْطَهُ وَّ هُوَ دَفْعُ الْجَزِيَّةِ وَّ إِنَّمَا تَنْتَفِي هَذِهِ الْوَاَسْطَةُ فِي قِتَالِ الْعَرَبِ لِأَنَّ مَشْرُكِي الْعَرَبِ لَا تَأْخُذُ مِنْهُمْ الْجَزِيَّةَ فَالْآيَةُ إِذْنٌ دَالٌّ عَلَى أَنَّ الْمُخْلَفِينَ سَيَدْعُونَ إِلَيَّ قَوْمٌ أَوْلَىٰ بِأَسِّ شَدِيدٍ الْحَكْمُ فِيهِمْ إِمَامًا قِتَالِهِمْ وَّ إِمَامًا إِسْلَامِهِمْ وَّ هَؤُلَاءِ هُمْ مَشْرُكُو الْعَرَبِ وَّ لَمْ يَحَارِبْ مَشْرُكِي الْعَرَبِ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ص فَالِدَاعِي لَهُمْ إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ وَّ بَطَلَ الْاِسْتِدْلَالَ بِالْآيَةِ

أَنَا وَضَعْتُ فِي الصَّغَرِ بَكَلَاكِلِ الْعَرَبِ وَ كَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَ مُضَرَ وَ قَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ
وَ الْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ وَضَعْنِي فِي [حَجْرِهِ]

حَجْرِهِ وَ أَنَا وَلَدٌ [وَلِيدٌ]

يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَ يَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَ يُمَسِّنِي جَسَدَهُ وَ يُشِيمُنِي عَزْفَهُ وَ كَانَ يَمْضُغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ وَ مَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي
قَوْلٍ وَ لَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ وَ لَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ص مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا أَغْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسِيلُكَ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَ مَحَاسِنِ
أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَ نَهَارَهُ وَ لَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا وَ يَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ وَ لَقَدْ
كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِزَاءِ فَأْرَاهُ وَ لَا يَرَاهُ غَيْرِي وَ لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ وَاحِدٍ يَوْمًا فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ خَدِيجَةَ وَ أَنَا
ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَ الرَّسَالَةَ وَ أَشْمُ رِيحَ التُّبُوهُ وَ لَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّهُ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ص فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا
هَذِهِ الرَّنَّةُ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَ تَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَ لَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ وَ إِنَّكَ
لَعَلَى خَيْرٍ .

الباء في قوله بكلاكل العرب زائده و الكلاكل الصدور الواحد كلكل و المعنى أنى أذلتهم و صرعتهم إلى الأرض.

و نواجم قرون ربيعه و مضر

من نجم منهم و ظهر و علا قدره و طار صيته.

فإن قلت أما قهره لمضر فمعلوم فما حال ربيعه و لم نعرف أنه قتل منهم أحدا قلت بلى قد قتل بيده و بجيشه كثيرا من رؤسائهم في صفين و الجمل فقد تقدم ذكر أسمائهم من قبل و هذه الخطبه خطب بها بعد انقضاء أمر النهروان .

و العرف بالفتح الريح الطيبه و مضغ الشيء يمضغه بفتح الضاد.

و الخطله في الفعل الخطأ فيه و إيقاعه على غير وجهه .

و حراء اسم جبل بمكة معروف .

و الرنه الصوت

ذكر ما كان من صلته على برسول الله في صغره

و القرابه القريبه بينه و بين رسول الله ص دون غيره من الأعمام كونه رباه في حجره ثم حامى عنه و نصره عند إظهار الدعوه دون غيره من بنى هاشم ثم ما كان بينهما من المصاهره التي أفضت إلى النسل الأظهر دون غيره من الأصهار و نحن نذكر ما ذكره أرباب السير من معاني هذا الفصل.

٣٦٧٣

١٤,١- رَوَى الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَيْلَمَةُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ كَانَ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَ وَ مَا صَيَّرَ اللَّهُ لَهُ وَ أَرَادَهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ أَنَّ قُرَيْشًا أَصَابَتْهُمْ أَرْزَمَةٌ شَدِيدَةٌ وَ كَانَ أَبُو طَالِبٍ ذَا عِيَالٍ كَثِيرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ لِلْعَبَّاسِ وَ كَانَ مِنْ أَيْسَرِ بَنِي هَاشِمٍ يَا عَبَّاسُ إِنَّ أَحَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ وَ قَدْ تَرَى مَا أَصَابَ النَّاسَ مِنْ هَيْدِهِ الْأَرْزَمَةِ فَانْطَلِقْ بِنَا فَلْنُخَفِّفْ عَنْهُ مِنْ عِيَالِهِ آخُذْ مِنْ بَيْتِهِ وَاحِدًا وَ تَأْخُذْ وَاحِدًا

ص: ١٩٨

فَنَكْفِيهِمَا عَنْهُ فَقَالَ الْعَبَّاسُ نَعَمْ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا أَبَا طَالِبٍ فَقَالَا لَهُ إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نُخَفِّفَ عَنْكَ مِنْ عِيَالِكَ حَتَّى يَنْكَشِفَ عَنِ النَّاسِ مَا هُمْ فِيهِ فَقَالَ لَهُمَا إِنَّ تَرْكُتُمَا لِي عَقِيلًا فَاصْنَعَا مَا شِئْتُمَا فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَ عَلِيًّا فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَ أَخَذَ الْعَبَّاسُ جَعْفَرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَ حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ نَبِيًّا فَاتَّبَعَهُ عَلِيُّ عَ فَأَقْرَبَهُ وَ صَدَّقَهُ وَ لَمْ يَزَلْ جَعْفَرٌ عِنْدَ الْعَبَّاسِ حَتَّى أَسْلَمَ وَ اسْتَغْنَى عَنْهُ

(١)

٣٤٧٤

١٤,١- قَالَ الطَّبْرِيُّ وَ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَلَمَةُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ وَ خَرَجَ مَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَ مُسْتَخْفِيًّا مِنْ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَ مِنْ جَمِيعِ أَعْمَامِهِ وَ سَائِرِ قَوْمِهِ فَيَصِلُ لِمَيَانَ الصَّلَوَاتِ فِيهَا فَإِذَا أَمْسَيَا رَجَعَا فَمَكَّنَا كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمَكَّنَا.

ثُمَّ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ عَثَرَ عَلَيْهِمَا وَ هُمَا يُصَلِّيَانِ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَ يَا ابْنَ أَخِي مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكَ تَدِينُ بِهِ قَالَ يَا عَمُّ هَذَا دِينُ اللَّهِ وَ دِينُ مَلَائِكَتِهِ وَ دِينُ رُسُلِهِ وَ دِينُ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ أَوْ كَمَا قَالَ بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ رَسُولًا إِلَى الْعِبَادِ وَ أَنْتَ يَا عَمُّ أَحَقُّ مَنْ بَدَلْتُ لَهُ النَّصِيحَةَ وَ دَعَوْتُهُ إِلَى الْهُدَى وَ أَحَقُّ مَنْ أَحْبَبَنِي إِلَيْهِ وَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ أَوْ كَمَا قَالَ فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ يَا ابْنَ أَخِي إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفَارِقَ دِينِي وَ دِينَ آبَائِي وَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ وَ لَكِنْ وَ اللَّهُ لَا يَخْلُصُ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مَا بَقِيَتْ.

قَالَ الطَّبْرِيُّ وَ قَدْ رَوَى هُوَ لِأَمِّ الدُّكُورُونَ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ لِعَلِيِّ عَ يَا بَنِيَّ مَا هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَتُ إِنِّي آمَنْتُ بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ صَدَّقْتُهُ بِمَا

ص: ١٩٩

جَاءَ بِهِ وَ صَلَّى لِلَّهِ مَعَهُ قَالَ فَرَعَمُوا أَنَّهُ قَالَ لَهُ أَمَا إِنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَّا إِلَى خَيْرٍ فَالزَّمَهُ

(١)

و

٣٦٧٥

رَوَى الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ أَيْضًا قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ التِّرْمِذِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى قَالَ أَخْبَرَنَا الْعَلَاءُ عَنِ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا ع يَقُولُ

أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَ أَخُو رَسُولِهِ وَ أَنَا الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ لَا يَقُولُهَا بَعْدِي إِلَّا كَاذِبٌ مُفْتَرٍ صَلَّى قَبْلَ النَّاسِ بِسَبْعِ سِنِينَ

(٢)

و

٣٦٧٦

فِي غَيْرِ رِوَايَةِ الطَّبْرِيِّ

أَنَا الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ وَ أَنَا الْفَارُوقُ الْأَوَّلُ أَسْلَمْتُ قَبْلَ إِسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ وَ صَلَّى قَبْلَ صَلَاتِهِ بِسَبْعِ سِنِينَ .

كَأَنَّهُ ع لَمْ يَرْضَ أَنْ يَذْكَرَ عَمْرٍو وَ لَا رَأَاهُ أَهْلًا لِلْمُقَايَسَةِ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ إِسْلَامَ عَمْرٍو كَانَ مُتَأَخِّرًا.

٣٦٧٧

١٤٠١- وَ رَوَى الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ سَأَلْتُ أَبِي عَنْ وُلْدِ رَسُولِ اللَّهِ ص الدُّكُورِ أَيُّهُمْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَهُ أَشَدَّ حُبًّا فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ع فَقُلْتُ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ بَنِيهِ فَقَالَ إِنَّهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ بَنِيهِ جَمِيعًا وَ أَرْأَفَ مَا رَأَيْتَاهُ زَائِلَهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ مُنْذُ كَانَ طِفْلًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي سَفَرٍ لِحَدِيثِهِ وَ مَا رَأَيْتَاهُ أَبَا أَبْرٍ بَابِنٍ مِنْهُ لِعَلِيٍّ وَ لَا ابْنًا أَطْوَعَ لِأَبٍ مِنْ عَلِيٍّ لَهُ

٣٦٧٨

١٤,١,٤,٥- وَرَوَى الْحُسَيْنُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ع قَالَ سَمِعْتُ زَيْدًا أَبِي ع يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَمْضَغُ اللَّحْمَةَ وَالتَّمْرَةَ حَتَّى تَلِينَنَّ وَيَجْعَلُهُمَا فِي فَمِ عَلِيِّ ع وَهُوَ صَغِيرٌ فِي حَجْرِهِ وَكَذَلِكَ كَانَ أَبِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ع يَفْعَلُ بِي وَلَقَدْ كَانَ يَأْخُذُ الشَّيْءَ مِنَ الْعَوْرِكِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَرَارَةِ فَيَبْرُدُهُ فِي الْهَوَاءِ أَوْ يَنْفُخُ عَلَيْهِ حَتَّى يَبْرُدَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ أَوْ فَيُشْفِقُ عَلَيَّ مِنْ حَرَارَةِ لُقْمِهِ وَلَا يُشْفِقُ عَلَيَّ مِنَ النَّارِ لَوْ كَانَ أَحْيَى إِمَامًا بِالْوَصِيَّةِ كَمَا يَزْعُمُ هَؤُلَاءِ لَكَانَ أَبِي أَفْضَى بِذَلِكَ إِلَيَّ وَوَقَانِي مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ

ص: ٢٠٠

١-١) تاريخ الطبري ٣١٤:٢ (المعارف).

٢-٢) تاريخ الطبري ٣١٠:٢ (المعارف).

١٤،١- وَ رَوَى جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ قَالَ قَالَ أَبِي مُطْعِمٍ بْنُ عَدِيٍّ لَنَا وَ نَحْنُ صَبِيَّانُ بِمَكَّةَ أَلَا تَرَوْنَ حُبَّ هَذَا الْغُلَامِ يَعْنِي عَلِيًّا لِمُحَمَّدٍ وَ اتِّبَاعَهُ لَهُ دُونَ أَبِيهِ وَ اللَّاتِ وَ الْعَزَى لَوَدِدْتُ أَنْ [أَنَّهُ]

أَبِي بِفَتْيَانِ بَنِي نَوْفَلٍ جَمِيعًا

١٤،١- وَ رَوَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ فَقُلْتُ أَرَأَيْتَ قَوْلَ عُمَرَ عَنِ السُّتَّةِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص مَاتَ وَ هُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ أَلَمْ يَكُنْ رَاضِيًا عَنْ غَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ بَلَى مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ هُوَ رَاضٍ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ لَكِنْ كَانَ عَنْ هَؤُلَاءِ أَكْثَرَ رِضًا فَقُلْتُ لَهُ فَأَيُّ الْأَصْحَابِ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَهُ أَحْمَدٌ أَوْ كَمَا قَالَ قَالَ مَا فِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا وَ قَدْ سَخَطَ مِنْهُ فِعْلًا وَ أَنْكَرَ عَلَيْهِ أَمْرًا إِلَّا اثْنَانِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَإِنَّهُمَا لَمْ يَقْتَرِفَا مِنْذُ أَتَى اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ أَمْرًا أَسِخَطَ فِيهِ رَسُولَ اللَّهِ ص

ذكر حال رسول الله في نشوئه

و ينبغي أن نذكر الآن ما ورد في شأن رسول الله ص و عصمته بالملائكة ليكون ذلك تقريراً و إيضاحاً لقوله ع و لقد قرن الله به من لدن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته و أن نذكر حديث مجاورته ع بحراء و كون علي ع معه هناك و أن نذكر ما ورد في أنه لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ص و عليا و خديجه و أن نذكر ما ورد في سماعه رنه الشيطان و أن نذكر ما ورد في كونه ع وزيراً للمصطفى ص أما المقام الأول

١٤- فَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَّارٍ فِي كِتَابِ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَ رَوَاهُ أَيْضًا مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ قَالَ كَانَتْ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُوَيْبِ السَّعْدِيَّةِ

أَمُّ رَسُولِ اللَّهِ صِ الْبَتِي أَرْضَ مَعْتَهُ تُحَدِّثُ أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ بَلَدِهَا وَ مَعَهَا زَوْجُهَا وَ ابْنٌ لَهَا تُرَضُّهُ فِي نِسْوِهِ مِنْ بِنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ يَلْتَمِسْنَ الرِّضَاعَ (١) بِمَكَّةَ فِي سِنِهِ شَهْبَاءَ (٢) لَمْ تُبْقِ شَيْئًا قَالَتْ فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانٍ لَنَا قَمْرَاءَ (٣) عَجْفَاءَ وَ مَعَنَا شَارِفٌ (٤) لَنَا مَا تَبِضُّ (٥) بِقَطْرِهِ وَ لَا نَنَامُ لَيْلِنَا أَجْمَعَ مِنْ بُكَاءِ صَبِيْنَا الَّذِي مَعَنَا مِنَ الْجُوعِ مَا فِي ثَمَدِي مَا يُغْنِيهِ وَ لَا فِي شَارِفِنَا مَا يُغْدِيهِ (٦) وَ لَكِنَّا نَزُجُو الْغَيْثَ وَ الْفَرَجَ فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانِي تِلْكَ وَ لَقَدْ أَرَأَيْتُ بِالرَّكْبِ ضَعْفًا وَ عَجْفًا (٧) حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ نَلْتَمِسُ الرِّضَاعَ (٨) فَمَا مِنَّا امْرَأَةٌ إِلَّا وَ قَدْ عُرِضَ عَلَيْهَا مُحَمَّدٌ ص فَتَأْبَاهُ إِذَا قِيلَ لَهَا إِنَّهُ يَتِيمٌ وَ ذَلِكَ أَنَا إِنَّمَا كُنَّا نَزُجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ فَكُنَّا نَقُولُ يَتِيمٌ مَا عَسَى أَنْ تَضِيْعَ أُمُّهُ وَ جَدُّهُ فَكُنَّا نَكْرَهُهُ لِذَلِكَ فَمَا بَقِيَتْ امْرَأَةٌ ذَهَبَتْ مَعِي إِلَّا أَخَذْتُ رَضِيْعًا غَيْرِي فَلَمَّا اجْتَمَعْنَا لِلْإِنْطِلَاقِ قُلْتُ لِصَاحِبِي وَ اللَّهُ إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي لَمْ أَخْذُ رَضِيْعًا وَ اللَّهُ لَأَذْهَبَنَّ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمِ فَلَا أَخْذَنَّهُ قَالَ لَا عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلِي وَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ بَرَكَهً فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذْتُهُ وَ مَا يَحْمِلُنِي عَلَى أَخْذِهِ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ قَالَتْ فَلَمَّا أَخَذْتُهُ رَجَعْتُ إِلَى رَحْلِي فَلَمَّا وَضَعْتُهُ فِي حَجْرِي أَقْبَلَ عَلَيْهِ ثُدْيَايَ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ فَرَضَعَ حَتَّى رَوَى وَ شَرِبَ مَعَهُ أَخُوهُ حَتَّى رَوَى وَ مَيَّا كُنَّا نَنَامُ قَبِيلَ ذَلِكَ مِنْ بُكَاءِ صَبِيْنَا جُوعًا فَنَامَ وَ قَامَ زَوْجِي إِلَى شَارِفِنَا تِلْكَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَإِذَا أَنَّهُا حَافِلٌ (٩) فَحَلَبَ مِنْهَا مَا شَرِبَ وَ شَرِبْتُ حَتَّى انْتَهَيْنَا رِيًّا وَ شَبَعًا فَبِتْنَا بِحَيْرٍ لَيْلَهُ قَالَتْ يَقُولُ

ص: ٢٠٢

- (١-١) ابن هشام: «تلتمس الرضعاء».
- (٢-٢) سنة شهباء، تريد بها سنة الجذب، و ذلك أن الأرض حينئذ تكون بيضاء لانبات فيها.
- (٣-٣) القمره بالضم: لون إلى الخضره، أو بياض فيه كدره، و حمار أقر، و أتان قمراء. القاموس.
- (٤-٤) الشارف: الناقه المسنه.
- (٥-٥) قال أبو ذرّ الخشنى: ما تبض، بالضاد المعجمه، معناه: ما تنشغ و لا تشرح، و من رواه بالصاد المهمله، فمعناه: «لا يبرق عليها أثر لين، من البصيص، و هو اللمعان».
- (٦-٦) قال ابن هشام: «ما يغديه».
- (٧-٧) ابن هشام: «فلقد أدمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا و عجفا».
- (٨-٨) ابن هشام: «الرضعاء».
- (٩-٩) حافل: أى ممتلئه الضرع.

صَاحِبِي حِينَ أَضَيَّبْنَا أَتَعْلَمِينَ (١) وَاللَّهُ يَا حَلِيمَهُ لَقَدْ أَخَذَتْ نَسِيمَهُ مُبَارَكَهُ فَقُلْتُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو ذَلِكَ ثُمَّ خَرَجْنَا وَرَكِبْتُ
أَتَانِي تِلْكَ وَحَمَلْتُهُ مَعِيَ عَلَيْهَا فَوَاللَّهِ لَقَطَعْتُ بِالرَّكْبِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ حَمِيرِهِمْ (٢) حَتَّى إِنْ صَوَّاحِبِي لَيَقْلُنَ لِي وَيَحْكُ
يَا بِنْتُ أَبِي ذُوَيْبٍ أُرْبِعِي (٣) عَلَيْنَا أَلَيْسَ هَيْدِهِ أَتَانِكِ الَّتِي كُنْتِ خَرَجْتِ عَلَيْهَا فَأَقُولُ لَهَنَّ بَلَى وَاللَّهِ إِنَّهَا لَهِيَ فَيَقْلُنَ وَاللَّهِ إِنْ لَهَا
لَشَأْنًا.

قَالَتْ ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ بِلَادِ بَنِي سَعْدِ وَمَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ أَجَدَبَ مِنْهَا فَكَانَتْ غَنَمِي تَرْوُحُ عَلَيَّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا
شِبَاعًا مَلَأَى (٤) لَبْنَا فَكُنَّا نَحْتَلِبُ وَنَشْرَبُ وَمَا يَحْلُبُ إِنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ حَتَّى إِنْ الْحَاضِرَ مِنْ قَوْمِنَا لَيَقُولُونَ
لِرِعَاتِهِمْ وَيَلْكُمُ اسِيرِحُوا حَيْثُ يَسِيرُحُ رَاعِي ابْنِهِ أَبِي ذُوَيْبٍ فَيَفْعَلُونَ فَتَرْوُحُ أَغْنَاهُمْ جِيعًا مَا تَبْضُ بِقَطْرِهِ وَتَرْوُحُ غَنَمِي شِبَاعًا لَبْنَا
فَلَمْ نَزَلْ نَعْرِفُ مِنَ اللَّهِ الزِّيَادَةَ وَالْخَيْرَ بِهِ حَتَّى مَضَتْ سَنَتَاهُ وَفَصَلَّتْهُ فَكَانَ يَشُبُّ شَبَابًا لَا يُشْبَهُ الْغُلَمَانَ فَلَمْ يَبْلُغْ سَنَّتِيهِ (٥) حَتَّى كَانَ
غُلَامًا جَفْرًا (٦) فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ آمَنَهُ بِنْتٍ وَهَبٍ وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى مَكْنِهِ فِينَا لَمَّا كُنَّا نَرَى مِنْ بَرَكْتِهِ فَكَلَّمْنَا أُمَّهُ وَقُلْنَا لَهَا
لَوْ تَرَكَتِهِ عِنْدَنَا حَتَّى يُعْلَظَ فَإِنَّا نَحْشَى عَلَيْهِ (٧) وَبَاءَ مَكَّهُ فَلَمْ نَزَلْ بِهَا حَتَّى رَدَّتْهُ مَعَنَا.

فَرَجَعْنَا بِهِ إِلَى بِلَادِ بَنِي سَعْدِ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَبَعِيدٌ مَا قَدِمْنَا بِأَشْهُرٍ مَعَ أَخِيهِ فِي بَهْمٍ (٨) لَنَا خَلْفَ بَيْوتِنَا إِذْ أَتَانَا أَخُوهُ يَشْتَدُّ فَقَالَ لِي وَ
لِأَبِيهِ هَا هُوَ ذَاكَ أَخِي الْقُرَشِيُّ قَدْ جَاءَهُ

ص: ٢٠٣

١- (١) ابن هشام: «تعلمى».

٢- (٢) ابن هشام: «حمرهم».

٣- (٣) اربعي علينا، أى أقيمى و انتظرى، يقال: ربع فلان على فلان، إذا أقام عليه و انتظره.

٤- (٤) ابن هشام: «لبننا» بالتشديد، أى غزيرات اللبن.

٥- (٥) من ابن هشام.

٦- (٦) جفرا، أى قويا شديدا.

٧- (٧) الوباء، مهموز و مقصور: كثره الأمراض و الموت.

٨- (٨) البهم: الصفار من الغنم، واحداها بهمه.

رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِياضٌ فَأَضَجَعَاهُ وَ شَقًّا بَطْنُهُ فَهَمَّا يَسُوطَانِهِ (١) قَالَتْ فَخَرَجْتُ أَنَا وَ أَبُوهُ نَشْتَدُّ نَحْوَهُ فَوَجَدْنَاهُ قَائِمًا (٢) مُمْتَقِعًا وَ وَجْهُهُ فَالْتَرَمْتُهُ وَ التَّرَمَّهُ أَبُوهُ وَ قُلْنَا مَا لَكَ يَا بَنِيَّ قَالَ جَاءَنِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ فَأَضَجَعَانِي ثُمَّ شَقَّا بَطْنِي فَالْتَمَسَا فِيهِ شَيْئًا لَا أُدْرِي مَا هُوَ قَالَتْ فَزَجَعْنَا بِهِ إِلَى خِبَائِنَا وَ قَالَ لِي أَبُوهُ يَا حَلِيمَهُ لَقَدْ خَشَيْتُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْغُلَامُ قَدْ أُصِيبَ فَالْحَقِيهِ بِأَهْلِهِ قَالَتْ فَاحْتَمَلْتُهُ حَتَّى قَدِمْتُ بِهِ عَلَى أُمِّهِ فَقَالَتْ مَا أَقْدَمَكَ بِهِ يَا ظَنُرُّ وَ قَدْ كُنْتُ حَرِيصَةً عَلَيْهِ وَ عَلَى مَكْتَبِهِ عِنْدَكَ فَقُلْتُ لَهَا قَدْ بَلَغَ اللَّهُ بِابْنِي وَ قَضَيْتُ الَّذِي عَلَيَّ وَ تَخَوَّفْتُ عَلَيْهِ الْأَخْرِيَاثَ وَ أَدَيْتُهُ إِلَيْكَ كَمَا تُحِبُّ قَالَتْ أ تَخَوَّفْتُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَتْ كَلَّا وَ اللَّهُ مَا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ مِنْ سَبِيلٍ وَ إِنَّ لِي ابْنِي شَأْنًا أَفَلَا أَخْبِرُكَ خَبْرَهُ قُلْتُ بَلَى قَالَتْ رَأَيْتُ حِينَ حَمَلْتُ بِهِ أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورٌ بُصْرَى مِنْ (٣) الشَّامِ ثُمَّ حَمَلْتُ بِهِ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ حَمَلًا قَطُّ كَانَ أَخَفَّ وَ لَا أَيْسَرَ مِنْهُ ثُمَّ وَقَعَ حِينَ وَلَدْتُهُ وَ إِنَّهُ لَوَاضِعٌ يَدَيْهِ بِالْأَرْضِ وَ رَافِعٌ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ دَعِيهِ عَنكَ وَ انْطَلِقِي رَاشِدَةً

(٤)

٣٦٨٢

قَالَ وَ رَوَى الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ عَنِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يُحَدِّثُ عَنْ نَفْسِهِ وَ يَذْكُرُ مَا جَرَى لَهُ وَ هُوَ طِفْلٌ فِي أَرْضِ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ قَالَ لَمَّا وُلِدْتُ اسْتُرِضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ مُنْتَبِذٌ مِنْ

ص: ٢٠٤

١- ١) يسوطانه، قال أبو ذرّ الخشنى: يقال: «سَطَطَ اللبن و الدم و غيرهما أسوطه، إذا ضربت بعضه ببعض و حركته، و اسم العود الذى يضرب به المسوط».

٢- ٢) ممتقعا: متغيرا، و فى ابن هشام: «منتقعا»، و هما سواء.

٣- ٣) قال السهيلي: «ذلك ما فتح الله عليه من تلك البلاد، حتى كانت الخلافة فيها مده بنى أمية، و استضاءت تلك البلاد و غيرها بنوره صلى الله عليه و سلم».

٤- ٤) سيره ابن هشام ١٧٣: ١-١٧٧ (نشره المكتبة التجارية).

أَهْلِي فِي بَطْنٍ وَإِدِّ مَعَ أَتْرَابٍ لِي مِنَ الصَّبِيَّانِ تَتَقَادَفُ بِالْجِلَّةِ إِذَا أَتَانِي رَهْطٌ ثَلَاثَةٌ مَعَهُمْ طَشْتُ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ تَلْجَأُ فَأَخْذُونِي مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي فَخَرَجَ أَصْحَابِي هُرَابًا حَتَّى اتَّهَوْا إِلَى شَفِيرِ الْوَادِي ثُمَّ عَادُوا إِلَى الرَّهْطِ فَقَالُوا مَا أَرَبُكُمْ إِلَى هَذَا الْغُلَامِ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَّا هَذَا ابْنُ سَيِّدِ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْتَرْضِعٌ فِينَا غُلَامٌ يَتِيمٌ لَيْسَ لَهُ أَبٌ فَمَاذَا يَرُدُّ عَلَيْكُمْ قَتْلَهُ وَمَاذَا تُصَيَّبُونَ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ لَا بُدَّ قَاتِلِيهِ فَأَخْتَارُوا مِنَّا أَيُّنَا شِئْتُمْ فَأَقْتَلُوهُ مَكَانَهُ وَدَعُوا هَذَا الْغُلَامَ فَإِنَّهُ يَتِيمٌ.

فَلَمَّا رَأَى الصَّبِيَّانُ أَنَّ الْقَوْمَ لَا يُحِيرُونَ لَهُمْ جَوَابًا انْطَلَقُوا هُرَابًا مُسِيرِينَ إِلَى الْحَيِّ يُؤَذِّنُونَهُمْ وَيَسْتَصِيرُ رُحُونََّهُمْ عَلَى الْقَوْمِ فَعَمَدَ أَحَدُهُمْ فَأَضَجَعَنِي إِضْجَاعًا لَطِيفًا ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ مَفْرَقِ صِدْرِي إِلَى مُتْنِي عَانَتِي وَ أَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَلَمْ أَجِدْ لِدَلِكِ حِسًّا ثُمَّ أَخْرَجَ بَطْنِي فَعَسَلَهَا بِذَلِكَ التَّلْجِ فَأَنْعَمَ غَسَلَهَا ثُمَّ أَعَادَهَا مَكَانَهَا ثُمَّ قَامَ الثَّانِي مِنْهُمْ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ تَنَحَّ فَتَحَّاهُ عَنِّي ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَوْفِي وَ أَخْرَجَ قَلْبِي وَ أَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَصَدَعَهُ ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً سَوْدَاءَ فَرَمَاهَا ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ يَمَنَّهُ (١) مِنْهُ وَ كَانَتْهُ (٢) يَتَنَاوَلُ شَيْئًا فَإِذَا فِي يَدِهِ خَاتَمٌ مِنْ نُورٍ تَحَارُّ أَبْصَارُ النَّاطِرِينَ دُونَهُ فَخَتَمَ بِهِ قَلْبِي ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ فَوَجَدْتُ بَرْدَ ذَلِكَ الْخَاتَمِ فِي قَلْبِي دَهْرًا ثُمَّ قَالَ الثَّلَاثُ لِصَاحِبِهِ تَنَحَّ عَنْهُ فَأَمَرَ يَدَهُ مَا بَيْنَ مَفْرَقِ صِدْرِي إِلَى مُتْنِي عَانَتِي فَالْتَأَمَ ذَلِكَ الشَّقُّ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَنْهَضَنِي مِنْ مَكَانِي إِنْهَاضًا لَطِيفًا وَقَالَ لِلْمَأْوَلِ الَّذِي شَقَّ بَطْنِي زِنَّهُ بَعَشْرَهُ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ فَقَالَ دَعِيوهُ فَلَوْ وَرَثْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ كَلَّهَا لَرَجَحْتُهُمْ ثُمَّ ضَمُونِي إِلَى صَدْرِهِمْ وَقَبَلُوا رَأْسِي وَ مَا بَيْنَ عَيْنَيَّ وَقَالُوا يَا حَبِيبَ اللَّهِ لَا تُرْعَ إِنَّكَ لَوْ تَدْرِي مَا يُرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ لَقَرَّتْ عَيْنَاكَ فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذَا أَنَا بِالْحَيِّ قَدْ جَاءُوا بِحَدَافِيرِهِمْ وَإِذَا أُمِّي وَ هِيَ

ص: ٢٠٥

١-١) في الأصول: «نميه» تصحيف.

٢-٢) الطبري: «و كأنه».

ظِئْرِي أَمَامَ الْحَيِّ تَهْتِفُ بِأَعْلَى صَوْتِهَا وَ تَقُولُ يَا ضَعِيفَاهُ فَانْكَبْ عَلَيَّ أَوْلَيْكَ الرَّهْطُ فَاقْبَلُوا رَأْسِي وَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْ وَ قَالُوا حَبْدًا أَنْتَ مِنْ ضَعِيفٍ ثُمَّ قَالَتْ ظِئْرِي يَا وَجِيدَاهُ فَانْكَبُوا عَلَيَّ وَ ضَمُونِي إِلَى صُدُورِهِمْ وَ قَبَلُوا رَأْسِي وَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْ ثُمَّ قَالُوا حَبْدًا أَنْتَ مِنْ وَجِيدٍ وَ مَا أَنْتَ بِوَجِيدٍ إِنَّ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتَهُ مَعَكَ وَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَتْ ظِئْرِي يَا يَتِيمَاهُ اسْتَضْعَفْتَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِكَ فَقَتِلْتَ لِضَعْفِكَ فَانْكَبُوا عَلَيَّ وَ ضَمُونِي إِلَى صُدُورِهِمْ وَ قَبَلُوا رَأْسِي وَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْ وَ قَالُوا حَبْدًا أَنْتَ مِنْ يَتِيمٍ مَا أَكْرَمَكَ عَلَيَّ اللَّهُ لَوْ تَعَلَّمُ مَا يُرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ قَالَ فَوَصَلَ الْحَيُّ إِلَى شَفِيرِ الْوَادِي فَلَمَّا بَصُرَتْ بِى أُمِّي وَ هِيَ ظِئْرِي نَادَتْ يَا بَنِيَّ أَلَا أَرَاكَ حَيًّا بَعِيدًا فَجَاءَتْ حَتَّى انْكَبَتْ عَلَيَّ وَ ضَمَّتْنِي إِلَى صَدْرِهَا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَفِي حَجْرِهَا قَدْ ضَمَّتْنِي إِلَيْهَا وَ إِنِّي لَفِي يَدِي لَفِي يَدِ بَعْضِهِمْ فَجَعَلْتُ أَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ وَ ظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ يُبْصِرُونَهُمْ فَإِذَا هُمْ لَا يُبْصِرُونَهُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ الْقَوْمِ إِنَّ هَذَا الْغُلَامَ قَدْ أَصَابَهُ لَمَمٌ أَوْ طَائِفٌ مِنَ الْجِنِّ فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى كَاهِنٍ بَيْنِي فَلَانَ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَ يُدَاوِيهِ فَقُلْتُ مَا بِي شَيْءٌ مِمَّا يَذْكُرُونَ نَفْسِي سَلِيمَةٌ وَ إِنِّي فُؤَادِي صَحِيحٌ لَيْسَتْ بِي قَلْبُهُ (١) فَقَالَ أَبِي وَ هُوَ زَوْجُ ظِئْرِي أَلَا تَرُونَ كَلَامَهُ صَحِيحًا إِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا يَكُونَ عَلَيَّ ابْنِي بَأْسٌ.

فَاتَّفَقَ الْقَوْمُ عَلَيَّ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْكَاهِنِ بِي فَاحْتَمَلُونِي حَتَّى ذَهَبُوا بِي إِلَيْهِ فَقَصُّوا عَلَيْهِ قِصَّتِي فَقَالَ اسْكُنُوا حَتَّى أَسْمَعَ مِنَ الْغُلَامِ فَهُوَ أَعْلَمُ بِأَمْرِهِ مِنْكُمْ فَسَأَلَنِي فَقَصَّصْتُ عَلَيْهِ أَمْرِي وَ أَنَا يَوْمَئِذٍ ابْنُ خَمْسِ سِتِينَ فَلَمَّا سَمِعَ قَوْلِي وَثَبَ وَ قَالَ يَا لِلْعَرَبِ اقْتُلُوا هَذَا الْغُلَامَ فَهُوَ وَ اللَّاتِ وَ الْعُزَّى لَيْسَ لِيَنَّ دِينَكُمْ وَ لِيُخَالِفَنَّ أَمْرَكُمْ وَ لِيَأْتِيَنَّكُمْ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا بِهِ قَطُّ فَانْتَرَعْتَنِي ظِئْرِي مِنْ حَجْرِهِ وَ قَالَتْ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا يَكُونُ مِنْ قَوْلِكَ مَا أَتَيْتُكَ بِهِ

ص: ٢٠٦

١- ١) ليس بى قلبه، أى ليس به شىء، و أصله من القلب، و هو داء يأخذ الإبل فى رءوسها، فيقلبها إلى فوق، قال فى اللسان: «و لا يستعمل إلا فى النفى».

ثُمَّ احْتَمَلُونِي فَأَضْبَحْتُ وَقَدْ صَارَ فِي جَسَدِي أَثَرُ الشَّقِّ مَا بَيْنَ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَاتِي كَأَنَّهُ الشَّرَاكُ (١).

و

٣٤٨٣

٥١٤- رُوِيَ أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْيَاقِرِ عَسَّأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢) فَقَالَ ع يُوَكَّلُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْبِيَائِهِ مَلَائِكَةً يُحْصُونَ أَعْمَالَهُمْ وَيُؤَدُّونَ إِلَيْهِ تَبْلِيغَهُمُ الرَّسَالَهَ وَوَكَّلَ بِمُحَمَّدٍ ص مَلَكًا عَظِيمًا مُنْذُ فَصَلَ عَنِ الرَّضَاعِ يُرْشِدُهُ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَيَصُدُّهُ عَنِ الشَّرِّ وَ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ وَ هُوَ الَّذِي كَانَ يُنَادِيهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ هُوَ شَابٌّ لَمْ يَبْلُغْ دَرَجَةَ الرَّسَالَةِ بَعِيدٌ فَيُظَنُّ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْحَجَرِ وَ الْأَرْضِ فَيَتَأَمَّلُ فَلَا يَرَى شَيْئًا

و

٣٤٨٤

رَوَى الطَّبْرِيُّ فِي التَّارِيخِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ عَنْ أَبِيهِ عَلِيٍّ ع قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْحَيَاةِ عَلَيْهِ يَعْمَلُونَ بِهِ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ كُفَّلَ ذَلِكَ يَحُولُ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنِي وَ بَيْنَ مَا أُرِيدُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بِسُوءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ قُلْتُ لَيْلَهُ لِعَلَامٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَ يَزْعَى مَعِيَ بِأَعْلَى مَكَّةَ لَوْ أَبْصَرْتُ لِي غَنَمِي حَتَّى أَدْخُلَ مَكَّةَ فَأَسْمُرَ بِهَا كَمَا يَسْمُرُ الشَّبَابُ فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا جِئْتُ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ سَمِعْتُ عَزْفًا بِالْدَفِّ (٣) وَ الْمَرَامِيرَ فَقُلْتُ مَا هَذَا قَالُوا هَذَا فَلَانٌ تَزَوَّجَ ابْنَهُ فَلَانٍ فَجَلَسْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فَضَرَبَ اللَّهُ عَلَيَّ أُذُنِي فَنَمْتُ فَمَا أُتْقِظُنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَقَالَ مَا فَعَلْتَ فَقُلْتُ مَا صَنَعْتُ شَيْئًا ثُمَّ أَخْبَرْتُهُ الْخَبْرَ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ لَيْلَهُ أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ أَفْعَلُ فَخَرَجْتُ فَسَمِعْتُ حِينَ دَخَلْتُ مَكَّةَ مِثْلَ مَا سَمِعْتُ حِينَ دَخَلْتُهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَجَلَسْتُ

ص: ٢٠٧

١- ١) الخبر بتفصيل أوفى في الطبري: ١٦١: ٢-١٦٥ (طبع المعارف).

٢- ٢) سورة الجن ٢٧.

٣- ٣) الطبري: «بالدفوف».

أَنْظُرُ فَضَرَبَ اللَّهُ عَلَيَّ أَذُنِي فَمَا أَيْقَنِي إِلَّا- مَسَّ الشَّمْسُ فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بِعِيدِهَا بِسُوءِ حَيْتِي
أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ (١).

و

٣٤٨٥

رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ فِي أَمَالِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ أَذُكُرُّ وَ أَنَا غُلَامٌ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ وَ قَدْ بَنَى ابْنُ جُدْعَانَ دَارًا لَهُ بِمَكَّةَ فَجِئْتُ
مَعَ الْغُلَمَانِ نَأْخُذُ التُّرَابَ وَ الْمَدَرَ فِي حُجُورِنَا فَتَنَقَّلُهُ فَمَلَأْتُ حَجْرِي تُرَابًا فَانْكَشَفْتُ عَوْرَتِي فَسَمِعْتُ نِدَاءً مِنْ فَوْقِ رَأْسِي يَا مُحَمَّدُ
أَرْخِ إِزَارَكَ فَجَعَلْتُ أَرْفَعُ رَأْسِي فَلَا- أَرَى شَيْئًا إِلَّا- أَنِّي أَسْمِعُ الصَّوْتَ فَتَمَاسَيْكَتُ وَ لَمْ أُرْجِهْ فَكَأَنَّ إِنْسَانًا ضَرَبَنِي عَلَى ظَهْرِي
فَخَزَرْتُ لَوَجْهِهِ وَ انْحَلَّ إِزَارِي فَسَتَرَنِي وَ سَقَطَ التُّرَابُ إِلَى الْأَرْضِ فَقُمْتُ إِلَى دَارِ أَبِي طَالِبٍ عَمِّي وَ لَمْ أَعُدْ.

٣٤٨٦

١٤,١- وَ أَمَّا حَدِيثُ مُجَاوَرَتِهِ عَ بِحِرَاءَ فَمَشْهُورٌ وَ قَدْ وَرَدَ فِي الْكُتُبِ الصَّحَاحِ أَنَّهُ كَانَ يُجَاوِرُ فِي حِرَاءَ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ شَهْرًا وَ كَانَ
يُطْعَمُ فِي ذَلِكَ الشَّهْرِ مَنْ جَاءَهُ مِنَ الْمَسَاكِينِ فَإِذَا قَضَى جَوَارَهُ مِنْ حِرَاءَ كَانَ أَوَّلَ مَا يَبْدَأُ بِهِ إِذَا انْصَرَفَ أَنْ يَأْتِيَ بَابَ الْكَعْبَةِ قَبْلَ
أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ فَيَطُوفَ بِهَا سَبْعًا أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ حَتَّى جَاءَتِ السَّنَةُ الَّتِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ فِيهَا بِالرِّسَالَةِ فَجَاوَرَ
فِي حِرَاءَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَ مَعَهُ أَهْلُهُ خَدِيجُهُ وَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ خَادِمٌ لَهُمْ فَجَاءَهُ جَبْرِيلُ بِالرِّسَالَةِ وَ قَالَ عَ جَاءَنِي وَ أَنَا نَائِمٌ بِنَمِطٍ
فِيهِ كِتَابٌ فَقَالَ اقْرَأْ قُلْتُ مَا أَقْرَأُ فَعَتَّنِي (٢) حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ (٣) اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ إِلَى قَوْلِهِ عَلَّمَ
الْإِنْسَانَ

ص: ٢٠٨

(١-١) تاريخ الطبري ٢:٢٧٩ (المعارف).

(٢-٢) غتي، قال ابن الأثير: (الغت و الغط سواء، كأنه أراد: عصرني عصرا شديدا حتى وجدت منه المشقه كما يجد من يغمس في
الماء قهرا. النهاية ٣:١٤٩.

(٢-٣) غتي، قال ابن الأثير: (الغت و الغط سواء، كأنه أراد: عصرني عصرا شديدا حتى وجدت منه المشقه كما يجد من يغمس في
الماء قهرا. النهاية ٣:١٤٩.

فَقَرَأْتُهُ ثُمَّ انْصَرَفَ عَنِّي فَانْتَبَهْتُ مِنْ نَوْمِي وَكَأَنَّمَا كُتِبَ فِي قَلْبِي كِتَابٌ .

و ذكر تمام الحديث.

و أما حديث أن الإسلام لم يجتمع عليه بيت واحد يومئذ إلا النبي و هو ع و خديجه

٣٦٨٧

١٤,١- فَخَبِرَ عَفِيفُ الْكِنْدِيِّ مَشْهُورٌ وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ لَهُ أَ تَدْرِي مَنْ هَذَا قَالَ لَا قَالَ هَذَا ابْنُ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَ هَذَا ابْنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ خَلْفَهُمَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ زَوْجَةُ مُحَمَّدِ بْنِ أَخِي وَ أَيْمُ اللَّهِ مَا أَعْلَمُ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا أَحَدًا عَلَى هَذَا الدِّينِ غَيْرَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ .

و أما رنه الشيطان

٣٦٨٨

١,١٤- فَرَوَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص صَبَّحَ اللَّيْلَةَ الَّتِي أُسْرِىَ بِهَا وَ هُوَ بِالْحَجْرِ يُصَلِّي فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ وَ قَضَيْتُ صَلَاتِي سَمِعْتُ رَنَّهُ شَدِيدَةً فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ قَالَ لَا تَعْلَمُ هَذِهِ رَنَّةُ الشَّيْطَانِ عَلِمَ أَنَّى أُسْرِىَ بِي اللَّيْلَةَ إِلَى السَّمَاءِ فَأَيْسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ .

و

٣٦٨٩

١٤- قَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ص مَا يُشَابُهُ هَذَا لَمَّا بَايَعَهُ الْأَنْصَارُ السَّبْعُونَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ سَمِعَ مِنَ الْعَقَبَةِ صَوْتٌ عَالٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يَا أَهْلَ مَكَّةَ هَذَا مُيَدَّمٌ وَ الضَّبَّاهُ مَعَهُ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِلْأَنْصَارِ لَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُ هَذَا أَزْبُ الْعَقَبَةِ يَعْنِي شَيْطَانَهَا وَ قَدْ رَوَى أَزْبُ الْعَقَبَةِ ثُمَّ التَفَّتْ إِلَيْهِ فَقَالَ (٢) اسْتَمِعْ يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَمَا وَاللَّهِ لَأَفْرُغَنَّ لَكَ .

ص: ٢٠٩

٢-٢) فى اللسان: «كانت العرب تسمى النبى صلى الله عليه و سلم الصابى لأنه خرج من دين قريش إلى الإسلام، و يسمون من دخل فى دين الإسلام مَصِيْبُواً، لأنهم كانوا لا يهزون، فأبدلوا من الهمزه واوا، و يسمون المسلمين الصُّبَاةَ بغير همز، كانه جمع الصَّابى».

١٤,١- رُوِيَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ ع قَالَ كَانَ عَلِيٌّ ع يَرَى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص قَبْلَ الرِّسَالَةِ الصَّوَاءَ وَيَسْمَعُ الصَّوْتَ وَقَالَ لَهُ ص لَوْ لَا أَنِّي خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ لَكُنْتُ شَرِيكًا فِي الشُّبُهَةِ فَإِنْ لَا تَكُنْ نَبِيًّا فَإِنَّكَ وَصِيٌّ نَبِيٌّ وَوَارِثُهُ بَلْ أَنْتَ سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ .

و أما خبر الوزاره

١٤- فَفَعَدَ ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع قَالَ لَمَّا أَنْزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ وَ أَنْذَرُ عَشِيْرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (١) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص دَعَانِي فَقَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَنْذِرَ عَشِيْرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ فَضَمْتُ بِذَلِكَ ذُرْعًا وَعَلِمْتُ أَنِّي مَتَى أَنْادِهِمْ بِهَذَا الْأَمْرِ أَرَمْنُهُمْ مَا أَكْرَهُ فَصَيَّمْتُ حَتَّى جَاءَنِي جِبْرِيْلُ ع فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا أُمِرْتُ بِهِ يُعَذِّبُكَ رَبُّكَ فَاصْنَعْ لَنَا صَاعًا مِنْ طَعَامٍ وَ اجْعَلْ عَلَيْهِ رَجُلَ شَاهٍ وَ ائْمَلْ لَنَا عُسًا مِنْ لَبَنٍ ثُمَّ اجْمَعْ بَيْنِي عَبْدَ الْمُطَّلِبِ حَتَّى أَكَلْتَهُمْ وَ أَبْلَغْتَهُمْ مَا أُمِرْتُ بِهِ فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ ثُمَّ دَعَوْتُهُمْ وَ هُمْ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ رَجُلًا- يَزِيدُونَ رَجُلًا- أَوْ يَنْقُصُونَهُ وَ فِيهِمْ أَعْمَامُهُ- أَبُو طَالِبٍ وَ حَمْزَةُ وَ الْعَبَّاسُ وَ أَبُو لَهَبٍ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ دَعَا بِالطَّعَامِ الَّذِي صَنَعْتَ لَهُمْ فَجِئْتُ بِهِ فَلَمَّا وَضَعْتُهُ تَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَضْعَهُ (٢) مِنَ اللَّحْمِ فَشَقَّهَا بِأَسْنَانِهِ ثُمَّ أَلْقَاهَا فِي نَوَاحِي الصَّخْفَةِ ثُمَّ قَالَ كُلُوا بِاسْمِ اللَّهِ فَكَلُوا حَتَّى مَا لَهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِنْ حَاجَةٍ وَ أَيُّمُ اللَّهِ الَّذِي نَفْسُ عَلِيٍّ بِيَدِهِ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لِيَأْكُلْ مَا قَدَّمْتَهُ لِجَمِيعِهِمْ ثُمَّ قَالَ اسْقِ الْقَوْمَ يَا عَلِيُّ فَجِئْتُهُمْ بِذَلِكَ الْعُسِّ فَشَرِبُوا مِنْهُ حَتَّى رَوَوْا جَمِيعًا وَ أَيُّمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لِيَشْرَبَ مِثْلَهُ فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ يُكَلِّمَهُمْ بَدَرَهُ أَبُو لَهَبٍ إِلَى الْكَلَامِ فَقَالَ لَشَدِّ مَا سَحَرَكُمُ صَاحِبُكُمْ فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ وَ لَمْ يُكَلِّمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص فَقَالَ مِنَ الْغَدِ يَا عَلِيُّ إِنْ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ سَبَقَنِي

ص: ٢١٠

(١-١) سورة الشعراء ٢١٤.

(٢-٢) البضعة بالفتح، و قد تكسر: القطعة من اللحم.

إِلَى مَا سَمِعْتَ مِنَ الْقَوْلِ فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ قَبْلَ أَنْ أَكَلَمَهُمْ فَعَدُّ لَنَا الْيَوْمَ إِلَى مِثْلِ مَا صَنَعْتَ بِالْأَمْسِ ثُمَّ اجْمَعُهُمْ لِي فَفَعَلْتُ ثُمَّ جَمَعْتُهُمْ
ثُمَّ دَعَانِي بِالطَّعَامِ فَقَرَّبْتُهُ لَهُمْ فَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ بِالْأَمْسِ فَأَكَلُوا حَتَّى مَا لَهُمْ بِشَيْءٍ حَاجَهُ ثُمَّ قَالَ اسْتَقِيمْهُمْ فَجِئْتُهُمْ بِذَلِكَ الْعُسِّ فَشَرِبُوا
مِنْهُ جَمِيعاً حَتَّى رَوَوْا ثُمَّ تَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ص فَقَالَ يَا بَنِي عَزِيدِ الْمُطَلَبِ إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَنَّ شَاباً فِي الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ بِأَفْضَلِ مِمَّا
جِئْتُمْ بِهِ إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ أَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ فَأَيُّكُمْ يُوَاظِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي
وَوَصِيئِي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ عَنْهَا جَمِيعاً وَقُلْتُ أَنَا (١) وَإِنِّي لَأَحَدُهُمْ سِتْنًا وَ أَرْمَضِيَهُمْ (٢) عَيْنًا وَ أَعْظَمُهُمْ بَطْنًا وَ
أَحْمَشُهُمْ (٣) سَاقًا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكُونُ وَزِيرَكَ عَلَيْهِ فَأَعَادَ الْقَوْلَ فَأَمْسَكُوا وَ أَعِيدْتُ مَا قُلْتُ فَأَخَذَ بِرَقِيَّتِي ثُمَّ قَالَ لَهُمْ هَذَا أَخِي
وَ وَصِيئِي وَ خَلِيفَتِي فِيكُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَ أَطِيعُوا فَقَامَ الْقَوْمُ يَضْحَكُونَ وَ يَقُولُونَ لِأَبِي طَالِبٍ قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْمَعَ لِإِنَّكَ وَ تَطِيعَ

(٤)

و يدلّ على أنّه وزير رسول الله ص من نص الكتاب و السنه قول الله تعالى وَ اجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي أَشَدُّ بِهِ
أَزْرِي وَ أَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (٥) و

٣٤٩٢

قَالَ النَّبِيُّ ص فِي الْخَبْرِ الْمُجْمَعِ عَلَى رِوَايَتِهِ بَيْنَ سَائِرِ فِرْقِ الْأِسْلَامِ أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي. فَأَثَبَتْ
له جميع مراتب هارون عن موسى فإذا هو وزير رسول الله ص و شاد أزره و لو لا أنّه خاتم النبيين لكان شريكاً في أمره.

ص: ٢١١

(١-١) ساقطه من التاريخ.

(٢-٢) الرمص في العين: كالغمص، و هو قذى تلفظ به؛ كناية عن صغر سنه.

(٣-٣) حمش الساقين: رفيفهما.

(٤-٤) تاريخ الطبري ٣١٩:٢-٣٢١ (المعارف)، و تفسير الطبري ٧٥، ٧٤:١٩ (بولاق)، بتفصيل أوفى.

(٥-٥) سوره طه ٢٩-٣١.

١٤، ١- رَوَى أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ أَيْضاً فِي التَّارِيخِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَلِيِّ ع يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمِ وَرِثْتَ ابْنَ عَمِّكَ دُونَ عَمِّكَ فَقَالَ عَلِيُّ ع هِيَ أَوْمٌ ثَلَاثٌ مَرَّاتٍ حَتَّى أَشْرَابَ النَّاسَ وَ نَشَرُوا آذَانَهُمْ ثُمَّ قَالَ جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِمَكَّةَ وَ هُمْ رَهْطُهُ (١) كُلُّهُمْ يَأْكُلُ الْجَدْعَةَ وَ يَشْرَبُ الْفُرْقَ (٢) فَصَنَعَ مَدًّا مِنْ طَعَامٍ حَتَّى أَكَلُوا وَ شَبِعُوا وَ بَقِيَ الطَّعَامُ كَمَا هُوَ كَأَنَّهُ لَمْ يَمَسَّ ثُمَّ دَعَا بَعْمَرَ (٣) فَشَرِبُوا وَ رَوَوْا وَ بَقِيَ الشَّرَابُ كَأَنَّهُ لَمْ يُشْرَبْ ثُمَّ قَالَ يَا بِنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنِّي بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً وَ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً فَأَيُّكُمْ يُبَايِعُنِي عَلِيٌّ أَنْ يَكُونَ أَخِي وَ صِيحَابِي وَ وَارِثِي فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ فَقُمْتُ إِلَيْهِ وَ كُنْتُ مِنْ أَضْغَرِ الْقَوْمِ فَقَالَ اجْلِسْ ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثٌ مَرَّاتٍ كُلَّ ذَلِكَ أَقَوْمٌ إِلَيْهِ فَيَقُولُ اجْلِسْ حَتَّى كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلِيٌّ يَدِي فَعِنَدَ ذَلِكَ وَرِثْتُ ابْنَ عَمِّي دُونَ عَمِّي

(٤)

وَ لَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ ص لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَ لَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ وَ نَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَ أَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَ رَسُولٌ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَقَالَ ص وَ مَا تَسْأَلُونَ قَالُوا تَدْعُونَا لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرْوِقِهَا وَ تَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ فَقَالَ ص إِنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ

ص: ٢١٢

١- ١) في الأصول: «(رهط)»، و أثبت ما في الطبري.

٢- ٢) الفرق، بكسر الفاء، و بعضهم يقول بالفتح: مكيال كبير لأهل المدينة يكال به اللبن.

٣- ٣) الغمر: القدح الصغير.

٤- ٤) تاريخ الطبري ٣٢٢، ٣٢١: ٢.

شَيْءٍ قَدِيرٍ فَإِنَّ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَ تُوْمِنُونَ وَ تَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَإِنِّي سَأَرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ وَ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنْكُمْ لَا تَفِيئُونَ
إِلَى خَيْرٍ وَ أَنْ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلْبِ وَ مَنْ يُحْزَبُ الْأَحْزَابِ ثُمَّ قَالَ ص يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُوْمِنِينَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ
تَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَانْقَلِعِي بِعُرْوَتِكَ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ [وَ الَّذِي]

فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَأَنْفَلَعَتْ بِعُرْوَتِهَا وَ جَاءَتْ وَ لَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ وَ قَصِفٌ كَقَصْفِ أَجْنَحِ الطَّيْرِ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولِ اللَّهِ
ص مُرْفَرِفَةً وَ أَلْقَتْ بَعْضَ نَيْهَا الْمَاعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَ بَعْضَ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكَبِي وَ كُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ ص فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى
ذَلِكَ قَالُوا عَلُوًّا وَ اسْتِكْبَارًا فَمُرَّهَا فَلْيَأْتِكَ نَضِيفُهَا وَ يَبْقَى نَضِيفُهَا فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نَضِيفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَ أَشَدِّهِ دَوِيًّا
فَكَادَتْ تَلْتَفُ بِرَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالُوا كُفْرًا وَ عُتُوًّا فَمُرَّ هَذَا النُّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نَضِيفِهِ كَمَا كَانَ فَأَمَرَهُ ص فَرَجَعَ فَقُلْتُ أَنَا لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ أَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصَدِيقًا بِبُتُوْتِكَ وَ إِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ
فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بَيْلٌ سَاحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ السَّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ وَ هَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا يَعْغُونَنِي وَ إِنِّي لِمِنْ قَوْمٍ لَا
تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَا يَمُّ سَيِّمَاهُمْ سَيِّمَاتِ الصَّادِقِينَ وَ كَلَامُهُمْ الْكَلَامُ الْأَبْرَارِ عَمَّارِ اللَّيْلِ وَ مَمَّارِ النَّهَارِ مَتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ
يُحْيُونَ سُنْنَ اللَّهِ وَ سُنْنَ رَسُولِهِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَ لَا يَعْطُونَ وَ لَا يَغْلُونَ وَ لَا يُفْسِدُونَ قُلُوبَهُمْ فِي الْجَنَانِ وَ أَجْسَادَهُمْ فِي الْعَمَلِ .

الجماعه و لا- تفيثون لا- ترجعون و من يطرح فى القلب كعبه و شبهه ابني ربيعه بن عبد شمس و عمرو بن هشام بن المغيره المكنى ابا جهل و غيرهم طرحوا فى قلب بدر بعد انقضاء الحرب و من يحزب الأحزاب أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية .
و القصف و القصيف الصوت و سيماهم علامتهم و مثله سيمياء .

و معنى قوله ع قلوبهم فى الجنان و أجسادهم فى العمل أن قلوبهم ملتذة بمعرفة الله تعالى و أجسادهم نصبه بالعباده .

و أميا أمر الشجره التى دعاها رسول الله ص فالحديث الوارد فيها كثير مستفيض قد ذكره المحمّدون فى كتبهم و ذكره المتكلمون فى معجزات الرسول ص و الأكثرون روى الخبر فيها على الوضع الذى جاء فى خطبه أمير المؤمنين و منهم من يروى ذلك مختصرا أنه دعا شجره فأقبلت تخذ إليه الأرض خدا.

٣٤٩٤

١٤- وَ قَدْ ذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ دَلَائِلِ النَّبُوَّةِ حَدِيثَ الشَّجَرَةِ وَ رَوَاهُ أَيْضاً مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ فِي كِتَابِ السِّيَرَةِ وَ الْمَعَارِى عَلَى وَجْهِ آخَرَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ كَانَ رُكَّانَهُ (١) بَنُو عَبْدِ يَزِيدَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ أَشَدَّ قُرَيْشٍ كُلَّهَا فَخَلَا يَوْمًا بِرَسُولِ اللَّهِ ص فِي بَعْضِ شَجَابِ مَكَّةَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص يَا رُكَّانَهُ أَلَا تَتَّقَى اللَّهَ وَ تَقْبَلُ مَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ قَالَ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي تَقُولُ حَقٌّ لَاتَّبَعْتُكَ قَالَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ صِدْرَعْتُكَ أَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَقُولُ لَكَ حَقٌّ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَتَقُمْ حَتَّى أَصَارِعَكَ فَقَامَ رُكَّانَهُ فَلَمَّا بَطَشَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص أَضْجَعَهُ لَا يَمْلِكُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئاً فَقَالَ عُمِدُ يَا مُحَمَّدُ فَعَادَ فَصِرَعَهُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ هَذَا لَعَجَبٌ حِينَ (٢) تُصْرِعُنِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ أَعْجَبٌ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ أَرَيْتَكَ إِنْ اتَّقَيْتَ اللَّهَ وَ اتَّبَعْتَ أَمْرِي

ص: ٢١٤

١- ١) كذا ضبطه صاحب الاشتقاق ٧٨، بضم الراء.

٢- ٢) ب: «حتى»، تصحيف، و فى ابن هشام: «أ تصرعنى».

قَالَ يَا هُوَ قَالَ أَدْعُو لِمَكَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ الَّتِي تَرَاهَا فَتَأْتِي قَالَ فَادْعُهَا فَدَعَاَهَا فَأَقْبَلَتْ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ص ثُمَّ قَالَ
ارْجِعِي إِلَى مَكَانِكَ فَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا فَرَجَعَ رُكَّانُهُ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ يَا بِنِي عَيْدٍ مَنَافٍ سَاحِرُوا (١) بِصَاحِبِكُمْ أَهْلَ الْأَرْضِ فَمَا
رَأَيْتُ أُسْحَرَ مِنْهُ قَطُّ ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِالَّذِي رَأَى وَالَّذِي صَنَعَ

(٢)

القول في إسلام أبي بكر و علي و خصائص كل منهما

و ينبغي أن نذكر في هذا الموضوع ملخص ما ذكره الشيخ أبو عثمان الجاحظ في كتابه المعروف بكتاب العثمانيه في تفضيل
إسلام أبي بكر علي إسلام علي ع لأن هذا الموضوع يقتضيه لقوله ع حكاية عن قريش لما صدق رسول الله ص و هل يصدقك
في أمرك إلا مثل هذا لأنهم استصغروا سنه فاستخفروا أمر محمد رسول الله ص حيث لم يصدقوه في دعواه إلا غلام صغير السن
و شبيهه العثمانيه التي قررها الجاحظ من هذه الشبهه نشأت و من هذه الكلمه تفرعت لأن خلاصتها أن أبا بكر أسلم و هو ابن
أربعين سنه و علي أسلم و لم يبلغ الحلم فكان إسلام أبي بكر أفضل.

ثم نذكر ما اعترض به شيخنا أبو جعفر الإسكافي علي الجاحظ في كتابه المعروف بنقض العثمانيه و يتشعب الكلام بينهما حتى
يخرج عن البحث في الإسلاميين إلى البحث في أفضليه الرجلين و خصائصهما فإن ذلك لا يخلو عن فائده جليله و نكته

ص: ٢١٥

١-١) ساحروا: أي غالبوهم بالسحر.

٢-٢) سيره ابن هشام ٤١٨:١ (نشره المكتبة التجاربه).

لطفه لا يليق أن يخلو كتابنا هذا عنها و لأن كلامهما بالرسائل و الخطابه أشبه و فى الكتابه أقصد و أدخل و كتابنا هذا موضوع لذكر ذلك و أمثاله.

قال أبو عثمان قالت العثمانية أفضل الأمه و أولها بالإمامه أبو بكر بن أبى قحافه لإسلامه على الوجه الذى لم يسلم عليه أحد فى عصره و ذلك أن الناس اختلفوا فى أول الناس إسلاما فقال قوم أبو بكر و قال قوم زيد بن حارثه و قال قوم خباب بن الارت .

و إذا تفقدنا أخبارهم و أحصينا أحاديثهم و عددنا رجالهم و نظرنا فى صحه أسانيدهم كان الخبر فى تقدم إسلام أبى بكر أعم و رجاله أكثر و أسانيده أصح و هو بذاك أشهر و اللفظ فيه أظهر مع الأشعار الصحيحه و الأخبار المستفيضه فى حياه رسول الله ص و بعد وفاته و ليس بين الأشعار و الأخبار فرق إذا امتنع فى مجيئها و أصل مخرجها التبعاد و الاتفاق و التواطؤ و لكن ندع هذا المذهب جانبا و نضرب عنه صفحا اقتدارا على الحجه و وثوقا بالفلج و القوه و تقتصر على أدنى نازل فى أبى بكر و ننزل على حكم الخصم فنقول إنا وجدنا من يزعم أنه أسلم قبل زيد و حَبَاب و وجدنا من يزعم أنهما أسلما قبله و أوسط الأمور أعدلها و أقربها من محبه الجميع و رضا المخالف أن نجعل إسلامهم كان معا إذ الأخبار متكافئه و الآثار متساويه على ما تزعمون و ليست إحدى القضيتين أولى فى صحه العقل من الأخرى ثم نستدل على إمامه أبى بكر بما ورد فيه من الحديث و بما أبانه به الرسول ص من غيره.

قالوا فمما روى من تقدم إسلامه ما

٣٤٩٥

حَدَّثَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ وَ ابْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ شُعْبَةَ وَ ابْنِ عُيَيْنَةَ عَنِ الْجَرِيرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا أَحَقُّكُمْ بِهَذَا الْأَمْرِ يَعْنِي الْخِلَافَةَ أَلَسْتُ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى.

ص: ٢١٤

رَوَى عَبَادُ بْنُ صَيْهَيْبٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بِالْهُدَى وَ دِينَ الْحَقِّ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً فَقَالُوا كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتَ.

وَرَوَى يَعْلَى بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ حِوَاءُ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَسَأَلَهُ مَنْ كَانَ أَوَّلَ النَّاسِ إِسْلَامًا فَقَالَ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجْوًا مِنْ أَحَى ثِقَهُ

وَقَالَ أَبُو مِحْجَنٍ سَبَقْتُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ شَاهِدٌ وَ كُنْتُ حَبِيبًا بِالْعَرِيشِ الْمَشْهَرِ (١).

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ سَبَقْتُ أَخَا تَيْمٍ إِلَى دِينِ أَحْمَدَ وَ كُنْتُ لَدَى الْغَيْرَانِ فِي الْكُهْفِ صَاحِبًا (٢).

وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ وَ وَكِيعٍ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ قَالَ قَالَ النَّخَعِيُّ

أَبُو بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ.

و

١٤- رَوَى هَيْثَمُ عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ص وَ هُوَ بِعُكَاظَ فَقُلْتُ مَنْ بَايَعَكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ فَقَالَ بَايَعَنِي حُرٌّ وَ عَبْدٌ فَلَقَدْ رَأَيْتَنِي يَوْمَئِذٍ وَ أَنَا رَابِعُ الْإِسْلَامِ.

ص: ٢١٧

١- (١) ديوانه ٢٩٩، و العثمانية ١١١.

٢- (٢) بعده في الديوان و العثمانية: و ثاني اثنين في الغار المنيف و قد طاف العداة به إذ صعّد الجبل خير البرية أتقاها و أطهرها إلا النبي و أوفاهما بما حملا.

قال بعض أصحاب الحديث يعنى بالحُرُّ أبا بكر و بالعبدِ بلالاً .

و

٣٧٠٠

١٤- رَوَى اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ هُوَ بَعُكَاظٌ فَقَالَ لَهُ مَنْ تَبِعَكَ قَالَ تَبِعَنِي حُرٌّ وَ عَبْدُ أَبِي بَكْرٍ وَ بِلَالٌ .

و

٣٧٠١

١- رَوَى عَمْرُو بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْهَاشِمِيُّ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ أَسِيدِ بْنِ صِفْوَانَ صَاحِبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ أبا بَكْرٍ كُنْتُ أَوَّلَ النَّاسِ إِسْلَامًا .

٣٧٠٢

١- وَ رَوَى عَبَّادٌ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ بَشْرِ بْنِ أَبِي زَيْنَبٍ عَنْ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ إِذَا لَقِيتُ الْهَاشِمِيِّينَ قَالُوا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ وَ إِذَا لَقِيتُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ قَالُوا أَبُو بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ .

قال أبو عثمان الجاحظ قالت العثمانيه فإن قال قائل فما بالكم لم تذكروا علي بن أبي طالب في هذه الطبقة و قد تعلمون كثره مُقَدِّميه و الروايه فيه قلنا قد علمنا الروايه الصحيحه و الشهاده القائمه أنه أسلم و هو حَدِيثُ غَرِيْبٍ و طفل صغير فلم نُكذِّبِ الناقِلين و لم نَسْتَطِعْ أَنْ نُلْحِقَ إِسْلَامَهُ بِإِسْلَامِ الْبَالِغِينَ لِأَنَّ الْمُقَلَّلَ زَعَمَ أَنَّهُ أَسْلَمَ وَ هُوَ ابْنُ خَمْسِ سَنِينَ فَالْقِيَاسُ أَنْ يُؤْخَذَ بِالْأَوْسَطِ بَيْنَ الرَّوَايَتَيْنِ وَ بِالْأَمْرِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ وَ إِنَّمَا يَعْرِفُ حَقَّ ذَلِكَ مَنْ بَاطَلَهُ بِأَنْ نَحْصِيَ سَنِيَهُ الَّتِي ولى فيها الخلفه و سنى عمر و سنى عثمان و سنى أبي بكر و مُقَامُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ وَ مُقَامُهُ بِمَكَّةَ عِنْدَ إِظْهَارِ الدَّعْوَةِ فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ صَحَّ أَنَّهُ أَسْلَمَ وَ هُوَ ابْنُ سَبْعِ سَنِينَ فَالتَّارِيخُ الْمُجْمَعُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَتَلَ عَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ .

ص: ٢١٨

قال شيخنا أبو جعفر الإسكافي (١) لو لا ما غلب على الناس من الجهل و حبّ التقليد لم نحتج إلى نقض ما احتجّت به العثمانيه فقد علم الناس كافه أن الدوله و السلطان لأرباب مقالتهم و عرف كل أحد عُلُوّ أقدار شيوخهم و علمائهم و أمرائهم و ظهور كلمتهم و قهر سلطانهم و ارتفاع تقيّه عنهم و الكرامه و الجائزه لمن روى الأخبار و الأحاديث في فضل أبي بكر و ما كان من تأكيد بني أميه لذلك و ما ولّده المحدثون من الأحاديث طلبا لما في أيديهم فكانوا لا يألون جهداً في طول ما ملكوا أن يُخملوا ذكر عليّ ع و ولديه و يُطفئوا نورهم و يكتموا فضائلهم و مناقبهم و سوابقهم و يحملوا على شتمهم و سبهم و لعنهم على المنابر فلم يزل السيف يقطر من دمائهم مع قله عددهم و كثره عدوهم فكانوا بين قتيل و أسير و شريد و هارب و مستخف ذليل و خائف مترقب حتّى إن الفقيه و المحدث و القاضي و المتكلم ليتقدم إليه و يتوعد بغايه الإيعاد و أشدّ العقوبه ألا يذكروا شيئا من فضائلهم و لا يرخصوا لأحد أن يطيف بهم و حتّى بلغ من تقيّه المحدث أنه إذا ذكر حديثا عن عليّ ع كنى عن ذكره فقال قال رجل من قريش و فعل رجل من قريش و لا يذكر عليا ع و لا يتفوه باسمه.

ثم رأينا جميع المختلفين قد حاولوا نقض فضائله و وجهوا الحيل و التأويلات نحوها من خارجى مارق و ناصب خنق و ثابت مُسْتَبْهَم و ناشئ مُعَانِد و منافقٍ مكذب و عثمانى حَسُودٍ يَعْتَرِضُ فيها و يطعن و معتزلى قد نقض فى الكلام و أبصر علم الاختلاف

ص: ٢١٩

١ - ١) هو محمّد بن عبد الله أبو جعفر المعروف بالإسكافي، ذكره الخطيب فى تاريخ بغداد ٥: ٤١٦، و قال عنه: «أحد المتكلمين من معتزله البغداديين، و له تصانيف معروفه... و بلغنى أنه مات فى سنه أربعين و مائتين».

وَعَرَفَ الشُّبَهَ وَ مَوَاضِعَ الطُّغْنِ وَ ضُرُوبَ التَّأْوِيلِ قَدْ التَّمَسَ الحَيَّلَ فِي إِبْطَالِ مَنَاقِبِهِ وَ تَأْوِيلِ مَشْهُورِ فِضَائِلِهِ فَمَرَهُ بِتَأْوِيلِهَا بِمَا لَا يَحْتَمِلُ وَ مَرَهُ يَقْصِدُ أَنْ يَضَعَ مِنْ قَدْرِهَا بِقِيَاسِ مُنْتَقِضٍ وَ لَا يَزِدَادُ مَعَ ذَلِكَ إِلَّا قُوَّةَ وَ رَفْعَهُ وَ وَضُوحًا وَ اسْتِنَارَهُ وَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مَعَاوِيَةَ وَ يَزِيدَ وَ مَنْ كَانَ بَعْدَهُمَا مِنْ بَنِي مَرْوَانَ أَيَّامَ مُلْكِهِمْ وَ ذَلِكَ نَحْوَ ثَمَانِينَ سَنَةً لَمْ يَدْعُوا جُهِدًا فِي حَمْلِ النَّاسِ عَلَى شَتْمِهِ وَ لَعْنِهِ وَ إِخْفَاءِ فِضَائِلِهِ وَ سِتْرِ مَنَاقِبِهِ وَ سِوَابِقِهِ

٣٧٠٣

١- رَوَى خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيُّ عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ظَالِمٍ قَالَ لَمَّا بُويعَ لِمَعَاوِيَةَ أَقَامَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ خُطْبَاءً يَلْعَنُونَ عَلِيًّا عَ فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ أَلَا تَرَوْنَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الظَّالِمِ يَأْمُرُ بِلَعْنِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

٣٧٠٤

رَوَى سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَنْ شُعْبَةَ عَنِ الْحُرِّ بْنِ الصَّبَّاحِ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَخْنَسِ يَقُولُ شَهِدْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ خَطَبَ فَذَكَرَ عَلِيًّا عَ فَنَالَ مِنْهُ .

٣٧٠٥

رَوَى أَبُو كُرَيْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَيْمَةَ قَالَ حَدَّثَنَا صِدْقَةُ بْنُ الْمُثَنَّى النَّخَعِيُّ عَنْ رِيَّاحِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ بَيْنَمَا الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ بِالْمَسْجِدِ الْأَكْبَرِ وَ عِنْدَهُ نَاسٌ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ قَيْسُ بْنُ عَلْقَمَةَ فَاسْتَقْبَلَ الْمُغِيرَةَ فَسَبَّ عَلِيًّا عَ .

٣٧٠٦

رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ الْأَصْفَهَانِيُّ عَنْ شَرِيكِ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ عَمْرٍو بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَ قَالَ قَالَ لِي مَرْوَانُ مَا كَانَ فِي الْقَوْمِ أَذْفَعُ عَنْ صَاحِبِنَا مِنْ صَاحِبِكُمْ قُلْتُ فَمَا بِالْكُمْ تَسُبُّونَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ قَالَ إِنَّهُ لَا يَسْتَتِقِيمُ لَنَا الْأَمْرُ إِلَّا بِذَلِكَ .

٣٧٠٧

٢,١- رَوَى مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَبُو غَسَّانَ النَّهْدِيُّ عَنْ ابْنِ أَبِي سَيْفٍ قَالَ خَطَبَ مَرْوَانُ وَ الْحَسَنُ عَ جَالِسٌ فَنَالَ مِنْ عَلِيٍّ عَ فَقَالَ الْحَسَنُ وَبِلَكَ يَا مَرْوَانُ أَ هَذَا الَّذِي تَشْتُمُ شَرَّ النَّاسِ قَالَ لَا وَ لَكِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ

ص : ٢٢٠

وَرَوَى أَبُو عَسَانَ أَيْضًا قَالَ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ أَبِي يَخْطُبُ فَلَا يَزَالُ مُسْتَمِرًّا فِي خُطْبَتِهِ حَتَّى إِذَا صَارَ إِلَى ذِكْرِ عَلِيٍّ وَ سَبِّهِ تَقَطَّعَ لِسَانُهُ وَ اضْيَفَرَ وَجْهُهُ وَ تَعَبَّرَتْ حَالُهُ فَقُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ أَوْ قَدْ فَطَنْتَ لِذَلِكَ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَوْ يَعْلَمُونَ مِنْ عَلِيٍّ مَا يَعْلَمُهُ أَبُوكَ مَا تَبَعْنَا مِنْهُمْ رَجُلٌ.

وَرَوَى أَبُو عُثْمَانَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْيَقْظَانَ قَالَ قَامَ رَجُلٌ مِنْ وُلْدِ عُثْمَانَ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يَوْمَ عَرَفَةَ فَقَالَ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ كَانَتْ الْخُلَفَاءُ تَسْتَحِبُّ فِيهِ لَعْنُ أَبِي تُرَابٍ .

وَرَوَى عَمْرُو بْنُ الْفَنَادِ [الْقَنَادِ]

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ فضَيْلٍ عَنْ أَشْعَثِ بْنِ سَوَّارٍ قَالَ سَبَّ عِدِيُّ بْنُ أَرْطَاهُ عَلِيًّا عَلَى الْمِثْبَرِ فَبَكَى الْحَسَنُ الْبَصِيرِيُّ وَقَالَ لَقَدْ سُبَّ هَذَا الْيَوْمَ رَجُلٌ إِنَّهُ لَأَخُو رَسُولِ اللَّهِ ص فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَرَوَى عِدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ كُنْتُ أَنَا وَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ جَالِسَيْنِ فِي الْجُمُعَةِ مِمَّا يَلِي أَبْوَابَ كِنْدَةَ فَخَرَجَ الْمُعِيرَةُ فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ ذَكَرَ مَا شَاءَ أَنْ يَذْكَرَ ثُمَّ وَقَعَ فِي عَلِيٍّ ع فَضَرَبَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى فِجْدَى أَوْ رُكْبَتِي ثُمَّ قَالَ أَقْبَلْ عَلَيَّ فَحَدَّثَنِي فَإِنَّا لَسْنَا فِي جُمُعَةٍ أَلَّا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ هَذَا.

وَرَوَى عِدِيُّ بْنُ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ الثَّقَفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي سَيْفٍ قَالَ قَالَ ابْنُ لِعَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ لَوْلَدِهِ لَا تَذْكَرُ يَا بَنِي عَلِيًّا إِلَّا بِخَيْرٍ فَإِنَّ بَنِي أُمَّيَّةَ لَعَنُوهُ عَلَى مَنَابِرِهِمْ ثَمَانِينَ سَنَةً فَلَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ بِذَلِكَ إِلَّا رَفَعَهُ إِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَبْنِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا رَجَعَتْ عَلَى مَا بَنَتْ فَهَدَمَتْهُ وَ إِنَّ الدِّينَ لَمْ يَبْنِ شَيْئًا قَطُّ وَ هَدَمَهُ.

وَرَوَى عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُطَّلِبُ بْنُ زِيَادٍ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَصْبَهَانِيِّ قَالَ كَانَ دَعَى لِبَنِي أُمَّيَّةَ يُقَالُ لَهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَا يَزَالُ يَسْتِثِمُّ عَلِيًّا ع

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ جُمُعِهِ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ قَالَ وَاللَّهِ إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ لَيْسَ يَتَعَمَلُهُ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ مَا هُوَ وَلَكِنَّهُ كَانَ خَتَنَهُ وَقَدْ نَعَسَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ وَيَحْكُمَ مَا قَالَ هَذَا الْخَبِيثُ رَأَيْتُ الْقَبْرَ انْصَدَعَ وَرَسُولُ اللَّهِ ص يَقُولُ كَذَبْتُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ.

٣٧١٤

وَ رَوَى الْقَنَادُ (١) قَالَ حَدَّثَنَا أَشْبَاهُ بْنُ نَضِيرٍ الْهَمْدَانِيُّ عَنِ السُّدِّيِّ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ إِذْ أَقْبَلَ رَاكِبٌ عَلَى بَعِيرٍ فَوَقَفَ فَسَبَّ عَلَيَّ ع فَخَفَّ بِهِ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ سَبَّ عَبْدًا لَكَ صَالِحًا فَأَرِ الْمُسْلِمِينَ خَزِيئَةَ خَزِيئَةِ فَمَا لَبِثَ أَنْ نَفَرَ بِهِ بَعِيرُهُ فَسَقَطَ فَاثَدَقَتْ عُنُقُهُ.

٣٧١٥

وَ رَوَى عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى عَنْ فِطْرِ بْنِ خَلِيفَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيِّ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَيْلَمَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ فَقَالَتْ لِي أَيْسَبُّ رَسُولَ اللَّهِ ص فِيكُمْ وَأَنْتُمْ أَحْيَاءُ قُلْتُ وَ أَنَّى يَكُونُ هَذَا قَالَتْ أَلَيْسَ يُسَبُّ عَلَيَّ ع وَ مَنْ يُجِبُّهُ.

٣٧١٦

وَ رَوَى الْعَبَّاسُ بْنُ بَكَّارٍ الضَّبِّيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الْهَدَلِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِمَعَاوِيَةَ أَلَا تَكْفُفُ عَنْ شَتْمِ هَذَا الرَّجُلِ قَالَ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّى يَزُبُوَ عَلَيْهِ الصَّغِيرُ وَ يَهْرَمَ فِيهِ الْكَبِيرُ فَلَمَّا وُلِّيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَفَّ عَنْ شَتْمِهِ فَقَالَ النَّاسُ تَرَكَ الشُّنَّةَ.

٣٧١٧

قَالَ وَقَدْ رَوَى عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ إِذَا مَوْقُوفًا عَلَيْهِ أَوْ مَرْفُوعًا كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا شِمَلْتُمْ فَتَنَّهُ يَزُبُوَ عَلَيْهَا الصَّغِيرُ وَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ يَعْرِى عَلَيْهَا النَّاسُ فَيَتَّخِذُونَهَا سُنَّةً فَإِذَا غَيَّرَ مِنْهَا شَيْءٌ قِيلَ غَيَّرَتِ السُّنَّةَ.

ص: ٢٢٢

قال أبو جعفر وقد تعلمون أن بعض الملوك ربما أحدثوا قولاً- أو ديناً ليهوى فيحملون الناس على ذلك حتى لا يعرفوا غيره كنعو ما أخذ الناس الحجاج بن يوسف بقراءة عثمان و ترك قراءة ابن مسعود و أبي بن كعب و توعده على ذلك بدون ما صنع هو و جبايره بنى أميّه و طغاه مروان بولد على ع و شيعة و إنّما كان سلطانه نحو عشرين سنه فما مات الحجاج حتى اجتمع أهل العراق على قراءة عثمان و نشأ أبناؤهم و لا يعرفون غيرها لإمساك الآباء عنها و كف المعلمين عن تعليمها حتى لو قرأت عليهم قراءة عبد الله و أبي ما عرفوها و لظنوا بتأليفها الاستكراه و الاستهجان لإلف العاده و طول الجهاله لأنه إذا استولت على الرعيه الغلبه و طالت عليهم أيام التسلط و شاعت فيهم المخافه و شملتهم التقيه اتفقوا على التخاذل و التساكت فلا تزال الأيام تأخذ من بصائرهم و تنقص من ضمائرهم و تنقض من مراتبهم حتى تصير البدعه التي أحدثوها غامره للسنه التي كانوا يعرفونها و لقد كان الحجاج و من ولاة كعبد الملك و الوليد و من كان قبلهما و بعدهما من فراغته بنى أميّه على إخفاء محاسن على ع و فضائله و فضائل ولده و شيعة و إسقاط أقدارهم أحرص منهم على إسقاط قراءة عبد الله و أبي لأن تلك القراءات لا تكون سبباً لزوال ملكهم و فساد أمرهم و انكشاف حالهم و فى اشتهار فضل على ع و ولده و إظهار محاسنهم بوارهم و تسليط حكم الكتاب المنبوذ عليهم فحرصوا و اجتهدوا فى إخفاء فضائله و حملوا الناس على كتمانها و سترها و أبى الله أن يزيد أمره و أمر ولده إلا استناره و إشراقاً و جبهماً إلا شغفاً و شدة و ذكرهم إلا انتشاراً و كثرة و حجتهم إلا وضوحاً و قوه و فضلهم إلا ظهوراً و شأنهم إلا علواً و أقدارهم إلا إعظاماً حتى أصبحوا يباهنتهم إياهم أعزاء و ياماتتهم ذكرهم أحياء و ما أرادوا به و بهم من الشر تحول خيراً فانتهى إلينا من ذكر فضائله و خصائصه و مزاياه و سوابقه ما لم يتقدمه السابقون و لا ساواه فيه القاصدون و لا يلحقه الطالبون و لو لا أنها كانت

كألقبله المنصوبه فى الشهره و كألسنن المحفوظه فى الكثره لم يصل إلينا منها فى دهرنا حرف واحد إذا كان الأمر كما وصفناه.

قال فأما ما احتج به الجاحظ بإمامه أبى بكر بكونه أول الناس إسلاما فلو كان هذا احتجاجا صحيحا لاحتج به أبو بكر يوم السقيفه و ما رأيناه صنع ذلك لأنه أخذ بيد عمر و يد أبى عبیده بن الجراح و قال للناس قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا منهما من شئتم و لو كان هذا احتجاجا صحيحا لما قال عمر كانت بيعه أبى بكر فلتته و قى الله شرها و لو كان احتجاجا صحيحا لادعى واحد من الناس لأبى بكر الإمامه فى عصره أو بعد عصره بكونه سبق إلى الإسلام و ما عرفنا أحدا ادعى له ذلك على أن جمهور المحدثين لم يذكروا أن أبا بكر أسلم إلا بعد عده من الرجال منهم على بن أبى طالب و جعفر أخوه و زيد بن حارثه و أبو ذر الغفارى و عمرو بن عبس السلمى و خالد بن سعيد بن العاص و خباب بن الأرت و إذا تأملنا الروايات الصحيحه و الأسانيد القويه و الوثيقه وجدناها كلها ناطقه بأن عليا ع أول من أسلم.

فأما الروايه عن ابن عباس أن أبا بكر أولهم إسلاما فقد روى عن ابن عباس خلاف ذلك بأكثر مما روى و أشهر فمن ذلك

٣٧١٨

١- ميا رواه يحيى بن حماد عن أبى عوانه و سعيد بن عيسى عن أبى داود الطيالسى عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس أنه قال أول من صلى من الرجال على ع .

و

٣٧١٩

١- روى الحسن البصرى قال حدثنا عيسى بن راشد عن أبى بصير عن عكرمة عن ابن عباس قال فرض الله تعالى الاستغفار لعلى ع فى القرآن

ص: ٢٢٤

عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِقَوْلِهِ تَعَالَى رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ (١) فَكَلَّ مَنْ أَسْلَمَ بَعْدَ عَلِيٍّ فَهُوَ يَسْتَغْفِرُ لِعَلِيٍّ ع .

و

٣٧٢٠

١٤،١- رَوَى سَيْفِيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنِ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ السُّبَّاقُ ثَلَاثَةٌ سَبَقَ يُوْشَعُ بْنُ نُونٍ إِلَى مُوسَى وَ سَبَقَ صَاحِبُ يَسَ إِلَى عِيسَى وَ سَبَقَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

فهذا قول ابن عباس في سبق علي ع إلى الإسلام و هو أثبت من حديث الشعبي و أشهر علي أنه قد روى عن الشعبي خلاف ذلك من حديث

٣٧٢١

١٤،١- أَبِي بَكْرٍ الْهُذَلِيُّ وَ دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِعَلِيٍّ ع هَذَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِي وَ صَدَّقَنِي وَ صَلَّى مَعِي .

قال فأما الأخبار الواردة بسبقه إلى الإسلام المذكورة في الكتب الصحاح و الأسانيد الموثوق بها فمنها:

٣٧٢٢

١٤،١- مَا رَوَى شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَنِ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ أَوَّلُ شَيْءٍ عَلِمْتُهُ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنِّي قَدِمْتُ مَكَّةَ مَعَ عُمُومِهِ لِي وَ نَاسٍ مِنْ قَوْمِي وَ كَانَ مِنْ أَنْفُسِنَا شِرَاءَ عَطْرِ فَأَرَشَدْنَا (٢) إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِ وَ هُوَ جَالِسٌ إِلَى زَمْزَمَ فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسًا إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ بَابِ الصَّفَا وَ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَبْيَضَانِ وَ لَهُ وَفْرَةٌ إِلَى أَنْصِافِ أُذُنَيْهِ جَعِيدَةٌ أَشْمُ أَفْنَى أَدْعَجُ الْعَيْنَيْنِ كَثُ اللَّحْيَةِ بَرَّاقُ الثَّنَائِيَا أبيضُ تَعْلُوهُ حُمْرَةٌ كَأَنَّهَ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْيَدْرِ وَ عَلَى يَمِينِهِ غُلَامٌ مُرَاهِقٌ أَوْ مُحْتَلِمٌ حَسَنُ الْوَجْهِ تَقْفُوهُمْ امْرَأَةٌ قَدْ سَتَرَتْ مَحَاسِنَهَا حَتَّى قَصَدُوا نَحْوَ الْحَجَرِ فَاسْتَلَمَهُ وَ اسْتَلَمَهُ الْغُلَامُ ثُمَّ اسْتَلَمَتْهُ الْمَرْأَةُ ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا وَ الْغُلَامُ وَ الْمَرْأَةُ يَطُوفَانِ مَعَهُ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْحَجَرَ

ص: ٢٢٥

١- (١) سورة الحشر ١٠.

٢- (٢) د: «فأرشدونا».

فَقَامَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَكَبَّرَ وَقَامَ الْغُلَامُ إِلَى جَانِبِهِ وَقَامَتِ الْمَرْأَةُ خَلْفَهَا فَرَفَعَتْ يَدَيْهَا وَكَبَّرَتْ فَأَطَالَ الْقُنُوتَ ثُمَّ رَكَعَ وَرَكَعَ الْغُلَامُ وَالْمَرْأَةُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَأَطَالَ وَرَفَعَ الْغُلَامُ وَالْمَرْأَةُ مَعَهُ يَصْنَعَانِ مِثْلَ مَا يَصْنَعُ فَلَمَّا رَأَيْنَا شَيْئًا نُنْكِرُهُ لَا نَعْرِفُهُ بِمَكَهَ أَقْبَلْنَا عَلَى الْعَبَّاسِ فَقُلْنَا يَا أَبَا الْفَضْلِ إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَا كُنَّا نَعْرِفُهُ فِيكُمْ قَالَ أَجَلٌ وَاللَّهِ قُلْنَا فَمَنْ هَذَا قَالَ هَذَا ابْنُ أَخِي هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَهَذَا الْغُلَامُ ابْنُ أَخِي أَيْضًا هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ زَوْجَةُ مُحَمَّدٍ هَذِهِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَاللَّهِ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ يَدِينُ بِهَذَا الدِّينِ إِلَّا هُوَ لِأَنَّ هُوَ لِثَلَاثَةٍ

٣٧٢٣

١٤١- وَمَنْ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ دَاوُدَ عَنْ خَالِدِ بْنِ نَافِعٍ عَنْ عَفِيفِ بْنِ قَيْسِ الْكِنْدِيِّ وَقَدْ رَوَاهُ عَنْ عَفِيفٍ أَيْضًا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ النَّهْدِيُّ وَالْحَسَنُ بْنُ عَبْسَةَ الْوَرَّاقُ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَيْمُونَةَ قَالُوا جَمِيعًا حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ جُشَمٍ عَنْ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ عَنْ يَحْيَى بْنِ عَفِيفِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَطَّارًا فَقَدِمْتُ مَكَّةَ فَتَزَلَّتْ عَلَيَّ الْعَبَّاسِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَبَيْنَمَا أَنَا حَالِسٌ عِنْدَهُ أَنْظَرُ إِلَى الْكَعْبَةِ وَقَدْ تَحَلَّقَتِ الشَّمْسُ فِي السَّمَاءِ أَقْبَلَ شَابٌّ كَأَنَّ فِي وَجْهِهِ الْقَمَرَ حَتَّى رَمَى بِبَصِيرِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَنَظَرَ إِلَى الشَّمْسِ سَاعَةً ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنَ الْكَعْبَةِ فَصَفَّ قَدَمَيْهِ يُصَلِّي فَخَرَجَ عَلَيَّ أَثَرُهُ فَتَيَّ كَأَنَّ وَجْهَهُ صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ فَقَامَ عَنْ يَمِينِهِ فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ مُتَلَفِّفَةٌ فِي ثِيَابِهَا فَقَامَتْ خَلْفَهُمَا فَأَهْوَى الشَّابُّ رَاكِعًا فَرَكَعَا مَعَهُ ثُمَّ أَهْوَى إِلَى الْأَرْضِ سَاجِدًا فَسَجَدَا مَعَهُ فَقُلْتُ لِلْعَبَّاسِ يَا أَبَا الْفَضْلِ أَمْرٌ عَظِيمٌ فَقَالَ أَمْرٌ وَاللَّهِ عَظِيمٌ أَتَدْرِي مَنْ هَذَا الشَّابُّ قُلْتُ لَا قَالَ هَذَا ابْنُ أَخِي هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَتَدْرِي مَنْ هَذَا الْفَتَى قُلْتُ لَا قَالَ هَذَا ابْنُ أَخِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَتَدْرِي مَنْ الْمَرْأَةُ قُلْتُ لَا قَالَ هَذِهِ ابْنَةُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَّى هَذِهِ خَدِيجَةُ زَوْجَةُ مُحَمَّدٍ هَذَا (١) وَإِنَّ مُحَمَّدًا هَذَا يَذُكُرُ أَنَّ إِلَهَهُ إِلَهَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَامْرَأَتُهُ بِهَذَا الدِّينِ فَهُوَ عَلَيْهِ كَمَا تَرَى

ص: ٢٢٤

(١-١) ا: «زوج هذا».

وَيَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَقَدْ صَدَّقَهُ عَلَى قَوْلِهِ عَلِيُّ ابْنُ عَمِّهِ هَذَا الْفَتَى وَزَوْجَتُهُ خَدِيجَةُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ وَاللَّهُ مَا أَعْلَمُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كُلِّهَا
أَحَدًا عَلَى هَذَا الدِّينِ غَيْرَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ قَالَ عَفِيفٌ فَقُلْتُ لَهُ فَمَا تَقُولُونَ أَنْتُمْ قَالَ نَنْتَظِرُ الشَّيْخَ مَا يَصْنَعُ يَعْنِي أَبَا طَالِبٍ أَخَاهُ

و
٣٧٢٤

١٥، ١٤، ١١- رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى وَ الْفَضْلُ بْنُ دَكَيْنٍ وَ الْحَسَنُ بْنُ عَطِيَّةَ قَالُوا حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ طَهْمَانَ عَنْ نَافِعِ بْنِ أَبِي نَافِعٍ عَنْ
مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ كُنْتُ أُوصِي النَّبِيَّ ص فَقَالَ لِي هَلْ لَكَ أَنْ نَعُودَ فَاطِمَةَ قُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَامَ يَمْسِي مَتَوَكِّئًا عَلَيَّ وَ قَالَ
أَمَا إِنَّهُ سَيَحْمِلُ ثِقَلَهَا غَيْرُكَ وَ يَكُونُ أَجْرُهَا لَكَ قَالَ فَوَ اللَّهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيَّ مِنْ ثِقَلِ النَّبِيِّ ص شَيْءٌ فَدَخَلْنَا عَلَى فَاطِمَةَ ع فَقَالَ
لَهَا ص كَيْفَ تَجِدِينَكَ قَالَتْ لَقَدْ طَالَ أَسْفِي وَ اشْتَدَّ حُزْنِي وَ قَالَ لِي النِّسَاءُ زَوْجَكَ أَبُوكَ فَقِيرًا لَا مَالَ لَهُ فَقَالَ لَهَا أَمَا تَرْضَيْنَ
أَنِّي زَوْجَتُكَ أَقْدَمَ أُمَّتِي سَلْمًا وَ أَكْثَرَهُمْ عِلْمًا وَ أَفْضَلَهُمْ حِلْمًا قَالَتْ بَلَى رَضِيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَ قَدْ رَوَى هَذَا الْخَبَرَ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ
الْحَمِيدِ وَ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ صَالِحٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ بِالْفَاظِهِ أَوْ نَحْوِهَا

و
٣٧٢٥

١٥، ١٤، ١١- رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى وَ الْفَضْلُ بْنُ دَكَيْنٍ وَ الْحَسَنُ بْنُ عَطِيَّةَ قَالُوا حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ طَهْمَانَ عَنْ نَافِعِ بْنِ أَبِي نَافِعٍ عَنْ
مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ كُنْتُ أُوصِي النَّبِيَّ ص فَقَالَ لِي هَلْ لَكَ أَنْ نَعُودَ فَاطِمَةَ قُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَامَ يَمْسِي مَتَوَكِّئًا عَلَيَّ وَ قَالَ
أَمَا إِنَّهُ سَيَحْمِلُ ثِقَلَهَا غَيْرُكَ وَ يَكُونُ أَجْرُهَا لَكَ قَالَ فَوَ اللَّهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيَّ مِنْ ثِقَلِ النَّبِيِّ ص شَيْءٌ فَدَخَلْنَا عَلَى فَاطِمَةَ ع فَقَالَ
لَهَا ص كَيْفَ تَجِدِينَكَ قَالَتْ لَقَدْ طَالَ أَسْفِي وَ اشْتَدَّ حُزْنِي وَ قَالَ لِي النِّسَاءُ زَوْجَكَ أَبُوكَ فَقِيرًا لَا مَالَ لَهُ فَقَالَ لَهَا أَمَا تَرْضَيْنَ
أَنِّي زَوْجَتُكَ أَقْدَمَ أُمَّتِي سَلْمًا وَ أَكْثَرَهُمْ عِلْمًا وَ أَفْضَلَهُمْ حِلْمًا قَالَتْ بَلَى رَضِيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَ قَدْ رَوَى هَذَا الْخَبَرَ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ
الْحَمِيدِ وَ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ صَالِحٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ بِالْفَاظِهِ أَوْ نَحْوِهَا

ص: ٢٢٧

١٥، ١٤- رَوَى عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ عَنِ الْحَكَمِ بْنِ ظَهَيْرٍ عَنِ السُّدِّيِّ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ خَطَبَا فَاطَمَةَ عَ فَرَدَّهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَ وَقَالَ لَمْ أَوْمَرْ بِذَلِكَ فَخَطَبَهَا عَلِيُّ عَ فَرَوَّجَهُ إِيَّهَا وَقَالَ لَهَا زَوَّجْتُكَ أَقْدَمَ الْأُمَّةِ إِسْلَامًا

و ذكر تمام الحديث قال و قد روى هذا الخبر جماعه من الصحابه منهم أسماء بنت عميس و أم أيمن و ابن عباس و جابر بن عبد الله .

١٤، ١- قَالَ وَقَدْ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ حَيْدِهِ أَبِي رَافِعٍ قَالَ أَتَيْتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّيِّدِ أَوْدَعَهُ فَلَمَّا أَرَدْتُ الْإِنصَارَ رَافَ قَالَ لِي وَ لِلنَّاسِ مَعِيَ سَيَتَكُونُ فِتْنَةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ عَلَيْكُمْ بِالشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَاتَّبِعُوهُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَ يَقُولُ لَهُ أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِي وَ أَوَّلُ مَنْ يُصَيِّفُنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ أَنْتَ الصَّدِيقُ الْمَأْكِبُ وَ أَنْتَ الْفَارُوقُ الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ وَ أَنْتَ يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَيْالُ يَعْسُوبُ الْكَافِرِينَ وَ أَنْتَ أَخِي وَ وَزِيرِي وَ خَيْرٌ مَنْ أَتْرَكَ بَعْدِي تَقْضِي دِينِي وَ تُنْجِرُ مَوْعِدِي

قَالَ وَقَدْ رَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثُمَيْرٍ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ صَالِحٍ عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ

أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَ أَخُو رَسُولِهِ وَ أَنَا الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ لَا يَقُولُهَا غَيْرِي إِلَّا كَذَّابٌ وَ لَقَدْ صَلَّيْتُ قَبْلَ النَّاسِ سَبْعَ سِنِينَ .

١- رَوَتْ مُعَاذَةَ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَوِيَّةُ قَالَتْ سَمِعْتُ عَلِيًّا عَ يَخْطُبُ عَلَيَّ عَلَى مِثْرِ الْبَصْرَةِ وَ يَقُولُ أَنَا الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ آمَنْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤْمِنَ أَبُو بَكْرٍ وَ أَسَلَمْتُ قَبْلَ أَنْ يُسَلِمَ .

رَوَى حَبَّهُ بْنُ جُوَيْنٍ الْعُرْنِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيًّا ع يَقُولُ

أَنَا أَوَّلُ رَجُلٍ أَسْلَمَ

ص: ٢٢٨

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص : رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كَهَيْلٍ عَنْ حَبَّةَ بْنِ جُوَيْنٍ وَ

٣٧٣١

١٤,١- رَوَى عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ الْخَرَّازُ (١) عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَزَارٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَامِرٍ عَنْ أَبِي الْجَحَافِ عَنْ حَكِيمِ مَوْلَى زَادَانَ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا ع يَقُولُ صَلَّيْتُ قَبْلَ النَّاسِ سَبْعَ سَنِينَ وَ كُنَّا نَسْجُدُ وَ لَا نَزَكُعُ وَ أَوَّلَ صَلَاةٍ رَكَعْنَا فِيهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا قَالَ أَمِزْتُ بِهِ

.

و

٣٧٣٢

١٤,١- رَوَى إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ قَيْسِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ص يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَ صَلَّى عَلَيَّ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ بَعْدَهُ .

و فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى

٣٧٣٣

١٤,١- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ اسْتَنْبَيْتُ النَّبِيَّ ص يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَ أَسْلَمَ عَلَيَّ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ بَعْدَهُ .

و

٣٧٣٤

١٤,١- رَوَى أَبُو رَافِعٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا غَدَاةَ الْإِثْنَيْنِ وَ صَلَّتْ خَدِيجَةُ آخِرَ نَهَارِ يَوْمِهَا ذَلِكَ وَ صَلَّى عَلَيَّ ع يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ غَدَاً ذَلِكَ الْيَوْمَ .

قال و قد روى بروايات مختلفة كثيرة متعدده عن زيد بن أرقم و سلمان الفارسي و جابر بن عبد الله و أنس بن مالك أن عليا ع أول من أسلم و ذكر الروايات و الرجال بأسمائهم و

٣٧٣٥

رَوَى سَلَمَةُ بْنُ كَهَيْلٍ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ أَبُو جَعْفَرٍ فِي الْكِتَابِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ أَوْلَكُمْ وَرُودًا عَلَيَّ الْحَوْضَ أَوْلَكُمْ إِسْلَامًا عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

١٤، ١- رَوَى يَاسِينُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَيْمَنَ عَنْ أَبِي حَازِمٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

ص: ٢٢٩

(١ - ١) ب: «الْحَرَارُ».

قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَقُولُ كَفَّوْا عَنِّي بِنِ أَبِي طَالِبٍ فَإِنِّي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص يَقُولُ (١) فِيهِ خِصَالًا لَوْ أَنَّ خَصِيْلَهُ مِنْهَا فِي جَمِيعِ آلِ الْخَطَّابِ كَانَ أَحَبَّ لِي مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ كُنْتُ ذَاتَ يَوْمٍ وَ أَبُو بَكْرٍ وَ عُثْمَانُ وَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص نَطَلْبُهُ فَأَتَتْهُنَا إِلَى بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ فَوَحَّيْنَا عَلِيًّا مُتَّكِئًا عَلَى نِجَافِ الْبَابِ (٢) فَقُلْنَا أَرَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ص فَقَالَ هُوَ فِي الْبَيْتِ رُوِيَ دُكُم فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص فَسَبَّزْنَا حَوْلَهُ فَاتَّكَأَ عَلَى عَلِيٍّ ع وَ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِهِ فَقَالَ أَبَشِّرْ يَا عَلِيُّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ إِنَّكَ مُخَاصِمٌ وَ إِنَّكَ تَخْصِمُ (٣) النَّاسَ بِسَبِّعٍ لَا يُجَارِيكَ أَحَدٌ فِي وَاحِدِهِ مِنْهُمْ أَنْتَ أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا وَ أَعْلَمُهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ

و ذكر الحديث.

قال و قد روى أبو سعيد الخدرى عن النبى ص مثل هذا الحديث.

٣٧٣٧

قَالَ رَوَى أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ عَن رَسُولِ اللَّهِ ص أَنَّهُ قَالَ لَقَدْ صَيَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ عَلِيَّ وَ عَلِيَّ عَلِيٌّ ع سَبِّعَ سَتِينِينَ وَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يُصَلِّ مَعِيَ رَجُلٌ فِيهَا غَيْرُهُ.

٣٧٣٨

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَأَمَّا مَا رَوَاهُ الْجَاحِظُ مِنْ قَوْلِهِ ص إِنَّمَا تَبْعِنِي حُرٌّ وَ عَبْدٌ.

فإنه لم يسم فى هذا الحديث أبا بكر و بلالا و كيف و أبو بكر لم يشتر بلالا إلا بعد ظهور الإسلام بمكّه فلما أظهر بلال إسلامه عذبه أميه بن خلف و لم يكن ذلك حال إخفاء رسول الله ص الدعوه و لا فى ابتداء أمر الإسلام .

ص : ٢٣٠

١-١) ساقطه من ا.

٢-٢) النجاف: هو ما بنى ناتنا فوق الباب.

٣-٣) تخصم الناس: تغلبهم فى الخصومه.

و قد قيل إنه ع إنما عنى بالحرّ عليّ بن أبي طالب و بالعبد زيد بن حارثه .

٣٧٣٩

١،١٤- وَ رَوَى ذَاكَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ وَ قَدْ رَوَى إِسْمَاعِيلُ بْنُ نَصِيرٍ الصَّفَّارُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ ذَكْوَانَ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ قَالَ الْحَجَّاجُ لِلْحَسَنِ وَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ وَ ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مَا تَقُولُ أَنْتَ يَا حَسَنُ فَقَالَ مَا أَقُولُ هُوَ أَوَّلُ مَنْ صَيَلَنِي إِلَى الْقَبْلَةِ وَ أَجَابَ دَعْوَةَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ إِنَّ لِعَلِيِّ مَنَزَلَهُ مِنْ رَبِّهِ وَ قَرَابَتَهُ مِنْ رَسُولِهِ وَ قَدْ سَبَقَتْ لَهُ سَوَابِقُ لَا يَسْتَطِيعُ رَدَّهَا أَحَدٌ فَغَضِبَ الْحَجَّاجُ غَضَبًا شَدِيدًا وَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ فَدَخَلَ بَعْضَ الْبُيُوتِ وَ أَمَرَ بِصَرْفِنَا.

قَالَ الشَّعْبِيُّ وَ كُنَّا جَمَاعَةً مَا مِنَّا إِلَّا مَنْ نَالَ مِنْ عَلِيِّ ع مُقَارَبَةً لِلْحَجَّاجِ غَيْرِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ

٣٧٤٠

١- وَ رَوَى مُحَرِّزُ بْنُ هِشَامٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ مَا لَنَا لَا تَرَكَ تُثْنِي عَلِيَّ وَ تُقْرِظُهُ قَالَ كَيْفَ وَ سَيْفُ الْحَجَّاجِ يَقْطُرُ دَمًا إِنَّهُ لَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ وَ حَسْبُكُمْ بِذَلِكَ

قال فهذه الأخبار.

و أما الأشعار المروية فمعروفه كثيره منتشره فمنها قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب مجيبا للوليد بن عقبه بن أبي معيط و إن ولي الأمر بعد محمد

و قال خزيمة بن ثابت في هذا وصي رسول الله من دون أهله

ص: ٢٣١

و قال أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس حين بويع أبو بكر ما كنت أحسب أن الأمر منصرف

و قال أبو الأسود الدؤلي يهدد طلحه و الزبير و إن عليا لكم مصحر

و قال سعيد بن قيس الهمداني يرتجز بصفين هذا علي و ابن عم المصطفى أول من أجابه فيما روى هو الإمام لا يبالى من غوى.

و قال زفر بن يزيد بن حذيفه الأسدي فحوطوا عليا و انصروه فإنه قال و الأشعار كالأخبار إذا امتنع في مجيء القبيلين التواطؤ و الاتفاق كان و رودهما حجه فأما قول الجاحظ فأوسط الأمور أن نجعل إسلامهما معا فقد أبطل بهذا ما احتج به لإمامه أبي بكر لأنه احتج بالسبق و قد عدل الآن عنه.

قال أبو جعفر و يقال لهم لسنا نحتاج من ذكر سبق علي ع إلا مجامعتكم إيانا على أنه أسلم قبل الناس و دعواكم أنه أسلم و هو طفل دعوى غير مقبولة لا بحجه.

فإن قلتم و دعوتكم أنه أسلم و هو بالغ دعوى غير مقبولة إلا بحجه

قلنا قد ثبت إسلامه بحكم إقراركم و لو كان طفلاً لكان في الحقيقة غير مسلم لأن اسم الإيمان و الإسلام و الكفر و الطاعة و المعصية إنما يقع على البالغين دون الأطفال و المجانين و إذا أطلقتم و أطلقنا اسم الإسلام فالأصل في الإطلاق الحقيقة كيف

٣٧٤١

وَ قَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَ أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِي وَ أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَنِي.

٣٧٤٢

وَ قَالَ لِفَاطِمَةَ زَوْجَتِكَ أَقَدَمَهُمْ سِلْمًا أَوْ قَالَ إِسْلَامًا .

فإن قالوا إنما دعاه النبي ص إلى الإسلام على وجه العرض لا التكليف.

قلنا قد وافقتمونا على الدعاء و حكم الدعاء حكم الأمر و التكليف ثم ادعيتم أن ذلك كان على وجه العرض و ليس لكم أن تقبلوا معنى الدعاء عن وجهه (١) إلا لحجه.

فإن قالوا لعله كان على وجه التأديب و التعليم كما يعتمد مثل ذلك مع الأطفال قلنا إن ذلك إنما يكون إذا تمكن الإسلام بأهله أو عند النشوء عليه و الولاده فيه فأما في دار الشرك فلا يقع مثل ذلك لا سيما إذا كان الإسلام غير معروف و لا معتاد بينهم على أنه ليس من سنة النبي ص دعاء أطفال المشركين إلى الإسلام و التفريق بينهم و بين آبائهم قبل أن يبلغوا الحلم.

و أيضا فمن شأن الطفل اتباع أهله و تقليد أبيه و المضى على منشئه و مولده و قد كانت منزله النبي ص حينئذ منزله ضيق و شدة و وحده و هذه منازل لا ينتقل إليها إلا من ثبت الإسلام عنده بحجه و دخل اليقين قلبه بعلم و معرفه.

فإن قالوا إن عليا كان يالف النبي ص فوافقته على طريق المساعدة له قلنا إنه و إن كان يالفه أكثر من أبويه و إخوته و عمومته و أهل بيته و لم يكن الإلف ليخرجه عما نشأ عليه و لم يكن الإسلام مما غدى (٢) به و كرر على سمعه

ص: ٢٣٣

١-١) تكمله من ا.

٢-٢) ب: «عدى»، تصحيف، و أثبت ما في ا.

لأن الإسلام هو خلع الأنداد و البراءه ممن أشرك بالله و هذا لا يجتمع فى اعتقاد طفل.

و من العجب قولُ الْعَبَّاسِ لِعَفِيفِ بْنِ قَيْسٍ نَنْتَظِرُ الشَّيْخَ وَ مَا يَصْنَعُ فَإِذَا كَانَ الْعَبَّاسُ وَ حَمْزُهُ يَنْتَظِرَانِ أَبَا طَالِبٍ وَ يَصْدِرَانِ عَنْ رَأْيِهِ فَكَيْفَ يَخَالِفُهُ ابْنُهُ وَ يُوَثِّرُ الْقَلْبَ عَلَى الْكَثْرَةِ وَ يَفَارِقُ الْمَحْبُوبَ إِلَى الْمَكْرُوهِ وَ الْعِزَّ إِلَى الذَّلِّ وَ الْأَمْنَ إِلَى الْخَوْفِ عَنْ غَيْرِ مَعْرِفِهِ وَ لَا عِلْمَ بِمَا فِيهِ.

فأما قوله إن المقلل يزعم أنه أسلم و هو ابن خمس سنين و المكثر يزعم أنه أسلم و هو ابن تسع سنين فأول ما يقال فى ذلك إن الأخبار جاءت فى سنه ع يوم أسلم على خمسه أقسام فجعلناه فى قسمين القسم الأول الذين قالوا أسلم و هو ابن خمس عشره سنه

٣٧٤٣

١٤,١- حَدَّثَنَا بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَسَدِيُّ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ بَشِيرٍ الْقُرَشِيِّ عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ سَأَلْتُ خَبَّابَ بْنَ الْأَرْتِّ عَنْ إِسْلَامِ عَلِيٍّ فَقَالَ أُسْلِمَ وَ هُوَ ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سِنَةً وَ لَقَدْ رَأَيْتُهُ يُصَلِّي قَبْلَ النَّاسِ مَعَ النَّبِيِّ ص وَ هُوَ يَوْمَئِذٍ بِالْغِ مَسْتَحْكَمُ الْبُلُوغِ .

٣٧٤٤

١- وَ رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أُسْلِمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ هُوَ ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً .

القسم الثانى الذين قالوا إنه أسلم و هو ابن أربع عشره سنه

٣٧٤٥

١٤,١- رَوَاهُ أَبُو قَتَادَةَ الْحَرَّانِيُّ عَنْ أَبِي حَازِمٍ الْأَعْرَجِ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ كُنَّا نَعْبُدُ الْحِجَارَةَ وَ نَشْرَبُ الْخَمْرَ وَ عَلَيْنَا مِنْ أَبْنَاءِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً قَائِمٌ مَعِ النَّبِيِّ ص لَيْلًا وَ نَهَارًا وَ قُرَيْشٌ يَوْمَئِذٍ تُسَافِهِ رَسُولَ اللَّهِ ص مَا يَذُبُّ عَنْهُ إِلَّا عَلِيٌّ ع .

ص: ٢٣٤

١- وَ رَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ أَسْلَمَ عَلِيُّ وَ هُوَ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً .

القسم الثالث الذين قالوا أسلم و هو ابن إحدى عشرة سنة

١- رَوَاهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقِّيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَمْعَانَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ع أَنَّ عَلِيًّا حِينَ أَسْلَمَ كَانَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً .

و

١- رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ الْمَدَنِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ ع قَالَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ هُوَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَ هُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَ عَشْرِينَ سَنَةً .

القسم الرابع الذين قالوا إنه أسلم و هو ابن عشر سنين

١- رَوَاهُ نُوحُ بْنُ دَرَّاجٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ أَوَّلُ ذَكَرٍ آمَنَ وَ صَدَّقَ بِالنَّبِيِّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ع وَ هُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ ثُمَّ أَسْلَمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ثُمَّ أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ وَ هُوَ ابْنُ سِتٍّ وَ ثَلَاثِينَ سَنَةً فِيمَا بَلَّغْنَا .

القسم الخامس الذين قالوا إنه أسلم و هو ابن تسع سنين

١- رَوَاهُ الْحَسَنُ بْنُ عَتْبَسَةَ الْوَرَّاقُ عَنْ سُلَيْمِ مَوْلَى الشَّعْبِيِّ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ هُوَ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ وَ كَانَ لَهُ يَوْمَ قُبُضِ رَسُولِ اللَّهِ ص تِسْعٌ وَ عَشْرُونَ سَنَةً .

قال شيخنا أبو جعفر فهذه الأخبار كما تراها فإما أن يكون الجاحظ جهلها أو قصد العناد.

فأما قوله فالقياس أن نأخذ بأوسط الأمرين من الروايتين فنقول إنه أسلم و هو ابن سبع سنين فإن هذا تحكم منه و يلزمه مثله في رجل ادعى قبل رجل عشرة

دراهم فأنكر ذلك و قال إنّما يستحق قبلي أربعة دراهم فينبغي أن نأخذ الأمر المتوسط و يلزمه سبعة دراهم و يلزمه في أبي بكر حيث قال قوم كان كافرا و قال قوم كان إماما عادلا أن نقول أعدل الأقبول أو سبطها و هو منزله (١) بين المنزلتين فنقول كان فاسقا ظالما و كذلك في جميع الأمور المختلف فيها.

فأما قوله و إنّما يعرف حق ذلك من باطله بأن نحصى سنى و لايه عثمان و عمر و أبي بكر و سنى الهجره و مقام النبى ص بمكّه بعد الرساله إلى أن هاجر فيقال له لو كانت الروايات متفقه على هذه التاريخات لكان لهذا القول مساغ و لكن الناس قد اختلفوا في ذلك

٣٧٥١

١٤- فَقِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَقَامَ بِمَكَّةَ بَعْدَ الرَّسَالَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ .

٣٧٥٢

١٤- وَ قِيلَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا . وَ أَكْثَرَ النَّاسِ يَرَوُونَهُ

٣٧٥٣

١٤- وَ قِيلَ عَشْرَ سِنِينَ رَوَاهُ عَزُوهُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَ هُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ . وَ اختلفوا في سن رسول الله ص فقال قوم كان ابن خمس و ستين و قيل كان ابن ثلاث و ستين و قيل كان ابن ستين و اختلفوا في سن على ع ف قيل كان ابن سبع و ستين و قيل كان ابن خمس و ستين و قيل ابن ثلاث و ستين و قيل ابن ستين و قيل ابن تسع و خمسين.

فكيف يمكن مع هذه الاختلافات تحقيق هذه الحال و إنّما الواجب أن يرجع إلى إطلاق قولهم أسلم على فإن هذا الاسم لا يكون مطلقا إلا على البالغ كما لا يطلق اسم الكافر إلا على البالغ على أن ابن إحدى عشره سنه يكون بالغا و يولد له الأولاد فقد روت الرواه أن عمرو بن العاص لم يكن أسن من ابنه عبد الله

ص: ٢٣٦

إلا باثنتي عشرة سنة و هذا يوجب أنه احتلم و بلغ في أقل من إحدى عشرة سنة.

و روى أيضا أن محمّد بن عبد الله بن العباس كان أصغر من أبيه [على بن]

عبد الله بن العباس بإحدى عشره سنه فيلزم الجاحظ أن يكون عبد الله بن العباس حين مات رسول الله ص غير مسلم على الحقيقه و لا مثاب و لا مُطِيع بالإسلام لأنه كان يومئذ ابنَ عَشْرٍ سِنِينَ

٣٧٥٤

١٤- رَوَاهُ هُشَيْمٌ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ تُوِّفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ أَنَا ابْنُ عَشْرٍ سِنِينَ .

قال الجاحظ فإن قالوا فلعله و هو ابن سبع سنين (١) أو ثمانى سنين (٢) قد بلغ من فطنته و ذكائه و صحه ليه و صدق حدسه (٣) و انكشاف العواقب له و إن لم يكن جرب الأمور و لا- فاتح الرجال و لا- نازع الخصوم ما يعرف به جميع ما يحب على البالغ معرفته و الإقرار به قيل (٤) لهم إنّما نتكلم على ظواهر الأحوال و ما شاهدنا عليه طبائع الأطفال فإننا وجدنا حكم ابن سبع سنين أو ثمان ما لم يعلم باطن أمره و خاصّه طبعه حكم الأطفال و ليس لنا أن نزيل ظاهر حكمه و الذى نعرف من حال أفناء جنسه بلعل و عسى لأنا و إن كنا لا ندرى لعله قد كان ذا فضيله فى الفطنه فلعله قد كان ذا نقص فيها.

هذا على تجويز أن يكون عليّ ع فى العيّب (٥) قد أسلم و هو ابن سبع أو ثمان إسلام البالغ غير أن الحكم على مجرى أمثاله و أشكاله الذين أسلموا و هم فى مثل سنه إذ كان إسلام هؤلاء عن تربيته الحاضن و تلقين القيم و رياضته السائس.

فأما عند التحقيق فإنه لا تجويز لمثل ذلك لأنه لو كان أسلم و هو ابن سبع

ص: ٢٣٧

١-١-١ (١-١) ساقط من ا.

١-١-٢ (١-١) ساقط من ا.

٣-٣ (٣) العثمانية: «قيل».

٤-٤ (٤) العثمانية: «المغيب».

أو ثمان وعرف فضل ما بين الأنبياء والكهنة وفرق ما بين الرسل والسحرة وفرق ما بين خبر النبي والمنجم وحتى عرف كيد الأريب (١) و موضع الحجج (٢) بعد غور المتنبئ (٣) كيف يلبس على العقلاء وتستمال عقول الدهماء وعرف الممكن في الطبع من الممتنع وما يحدث بالاتفاق مما يحدث بالأسباب وعرف قدر القوى وغايه الحيله و منتهى التمويه والخديعه وما لا يحتمل أن يحدثه إلا الخالق سبحانه وما يجوز على الله في حكمته مما لا يجوز و كيف التحفظ من الهوى والاحتراس من الخداع لكان كونه على هذه الحال وهذه مع فرط الصبا والحدائثه و قله التجارب و الممارسه خروجا من العاده و من المعروف مما عليه تركيب هذه الخلقه و ليس يصل أحد إلى معرفه نبي و كذب متنبئ حتى يجتمع فيه هذه المعارف التي ذكرناها و الأسباب التي وصفناها و فصلناها و لو كان على ع هذه الصفه و معه هذه الخاصيه لكان حججه على العامه و آيه تدل على النبوه و لم يكن الله عز و جل ليخصه بمثل هذه الأعجوبه إلا و هو يريد أن يحتج بها و يجعلها قاطعه لعذر الشاهد و حججه على الغائب و لو لا أن الله أخبر عن يحيى بن زكريا أنه آتاه الحكم صبيا و أنه أنطق عيسى في المهدي ما كانا في الحكم و لا في المغيب (٤) إلا كسائر الرسل و ما عليه جميع البشر فإذا لم ينطق لعلى ع بذلك قرآن و لا جاء الخبر به مجيء الحجج القاطعه و المشاهده القائمه فالمعلوم عندنا في الحكم أن طباعه كطباع عمته حمزه و العباس و هما أمس بمعدن جماع الخير منه أو كطباع جعفر و عقيل من رجال قومه و ساده رهطه و لو أن إنسانا ادعى مثل ذلك لأخيه جعفر أو لعمته حمزه و العباس ما كان عندنا في أمره إلا مثل ما عندنا فيه (٥) أجاب شيخنا أبو جعفر رحمه الله فقال هذا كله مبنى على أنه أسلم و هو ابن سبع أو ثمان و نحن قد بينا أنه أسلم بالغا ابن خمس عشره سنه أو ابن أربع عشره سنه على

ص: ٢٣٨

١-١) العثمانيه: «المريب».

٢-٢-٢) في الأصول: «و فقد التمييز»، و أثبت ما في العثمانيه.

٢-٢-٣) في الأصول: «و فقد التمييز»، و أثبت ما في العثمانيه.

٤-٤) العثمانيه ٦-٨.

أنا لو نزلنا على حكم الخصوم و قلنا ما هو الأشهر و الأكثر من الروايه و هو أنه أسلم و هو ابن عشر لم يلزم ما قاله الجاحظ لأن ابن عشر قد يستجمع عقله و يعلم من مبادئ المعارف ما يستخرج به كثيرا من الأمور المعقوله و متى كان الصبي عاقلا مميزا كان مكلفا بالعقليات و إن كان تكليفه بالشرعيات موقوفا على حد آخر و غايه أخرى فليس بمنكر أن يكون على ع و هو ابن عشر قد عقل المعجزه فلزمه الإقرار بالنبوه و أسلم إسلام عالم عارف لا إسلام مقلد تابع و إن كان ما نَسَقَهُ الْجَاحِظُ و عدده من معرفه السحر و النجوم و الفصل بينهما و بين النبوه و معرفه ما يجوز في الحكمه ممّا لا يجوز و ما لا يحدثه إلا الخالق و الفرق بينه و بين ما يقدر عليه القادرون بالقدره و معرفه التمويه و الخديعه و التلبيس و المماكره شرطاً في صحه الإسلام لما صح إسلام أبي بكر و لا- عمر و لا- غيرهما من العرب و إنّما التكليف لهؤلاء بالجمال و مبادئ المعارف لا بدقائقتها و الغامض منها و ليس يفتقر الإسلام إلى أن يكون المسلم قد فاتح الرجال و جرب الأمور و نازع الخصوم و إنّما يفتقر إلى صحه الغريزه و كمال العقل و سلامه الفطره ألا ترى أن طفلا لو نشأ في دار لم يعاشر الناس بها و لا فاتح الرجال و لا نازع الخصوم ثمّ كمل عقله و حصلت العلوم البديهيّه عنده لكان مكلفا بالعقليات.

فأما توهمه أن عليا ع أسلم عن تربيته الحاضن و تلقين القيم و رياضته السائس فلعمري إن محمّدا ص كان حاضنه و قيمه و سائسه و لكن لم يكن منقطعا عن أبيه أبي طالب و لا عن إخوته طالب و عقيل و جعفر و لا عن عمومته و أهل بيته و ما زال مخالطا لهم ممتزجا بهم مع خدمته لمحمد ص فما باله لم يمل إلى الشرك و عباده الأصنام لمخالطته إخوته و أباه و عمومته و أهله و هم كثير و محمد ص واحد و أنت تعلم أن الصبي إذا كان له أهل ذوو كثره و فيهم واحد

يذهب إلى رأى مفرد لا يوافقه عليه غيره منهم فإنه إلى ذوى الكثره أميل و عن ذى الرأى الشاذ المنفرد أبعد و على أن عليا ع لم يولد فى دار الإسلام و إنما ولد فى دار الشرك و رَبِّيَ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ و شاهد الأصنام و عاين بعينه أهله و رهطه يعبدونها فلو كان فى دار الإسلام لكان فى القول مجال و لقيبل إنه ولد بين المسلمين فإسلامه عن تلقين الظئر و عن سماع كلمه الإسلام و مشاهده شعاره لأنه لم يسمع غيره و لا خطر بباله سواه فلما لم يكن ولد كذلك ثبت أن إسلامه إسلام المميز العارف بما دخل عليه و لو لا أنه كذلك لما مدحه رسول الله ص بذلك و لا أرضى ابنته فاطمه لما وجدت من تزويجه

٣٧٥٥

بِقَوْلِهِ لَهَا زَوَّجْتُكَ أَقْدَمَهُمْ سِلْمًا.

و لا قرن إلى

٣٧٥٦

قَوْلِهِ وَ أَكْثَرَهُمْ عِلْمًا وَ أَعْظَمَهُمْ حِلْمًا.

و الحلم العقل و هذان الأمران غايه الفضل فلو لا أنه أسلم إسلام عارف عالم مميز لما ضم إسلامه إلى العلم و الحلم اللذين وصفه بهما و كيف يجوز أن يمدحه بأمر لم يكن مثابا عليه و لا معاقبا به لو تركه و لو كان إسلامه عن تلقين و تربيته لما افتخر هو ع به (١) على رءوس الأشهاد و لا خطب على المنبر و هو بين عدو و محارب و خاذل منافق

٣٧٥٧

فَقَالَ

أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَ أَخُو رَسُولِهِ وَ أَنَا الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ وَ الْفَارُوقُ الْأَعْظَمُ صِلَيْتُ قَبْلَ النَّاسِ سَبْعَ سِنِينَ وَ أَسْلِمْتُ قَبْلَ إِسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ وَ آمَنْتُ قَبْلَ إِيْمَانِهِ .

فهل بلغكم أن أحدا من أهل ذلك العصر أنكر ذلك أو عابه أو ادعاه لغيره أو قال له إنما كنت طفلا أسلمت (٢) على تربيته محمد ص ذلك و تلقينه إياك كما يعلم الطفل الفارسيه و التركييه منذ يكون رضيعا فلا فخر له فى تعلم ذلك و خصوصا فى عصر قد حارب فيه أهل البصره و الشام و النهروان و قد اعتورته الأعداء و هجته الشعراء فقال فيه النعمان بن بشير

ص : ٢٤٠

(١-١) تكمله من ا.

(٢-٢) «عن».

لقد طلب الخلافه من بعيد

و قال فيه أيضا بعض الخوارج دسنا له تحت الظلام ابن ملجم

و قال عمران بن حطان يمدح قاتله يا ضربه من تقى ما أراد بها فلو وجد هؤلاء سييلا إلى دحض حجه فيما كان يفخر به من تقدم إسلامه لبدءوا بذلك و تركوا ما لا معنى له.

و قد أوردنا ما مدحه الشعراء به من سبقه إلى الإسلام فكيف لم يرد على هؤلاء الذين مدحوه بالسبق شاعر واحد من أهل حربته و لقد قال فى أمّهات الأولاد قولاً خالف فيه عمر فذكروه بذلك و عابوه فكيف تركوا أن يعيروه بما كان يفتخر به ممّا لا فخر فيه عندهم و عابوه بقوله فى أمّهات الأولاد.

ثمّ يقال له خبرنا عن عبد الله بن عمر و قد أجازة النبيّ ص يوم الخندق و لم يجزه يوم أحد هل كان يميز ما ذكرته و هل كان يعلم فرق ما بين النبيّ و المتنبئ و يفصل بين السحر و المعجزه إلى غيره ممّا عدت و فصلت.

فإن قال نعم و تجاسر على ذلك قيل له فعلى ع بذلك أولى من ابن عمر لأنّه أذكى و أفطن بلا خلاف بين العقلاء و أنى يشك فى ذلك و قد رويتم أنه

ص: ٢٤١

لم يميز بين الميزان و العود بعد طول السن و كثره التجارب و لم يميز أيضا بين إمام الرشد و إمام الغي فإنه امتنع من بيعه على ع و طرق على الحجاج بابه ليلا ليبيع لعبد الملك كيلا يبيت تلك الليله بلا إمام زعم لأنه

٣٧٥٨

رُويَ عَنِ النَّبِيِّ ص أَنَّهُ قَالَ مَنْ مَاتَ وَ لَا إِمَامَ لَهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً .

و حتى بلغ من احتقار الحجاج له و استيذاله حاله أن أخرج رجله من الفراش فقال أصفق بيدك عليها فذلك تمييزه بين الميزان و العود و هذا اختياره في الأئمة و حال علي ع في ذكائه و فطنته و توقد حسه و صدق حدسه معلومه مشهوره فإذا جاز أن يصح إسلام ابن عمر و يقال عنه إنه عرف تلك الأمور التي سردها الجاحظ و نسقها و أظهر فصاحته و تشدقه فيها فعلى بمعرفه ذلك أحق و بصحة إسلامه أولى.

و إن قال لم يكن ابن عمر يعلم و يعرف ذلك فقد أبطل إسلامه و طعن في رسول الله ص حيث حكم بصحة إسلامه و أجازه يوم الخندق

٣٧٥٩

لأنه ع كَانَ قَالَ لَا أُجِيزُ إِلَّا الْبَالِغَ الْعَاقِلَ .

و لذلك لم يجزه يوم أحد .

ثم يقال له إن ما نقوله في بلوغ علي ع الحد الذي يحسن فيه التكليف العقلي بل يجب و هو ابن عشر سنين ليس بأعجب من مجيء الولد لسته أشهر و قد صحح ذلك أهل العلم و استنبطوه من الكتاب و إن كان خارجا من التعارف و التجارب و العاده و كذلك مجيء الولد لسنتين خارج أيضا عن التعارف و العاده و قد صححه الفقهاء و الناس.

و يروى أن معاذ لما نهى عمر عن رجم الحامل تركها حتى ولدت غلاما قد نبتت ثنيتها فقال أبوه ابني و رب الكعبه فثبت ذلك سنه يعمل بها الفقهاء و قد وجدنا العاده تقضى بأن الجارية تحيض لاثنتي عشره سنه و أنه أقل سن تحيض فيه المرأة و قد

ص: ٢٤٢

يكون في الأقل نساء يحضن لعشر و لتسع و قد ذكر ذلك الفقهاء و قد قال الشافعي في اللعان لو جاءت المرأة بحمل و زوجها صبي له دون عشر سنين لم يكن ولدا له لأن من لم يبلغ عشر سنين من الصبيان لا يولد له و إن كان له عشر سنين جاز أن يكون الولد له و كان بينهما لعان إذا لم يقر به.

و قال الفقهاء أيضا إن نساء تَهَامَهُ يَحِضْنَ لتسع سنين لشده الحرّ ببلادهن.

قال الجاحظ و لو لم يعرف باطل هذه الدعوى من أثر التقوى و تحفظ من الهوى إلا بترك على ع ذكر ذلك لنفسه و الاحتجاج به على خصمه و قد نازع الرجال و ناوى الأكفاء و جامع أهل الشورى لكان كافيا و متى لم تصح لعلى ع هذه الدعوى في أيامه و لم يذكرها أهل عصره فهي عن ولده أعجز و منهم أضعف.

و لم ينقل أن عليا ع احتج بذلك في موقف و لا- ذكره في مجلس و لا- قام به خطيبا و لا أدلى به واثقا لا سيما و قد رضىه الرسول ص عندكم مفزعا و معلما و جعله للناس إماما و لا ادعى له أحد ذلك في عصره كما لم يدعه لنفسه حتى يقول إنسان واحد الدليل على إمامته أن النبي ص دعاه إلى الإسلام أو كلفه التصديق قبل بلوغه ليكون ذلك آية للناس في عصره و حجه له و لولده من بعده فهذا كان أشدّ على طلحه و الزبير و عائشه من كل ما ادعاه من فضائله و سوابقه و ذكر قرابته (١).

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله إن مثل الجاحظ مع فضله و علمه لا يخفى عليه كذب

ص: ٢٤٣

هذه الدعوى و فسادها و لكنه يقول ما يقوله تعصبا و عنادا و قد روى الناس كافه افتخار على ع بالسبق إلى الإسلام و أن النبي ص استنبي يوم الإثنين و أسلم على يوم الثلاثاء

٣٧٤٠

وَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ

صَلَّيْتُ قَبْلَ النَّاسِ سَبْعَ سِنِينَ .

و أنه ما زال يقول أنا أول من أسلم و يفتخر بذلك و يفتخر له به أولياؤه و مادحوه و شيعته فى عصره و بعد وفاته و الأمر فى ذلك أشهر من كل شهير و قد قدمنا منه طرفا و ما علمنا أحدا من الناس فيما خلا استخف بإسلام على ع و لا تهاون به و لا زعم أنه أسلم إسلام حدث غرير و طفل صغير و من العجب أن يكون مثل العباس و حمزه ينتظران أبا طالب و فعله ليصدرا عن رأيه ثم يخالفه على ابنه لغير رغبه و لا- رهبه يؤثر القله على الكثره و الذل على العزه من غير علم و لا- معرفه بالعاقبه و كيف ينكر الجاحظ و العثمانيه أن رسول الله ص دعاه إلى الإسلام و كلفه التصديق.

٣٧٤١

١٤١- وَقَدْ رُوِيَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ كَلَّفَهُ فِي مَبْدَأِ الدَّعْوَةِ قَبْلَ ظُهُورِ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ وَ انْتِشَارِهَا بِمَكَّةَ أَنْ يَصْنَعَ لَهُ طَعَامًا وَ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ بَنَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَصْنَعَ لَهُ الطَّعَامَ وَ دَعَاهُمْ لَهُ فَخَرَجُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَ لَمْ يُنْذِرْهُمْ ص لِكَلِمَةِ قَالَهَا عُمُّ أَبُو لَهَبٍ فَكَلَّفَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي أَنْ يَصْنَعَ مِثْلَ ذَلِكَ الطَّعَامِ وَ أَنْ يَدْعُوَهُمْ ثَانِيَةً فَصْنَعَهُ وَ دَعَاهُمْ فَأَكَلُوا ثُمَّ كَلَّمَهُمْ ص فَدَعَاهُمْ إِلَى الدِّينِ وَ دَعَاهُ مَعَهُمْ لِأَنَّهُ مِنْ بَنَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ثُمَّ ضَمِنَ لِمَنْ يُوَازِرُهُ مِنْهُمْ وَ يَنْصُرُهُ عَلَى قَوْلِهِ أَنْ يَجْعَلَهُ أَخَاهُ فِي الدِّينِ وَ وَصِيَّتُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ وَ خَلِيفَتُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَأَمْسَى كُفُّهُمْ وَ أَجَابَهُ هُوَ وَحْدَهُ وَ قَالَ أَنَا أَنْصُرُكَ عَلَى مَا جِئْتَ بِهِ وَ أُوَازِرُكَ وَ أَبَايُكَ فَقَالَ لَهُمْ لَمَّا رَأَى مِنْهُمْ الْخِذْلَانَ وَ مِنْهُ النَّصِيرَ وَ شَاهِدَ مِنْهُمْ الْمَعْصِيَةَ وَ مِنْهُ الطَّاعَةَ وَ عَايَنَ مِنْهُمْ الْإِبَاءَ وَ مِنْهُ الْإِجَابَةَ هَذَا أَخِي وَ وَصِيَّتِي وَ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي فَقَامُوا يَسْخَرُونَ وَ يَضْحَكُونَ وَ يَقُولُونَ لِأَبِي طَالِبٍ أَطْعِ ابْنَكَ فَقَدْ أَمَرَهُ عَلَيْكَ

فهل يكلف عمل

ص: ٢٤٤

الطعام و دعاء القوم صغير مميز و غر غير عاقل و هل يؤتمن على سر النبوه طفل ابن خمس سنين أو ابن سبع و هل يدعى فى جملة الشيوخ و الكهول إلا عاقل لبيب و هل يضع رسول الله ص يده فى يده و يعطيه صفاقه يمينه بالأخوه و الوصيه و الخلافه إلا و هو أهل لذلك بالغ حد التكليف محتمل لولايه الله و عداوه أعدائه و ما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه و لم يلصق بأشكاله و لم ير مع الصبيان فى ملاعبهم بعد إسلامه و هو كأحدهم فى طبقتهم كبعضهم فى معرفته.

و كيف لم ينزع إليهم فى ساعه من ساعاته فيقال دعاه داعى الصبا و خاطر من خواطر الدنيا و حملته الغره و الحدائه على حضور لهوهم و الدخول فى حالهم بل ما رأيناه إلا ماضيا على إسلامه مصمما فى أمره محققا لقوله بفعله قد صدق إسلامه بعفاهه و زهده و لصق برسول الله ص من بين جميع من بحضرته فهو أمينه و أليفه فى دنياه و آخرته و قد قهر شهوته و جاذب خواطره صابرا على ذلك نفسه لما يرجو من فوز العاقبه و ثواب الآخره و قد ذكر هوع فى كلامه و خطبه بدء حاله و افتتاح أمره

٣٧٤٢

١٤,١- حَيْثُ أَسْلِمَ لَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ص الشَّجَرَةَ فَأَقْبَلَتْ تَخَذُ الْأَرْضَ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ سَاحِرٌ خَفِيفُ السَّحْرِ فَقَالَ عَلِيُّ ع يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْمِنُ بِكَ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ صَدَّقْتُكَ فِيمَا جِئْتَ بِهِ وَ أَنَا أَشْهَدُ أَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَصِدِّقًا لِنُبُوتِكَ وَ بُرْهَانًا عَلَى صِحَّةِ دَعْوَتِكَ .

فهل يكون إيمان قط أصح من هذا الإيمان و أوثق عقده و أحكم مره و لكن حق العثمانيه و غيظهم و عصبية الجاحظ و انحرافه مما لا حيله فيه ثم لينظر المنصف و ليدع الهوى جانبا ليعلم نعمه الله على على ع بالإسلام حيث أسلم على الوضع الذى أسلم عليه فإنه لو لا الألطاف التى خص بها و الهدايه التى منحها لما كان إلا كبعض أقارب محمد ص و أهله فقد كان ممازجا له كممازجته و مخالطا له كمخالطه كثير من أهله و رهطه و لم يستجب منهم

ص: ٢٤٥

أحد له إلا بعد حين و منهم من لم يستجب له أصلاً فإن جعفر أع كان ملتصقاً به و لم يسلم حينئذ و كان عتبه بن أبي لهب ابن عمه و صهره زوج ابنته و لم يصدق بل كان شديداً عليه و كان لخديجه بنون من غيره و لم يسلموا حينئذ و هم ربائبه (١) و معه فى دار واحده و كان أبو طالب أباه فى الحقيقه و كافله و ناصره و المحامى عنه و من لولاه لم تقم له قائمه و مع ذلك لم يسلم فى أغلب الروايات و كان العباس عمه و صنو أبيه و كالقرين له فى الولاده و المنشأ و التربيه و لم يستجب له إلا بعد حين طويل و كان أبو لهب عمه و كدمه و لحمه و لم يسلم و كان شديداً عليه فكيف ينسب إسلام على ع إلى الإلف و التربيه و القرابه و اللحمه و التلقين و الحضانه و الدار الجامعه و طول العشره و الأوس و الخلوه و قد كان كل ذلك حاصلًا لهؤلاء أو لكثير منهم و لم يهتد أحد منهم إذ ذاك بل كانوا بين من (٢) جحد و كفر و مات على كفره و من أبطأ و تأخر و سبق بالإسلام و جاء سكينتا (٣) و قد فاز بالمتزله غيره.

و هل يدلّ تأمل حال على ع مع الإنصاف إلا على أنه أسلم لأنه شاهد الأعلام و رأى المعجزات و شم ريح النبوه و رأى نور الرساله و ثبت اليقين فى قلبه بمعرفه و علم و نظر صحيح لا بتقليد و لا حميه و لا رغبه و لا رهبه إلا فيما يتعلق بأمر الآخره.

قال الجاحظ فلو أن علياً كان بالغاً حيث أسلم لكان إسلام أبى بكر و زيد بن حارثه و خباب بن الأرت أفضل من إسلامه لأن إسلام المُقْتَضَبِ (٤) الذى لم يعتد به و لم يعود به و لم يُمَرَّنْ عليه أفضل من إسلام الناشئ الذى رُبِّيَ فيه و نشأ و حجب

ص: ٢٤٦

١- (١) الرِّبَائِبُ: أولاد الزوج.

٢- (٢) من ا.

٣- (٣) السكيت: الفرس يجيء آخر الحلبه.

٤- (٤) المقتضب: غير المستعد للشيء.

إليه وذلك لأن صاحب الترييه يبلغ حيث يبلغ وقد أسقط إلفه عنه مؤنه الرويه و الخاطر و كفاه علاج القلب و اضطراب النفس و زيد و خباب و أبو بكر يعانون من كلفه النظر و مؤنه التأمل و مشقه الانتقال من الدين الذى قد طال إلفهم له ما هو غير خاف و لو كان على حيث أسلم بالغا مقتضبا كغيره ممن عددنا كان إسلامهم أفضل من إسلامه لأن من أسلم و هو يعلم أن له ظهرا كأبى طالب و رداء كبنى هاشم و موضعا فى بنى عبد المطلب ليس كالحليف و المولى و التابع و العسيف (١) و كالرجل من عرض قريش (٢) أو لست تعلم أن قريشا خاصه و أهل مكه عامه لم يقدروا على أذى النبى ص ما كان أبو طالب حيا و أيضا فإن أولئك اجتمع عليهم مع فراق الإلف مشقه الخواطر و على ع كان بحضره رسول الله ص يشاهد الأعلام فى كل وقت و يحضر منزل الوحي فالبراهين له أشد انكشافا و الخواطر على قلبه أقل اعتلاجا و على قدر الكلفه و المشقه يعظم الفضل و يكتر الأجر (٣) .

قال أبو جعفر رحمه الله ينبغى أن ينظر أهل الإنصاف هذا الفصل و يقفوا على قول الجاحظ و الأصم فى نصره العثمانيه و اجتهادهما فى القصد إلى فضائل هذا الرجل و تهجينها فمره يبطلان معناها و مره يتوصلان إلى حط قدرها فلينظر فى كل باب اعتراضا فيه أين بلغت حيلتهما و ما صنعا فى احتيالهما فى قصصهما و سجعهما أ ليس إذا تأملتها علمت أنها ألفاظ ملفقه بلا معنى و أنها عليها شجى و بلاء و إلا فما عسى أن تبلغ حيله الحاسد و يغنى كيد الكائد الشانئ (٤) لمن قد جل قدره عن النقص و أضاءت فضائله إضاءه الشمس و أين قول الجاحظ من دلائل السماء و براهين الأنبياء و قد علم

ص: ٢٤٧

١-١) العسيف: الأجير .

٢-٢) من عرض قريش؛ أى من دهمائهم .

٣-٣) العثمانيه ٢٢-٢٤، مع تصرف و اختصار كبير .

٤-٤) ب«الثانى»، تحريف و صوابه من ا .

الصغير والكبير والعالم والجاهل ممن بلغه ذكر على ع و علم مبعث النبي ص أن عليا ع لم يولد في دار الإسلام ولا غدى في حجر الإيمان وإنما استضافه رسول الله ص إلى نفسه سنة القحط والمجاعة و عمره يومئذ ثمانى سنين فمكث معه سبع سنين حتى أتاه جبرئيل بالرسالة فدعاه و هو بالغ كامل العقل إلى الإسلام فأسلم بعد مشاهدته المعجزة و بعد إعمال النظر والفكره و إن كان قد ورد في كلامه أنه صلى سبع سنين قبل الناس كلهم وإنما يعنى ما بين الثمان والخمس عشره و لم يكن حينئذ دعوه و لا رساله و لا ادعاء نبوه و إنما كان رسول الله ص يتعبد على مله إبراهيم و دين الحنيفيه و يتحنث و يجانب الناس و يعتزل و يطلب الخلوه و ينقطع في جبل حراء و كان على ع معه كالتابع و التلميذ فلما بلغ الحلم و جاءت النبي ص الملائكه و بشرته بالرساله دعاه فأجابته عن نظر و معرفه بالأعلام المعجزة فكيف يقول الجاحظ إن إسلامه لم يكن مُقْتَضَبًا.

و إن كان إسلامه ينقص عن إسلام غيره في الفضيله لما كان يمرن عليه من التعبد مع رسول الله ص قبل الدعوه لتكون طاعه كثير من المكلفين أفضل من طاعه رسول الله ص و أمثاله من المعصومين لأن العصمه عند أهل العدل لُطْفٌ يمنع من اختص به من ارتكاب القبيح فمن اختص بذلك اللطف كانت الطاعه عليه أسهل فوجب أن يكون ثوابه أنقص من ثواب من أطاع مع تلك الألطاف.

و كيف يقول الجاحظ إن إسلامه ناقص عن إسلام غيره و قد جاء في الخبر أنه أسلم يوم الثلاثاء و استنبي النبي ص يوم الإثنين فمن هذه حاله لم تكثر حجج الرساله على سماعه و لا تواترت أعلام النبوه على مشاهدته و لا تطاول الوقت عليه لتخف محنته و يسقط ثقل تكليفه بل بان فضله و ظهر حسن اختياره لنفسه إذ أسلم في حال بلوغه و عانى نوازع طبعه و لم يؤخر ذلك بعد سماعه.

وقد غمر الجاحظ في كتابه هذا أن أبا بكر كان قبل إسلامه مذكورا و رئيسا معروفا يجتمع إليه كثير من أهل مكة فينشدون الأشعار و يتذاكرون الأخبار و يشربون الخمر و قد كان سمع دلائل النبوة و حجج الرسل و سافر إلى البلدان و وصلت إليه الأخبار و عرف دعوى الكهنة و حيل السحرة و من كان كذلك كان انكشاف الأمور له أظهر و الإسلام عليه أسهل و الخواطر على قلبه أقل اعتلاجا و كل ذلك عون لأبي بكر على الإسلام و مسهل إليه سبيله و لذلك لما قال النبي ص أتيت بيت المقدس سأله أبو بكر عن المسجد و مواضعه فصدقه و بان له أمره و خفت مؤنته لما تقدم من معرفته بالبيت فخرج إذا إسلام أبي بكر على قول الجاحظ من معنى المقتضب و في ذلك رويم

٣٧٤٣

عنه ص

أَنَّهُ قَبَالَ مَرَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَى الْإِسْلَامِ إِلَّا وَكَانَ لَهُ تَرَدُّدٌ وَ تَبَوُّهُ إِلَّا مَرَا كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ فَإِنَّهُ لَمْ يَتَلَعَّنْهُ حَتَّى هَجَمَ بِهِ الْيَقِينُ إِلَى الْمَعْرِفَةِ وَ الْإِسْلَامِ .

فأين هذا و إسلام من خلى و عقله و ألجئ إلى نظره مع صغر سنه و اعتلاج الخواطر على قلبه و نشأته في ضد ما دخل فيه و الغالب على أمثاله و أقرانه حبّ اللعب و اللهو فلجأ إلى ما ظهر له من دلائل الدعوة و لم يتأخر إسلامه فيلزمه التقصير بالمعصية فقهر شهوته و غالب خواطره و خرج من عاداته و ما كان غدى به لصحة نظره و لطافه فكره و غامض فهمه فعظم استنباطه و رجح فضله و شرف قدر إسلامه و لم يأخذ من الدنيا بنصيب و لا تنعم فيها بنعيم حدثا و لا كبيرا و حمى نفسه عن الهوى و كسر شره حدثته بالتقوى و اشتغل بهم الدين عن نعيم الدنيا و أشغل هم الآخرة قلبه و وجه إليه رغبته فإسلامه هو السبيل الذي لم يسلم عليه أحد غيره و ما سبيله في ذلك إلا كسبيل الأنبياء ليعلم أن منزلته من النبي ص كمنزله هارون من موسى و أنه و إن لم يكن نبيا فقد كان في سبيل الأنبياء سالكا و لمنهاجهم متبعا و كانت حاله كحال إبراهيم ع فإن

ص: ٢٤٩

أهل العلم ذكروا أنه لما كان صغيراً جعلته أمه في سرب لم يطلع عليه أحد فلما نشأ و درج و عقل قال لأمه من ربي قالت أبوك قال فمن رب أبي فزبرته و نهرتة إلى أن طلع من شق السرب فرأى كوكبا ف قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الأفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغاً قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات و الأرض خنيفاً و ما أنا من المشركين و في ذلك يقول الله جل ثناؤه و كذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات و الأرض و ليكون من الموقنين (١) و على هذا كان إسلام الصديق الأكبر لسنا نقول إنه كان مساويا له في الفضيله و لكن كان مقتديا بطريقه على ما قال الله تعالى إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه و هذا النبي و الذين آمنوا و الله ولي المؤمنين (٢) و أميا اعتلال الجاحظ بأن له ظهرا كأبي طالب و ردها كبنى هاشم فإنه يوجب عليه أن تكون محنه أبي بكر و بلال و ثوابهما و فضل إسلامهما أعظم مما لرسول الله ص لأن أبا طالب ظهره و بنى هاشم رده و حسبك جهلا من معاند لم يستطع حط قدر على ع إلا بحطه من قدر رسول الله ص و لم يكن أحد أشد على رسول الله ص من قراباته الأدنى منهم فالأدنى كأبي لهب عمه و امرأه أبي لهب و هي أم جميل بنت حرب بن أمية و إحدى أولاد عبد مناف ثم ما كان من عقبه بن أبي معيط و هو ابن عمه و ما كان من النضر بن الحارث و هو من بنى عبد الدار بن قصي و هو ابن عمه أيضا و غير هؤلاء ممن يطول تعداده و كلهم كان يطرح الأذى في طريقه و ينقل أخباره و يرميه بالحجاره و يرمى الكرش

ص: ٢٥٠

١-١) سورة الأنعام ٧٥.

٢-٢) سورة آل عمران ٦٨.

و الفرث عليه و كانوا يؤذون عليا كآذاه و يجتهدون فى غمه و يستهزءون به و ما كان لأبى بكر قرابه تؤذيه كقرابه على و لما كان بين على و بين النبى ص من الاتحاد و الإلف و الاتفاق أحجم المنافقون بالمدينه عن أذى رسول الله ص خوفا من سيفه و لأنه صاحب الدار و الجيش و أمره مطاع و قوله نافذ فخافوا على دمائهم منه فاتقوه و أمسكوا عن إظهار بغضه و أظهروا بغض على ع و شأنه فقال رسول الله ص فى حقه فى

٣٧٦٤

الْخَبَرِ الَّذِي رُوِيَ فِي جَمِيعِ الصَّحَاحِ لَا يُجِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبَغِّضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ. و قال كثير من أعلام الصحابه كما

٣٧٦٥

١- رُوِيَ فِي الْخَبَرِ الْمَشْهُورِ بَيْنَ الْمُحَدِّثِينَ مَا كُنَّا نَعْرِفُ الْمُنَافِقِينَ إِلَّا يُبَغِّضِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ .

و أين كان ظهر أبى طالب عن جعفر و قد أزعجه الأذى عن وطنه حتى هاجر إلى بلاد الحبشه و ركب البحر أ يتوهم الجاحظ أن أبا طالب نصر عليا و خذل جعفرا .

قال الجاحظ و لأبى بكر فضيله فى إسلامه أنه كان قبل إسلامه كثير الصديق عريض الجاه ذا يسار و غنى يعظم لماله و يستفاد من رأيه فخرج من عز الغنى و كثره الصديق إلى ذل الفاقة و عجز الوحده و هذا غير إسلام من لا حراك به و لا عز له تابع غير متبوع لأن من أشد ما يتلى الكريم به السب بعد التحيه و الضرب بعد الهيبه و العسر بعد اليسر ثم كان أبو بكر دعيه من دعاه الرسول و كان يتلوه فى جميع أحواله فكان الخوف إليه أشد و المكروه نحوه أسرع و كان ممن تحسن مطالبته و لا يستحيا من إدراك الثأر عنده لنباهته و بعد ذكره و الحدث الصغير يزدرى و يحتقر لصغر سنه و خمول ذكره (١).

ص: ٢٥١

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله أما ما ذكر من كثره المال والصدق واستفاضه الذكر وبعد الصيت وكبر السن فكله عليه لا له وذلك لأنه قد علم أن من سيره العرب وأخلاقها حفظ الصديق والوفاء بالذمام والتهيب لدى الثروه واحترام ذى السن العاليه وفى كل هذا ظهر شديد وسند وثقه يعتمد عليها عند المحن ولذلك كان المرء منهم إذا تمكن من صديقه أبقى عليه واستحيا منه وكان ذلك سببا لنجاته والعفو عنه على أن على بن أبى طالب ع إن لم يكن شهره سنه فقد شهره نسبه وموضعه من بنى هاشم وإن لم يستفض ذكره بقاء الرجال وكثره الأسفار استفاض بأبى طالب فأنتم تعلمون أنه ليس تيم فى بعد الصيت كهاشم ولا أبو قحافه كأبى طالب وعلى حسب ذلك يعلو ذكر الفتى على ذى السن ويعد صيت الحدث على الشيخ ومعلوم أيضا أن عليا على أعناق المشركين أثقل إذ كان هاشميا وإن كان أبوه حامى رسول الله ص والمانع لحوزته وعلى هو الذى فتح على العرب باب الخلاف واستهان بهم بما أظهر من الإسلام والصلاه وخالف رهطه وعشيرته وأطاع ابن عمه فيما لم يعرف من قبل ولا عهد له نظير كما قال تعالى لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (١) ثم كان بعد صاحب رسول الله ص ومشتكى حزنه وأنيسه فى خلوته وجليسه وأليفه فى أيامه كلها وكل هذا يوجب التحريض عليه ومعاداة العرب له ثم أنتم معاشر العثمانيه تثبتون لأبى بكر فضيله بصحبه الرسول ص من مكه إلى يثرب ودخوله معه فى الغار فقلتم مرتبه شريفه وحاله جليله إذ كان شريكه فى الهجره وأنيسه فى الوحشه فأين هذه من صحبه على ع له فى خلوته وحيث لا يجد أنيسا غيره ليله ونهاره أيام مقامه بمكه يعبد الله

ص: ٢٥٢

معها سرا و يتكلف له الحاجه جهرا و يخدمه كالعبد يخدم مولاه و يشفق عليه و يحوطه و كالولد يبر والده و يعطف عليه و

٣٧٤٤

١٥،١،١٤- لَمَّا سُئِلَتْ عَائِشَةُ مَنْ كَانَ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَتْ أُمَّةٌ مِنَ الرِّجَالِ فَعَلِيٌّ وَ أُمَّةٌ مِنَ النِّسَاءِ فَفَاطِمَةُ

قال الجاحظ و كان أبو بكر من المفتونين المعذبين بمكته قبل الهجره فضربه نوفل بن خويلد المعروف بابن العدويه مرتين حتى أدماه و شده مع طلحه بن عبيد الله في قرن و جعلهما في الهاجره عمير بن عثمان بن مره بن كعب بن سعد بن تيم بن مره و لذلك كانا يدعيان القرينين و لو لم يكن له غير ذلك لكان لحاقه عسيرا و بلوغ منزلته شديدا و لو كان يوما واحدا لكان عظيما و علي بن أبي طالب رافه و ادع ليس بمطلوب و لا طالب و ليس أنه لم يكن في طبعه الشهامه و النجده و في غريزته البساله في الشجاعه لكنه لم يكن قد تمت أدواته و لا استكملت آلته و رجال الطلب و أصحاب الثأر يغمصون ذا الحدائثه و يزدرون بذي الصبا و الغراره إلى أن يلحق بالرجال و يخرج من طبع الأطفال (١).

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله أما القول فمممكن و الدعوى سهله سيما على مثل الجاحظ فإنه ليس على لسانه من دينه و عقله رقيب و هو من دعوى الباطل غير بعيد فمعناه نزر و قوله لغو و مطلبه سجع و كلامه لعب و لهو يقول الشيء و خلافه و يحسن القول و ضده ليس له من نفسه واعظ و لا لدعواه حدّ قائم و إلا فكيف تجاسر على القول بأن عليا حينئذ لم يكن مطلوبا و لا طالبا و قد بينا بالأخبار الصحيحه و الحديث المرفوع المسند أنه كان يوم أسلم بالغا كاملا منابذا بلسانه و قلبه لمشركى قريش

ص: ٢٥٣

(١-١) العثمانيه ٢٨،٢٧.

ثقيلا- على قلوبهم و هو المخصوص دون أبى بكر بالحصار فى الشعب و صاحب الخلوات برسول الله ص فى تلك الظلمات المتجرع لغصص المرار من أبى لهب و أبى جهل و غيرهما و المصطفى لكل مكروه و الشريك لنيه فى كل أذى قد نهض بالحمل الثقيل و بان بالأمر الجليل و من الذى كان يخرج ليلا من الشعب على هيئة السارق و يخفى نفسه و يضائل شخصه حتى يأتى إلى من يبعثه إليه أبو طالب من كبراء قريش كمطعم بن عدى و غيره فيحمل لبنى هاشم على ظهره أعدال الدقيق و القمح و هو على أشد خوف من أعدائهم كأبى جهل و غيره لو ظفروا به لأراقوا دمه أ على كان يفعل ذلك أيام الحصار فى الشعب أم أبو بكر و قد ذكر هوع حاله يومئذ

٣٧٤٧

فَقَالَ فِي حُطْبِهِ لَهُ مَشْهُورِهِ فَتَعَاقَدُوا أَلَّا يُعَامِلُونَا وَلَا يُنَاكِحُونَا وَأَوْقَدَتِ الْحَرْبُ عَلَيْنَا نِيرَانَهَا وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعَرِّ مُؤْمِنًا يَرْجُو الثَّوَابَ وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ وَ لَقَدْ كَانَتِ الْقَبَائِلُ كُلُّهَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ وَ قَطَعُوا عَنْهُمْ الْمَارَّةَ وَ الْمِيرَةَ فَكَانُوا يَتَوَقَّعُونَ الْمَوْتَ جُوعًا صَبَاحًا وَ مَسَاءً لَا يَرُونَ وَجْهًا وَ لَا فَرْجًا قَدْ اضْمَحَلَّ عَزْمُهُمْ وَ انْقَطَعَ رَجَاؤُهُمْ.

فمن الذى خلص إليه مكروه تلك المحن بعد محمد ص إلا- على ع وحده و ما عسى أن يقول الواصف و المظنب فى هذه الفضيله من تقصى معانيها و بلوغ غايه كنهها و فضيله الصابر عندها و دامت هذه المحنه عليهم ثلاث سنين حتى انفرجت عنهم بقصه الصحيفه و القصه مشهوره.

و كيف يستحسن الجاحظ لنفسه أن يقول فى على ع إنه قبل الهجره كان وادعا رافها لم يكن مطلوبا و لا طالبا و هو صاحب الفراش الذى فدى رسول الله ص بنفسه و وقاه بمهجته و احتمل السيوف و رضح الحجاره دونه و هل ينتهى الواصف و إن أظن و المادح و إن أسهب إلى الإبانة عن مقدار هذه الفضيله و الإيضاح بمزيه هذه الخصيصة.

ص: ٢٥٤

فأما قوله إن أبا بكر عذب بمكّه فإننا لا نعلم أن العذاب كان واقعا إلاّ بعبد أو عسيف (١) أو لمن لا عشيره له تمنعه فأنتم في أبي بكر بين أمرين تاره تجعلونه دخيلا ساقطا و هجينا رذيلا مستضعفا ذليلا و تاره تجعلونه رئيسا متبعا و كبيرا مطاعا فاعتمدوا على أحد القولين لتكلمكم بحسب ما تختارونه لأنفسكم و لو كان الفضل في الفتنة و العذاب لكان عمار و خباب و بلال و كل معذب بمكّه أفضل من أبي بكر لأنهم كانوا من العذاب في أكثر ممّا كان فيه و نزل فيهم من القرآن ما لم ينزل فيه كقوله تعالى وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا (٢) قالوا نزلت في خباب و بلال و نزل في عمار قوله إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ (٣)

٣٧٤٨

١٤- وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَمُرُّ عَلَى عَمَّارٍ وَ أَبِيهِ وَ أُمِّهِ وَ هُمْ يُعَذِّبُونَ يُعَذِّبُهُمْ بَنُو مَخْرُومٍ لِأَنَّهُمْ كَانُوا حُلَفَاءَهُمْ فَيَقُولُ صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ .

و كان بلال يقلب على الرمضاء و هو يقول أحد أحد و ما سمعنا لأبي بكر في شيء من ذلك ذكرنا

٣٧٤٩

١- وَ لَقَدْ كَانَ لِعَلِيِّ ع عِنْدَهُ يَدٌ غَرَاءٌ إِنْ صَحَّ مَا رَوَيْتُمُوهُ فِي تَعْدِيهِ لِأَنَّهُ قَتَلَ نَوْفَلَ بْنَ حُوَيْلِدٍ وَ عُمَيْرَ بْنَ عُثْمَانَ يَوْمَ بَدْرٍ ضَرَبَ نَوْفَلَ فَقَطَعَ سَاقَهُ فَقَالَ أَذْكَرَكَ اللَّهُ وَ الرَّحِمَ فَقَالَ قَدْ قَطَعَ اللَّهُ كُلَّ رَحِمٍ وَ صِهْرٍ إِلَّا مَنْ كَانَ تَابِعًا لِمُحَمَّدٍ ثُمَّ ضَرَبَهُ أُخْرَى فَفَاضَتْ نَفْسُهُ وَ صَيَّمَدَ لِعُمَيْرِ بْنِ عُثْمَانَ التَّمِيمِيَّ فَوَجَدَهُ يَرُومُ الْهَرَبَ وَ قَدْ ارْتَجَّ عَلَيْهِ الْمَسِيْلُ فَضَرَبَهُ عَلَى شَرَاسِيْفِ صَدْرِهِ فَصَارَ نَضِيْمُهُ الْأَعْلَى بَيْنَ رِجْلَيْهِ

و ليس أن أبا بكر لم يطلب بثأره منهما و يجتهد لكنه لم يقدر على أن يفعل فعل على ع فبان على ع بفعله دونه قال الجاحظ و لأبي بكر مراتب لا يشركه فيها على و لا غيره و ذلك قبل الهجرة

ص: ٢٥٥

١-١ (١) العسيف: الأجير.

٢-٢ (٢) سورة النحل ٤١.

٣-٣ (٣) سورة النحل ١٠٦.

فقد علم الناس أن علياً إنما ظهر فضله وانتشر صيته و امتحن و لقي المشاق منذ يوم بدر و أنه إنما قاتل في الزمان الذي استوفى فيه أهل الإسلام و أهل الشرك و طمعوا في أن يكون الحرب بينهم سجلاً و أعلمهم الله تعالى أن العاقبة للمتقين و أبو بكر كان قبل الهجره معذباً و مطروداً مشرداً في الزمان الذي ليس بالإسلام و أهله نهوض و لا حركه و لذلك قال أبو بكر في خلافته طوبى لمن مات في فآفاه الإسلام يقول في ضعفه (١).

قال أبو جعفر رحمه الله لا أشك أن الباطل خان أبا عثمان و الخطأ أفعده و الخذلان أصاره إلى الحيره فما علم و عرف حتى قال ما قال فزعم أن علياً قبل الهجره لم يمتحن و لم يكابد المشاق و أنه إنما قاسى مشاق التكليف و محن الابتلاء منذ يوم بدر و نسى الحصار في الشعب و ما منى به منه و أبو بكر و ادع رافه يأكل ما يريد و يجلس مع من يحب مخلى سربه طيبه نفسه ساكناً قلبه و على يقاسى الغمرات و يكابد الأهوال و يجوع و يظمأ و يتوقع القتل صباحاً و مساءً لأنه كان هو المتوصل المحتال في إحضار قوت زهيد من شيوخ قريش و عقلائها سرا ليقيم به رمق رسول الله ص و بنى هاشم و هم في الحصار و لا يأمن في كل وقت مفاجأه أعداء رسول الله ص له بالقتل كأبي جهل بن هشام و عقبه بن أبي معيط و الوليد بن المغيرة و عتبه بن ربيعه و غيرهم من فراعنه قريش و جابرتها و لقد كان يجيع نفسه و يطعم رسول الله ص زاده و يظمئ نفسه و يسقيه ماءه و هو كان المعلل له إذا مرض و المؤمنس له إذا استوحش و أبو بكر بنجوه عن ذلك لا يمسه ممّا يمسه ألم و لم يلحقه ممّا يلحقهم مشقه و لا- يعلم بشيء من أخبارهم و أحوالهم إلا- على سبيل الإجمال دون التفصيل ثلاث سنين محرمة معاملتهم و مناكحتهم و مجالستهم محبوسين محصورين ممنوعين من الخروج

ص: ٢٥٦

والتصرف في أنفسهم فكيف أهمل الجاحظ هذه الفضيله و نسى هذه الخصيصة و لا نظير لها و لكن لا يبالي الجاحظ بعد أن يسوغ له لفظه و تنسق له خطابه ما ضيع من المعنى و رجع عليه من الخطأ.

فأما قوله و اعلموا أن الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ففيه إشارة إلى معنى غامض قصده الجاحظ يعنى أن لا- فضيله لعلى ع في الجهاد لأن الرسول كان أعلمه أنه منصور و أن العاقبه له و هذا من دسائس الجاحظ و همزاته و لمزاته و ليس بحق ما قاله لأن رسول الله ص أعلم أصحابه جملة أن العاقبه لهم و لم يعلم واحدا منهم بعينه أنه لا- يقتل لا عليا و لا غيره و إن صح أنه كان أعلمه أنه لا يقتل فلم يعلمه أنه لا يقطع عضو من أعضائه و لم يعلمه أنه لا يمسه ألم جراح في جسده و لم يعلمه أنه لا يناله الضرب الشديد.

و على أن رسول الله ص قد أعلم أصحابه قبل يوم بدر و هو يومئذ بمكة أن العاقبه لهم كما أعلم أصحابه بعد الهجره ذلك فإن لم يكن لعلى و المجاهدين فضيله في الجهاد بعد الهجره لإعلامه إياهم ذلك فلا فضيله لأبي بكر و غيره في احتمال المشاق قبل الهجره لإعلامه إياهم بذلك-

٣٧٧٠

١٤- فَقَدْ جَاءَ فِي الْخَبْرِ أَنَّهُ وَعَدَ أَبَا بَكْرٍ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِالنَّصْرِ وَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ أُرْسِلْتُ إِلَيْ هَؤُلَاءِ بِالذَّبْحِ وَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُعْزِمُنَا أَمْوَالَهُمْ وَ يُمْلِكُنَا دِيَارَهُمْ .

فالقول في الموضوعين متساو و متفق.

قال الجاحظ و إن بين المحنه في الدهر الذي صار فيه أصحاب النبي ص مقرنين لأهل مكة و مشركى قريش و معهم أهل يثرب أصحاب النخيل و الآطام و الشجاعه و الصبر و المواساه و الإيثار و المحاماه و العدد الدثر و الفعل الجزل و بين الدهر الذي كانوا فيه بمكة يفتنون و يشتمون و يضربون و يشردون و يجوعون و يعطشون

ص: ٢٥٧

مقهورين لا حراك بهم و أذلاء لا عزّ لهم و فقراء لا مال عندهم و مستخفين لا يمكنهم إظهار دعوتهم لفرقا واضحا و لقد كانوا في حال أحوجت لوطا و هو نبي إلى أن قال لو أنّ لى بكم قوّة أو آوى إلى ركن شديد (١) و

٣٧٧١

قَالَ النَّبِيُّ ص عَجِبْتُ مِنْ أَخِي لُوطٍ كَيْفَ قَالَ أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٍ شَدِيدٍ وَ هُوَ يَأْوِي إِلَيَّ اللَّهُ تَعَالَى.

ثمّ لم يكن ذلك يوما و لا يومين و لا شهرا و لا شهرين و لا عاما و لا عامين و لكن السنين بعد السنين و كان أغلظ القوم و أشدهم محنه بعد رسول الله ص أبو بكر لأنّه أقام بمكّه ما أقام رسول الله ص ثلاث عشرة سنه و هو أوسط ما قالوا في مقام النبي ص (٢).

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله ما نرى الجاحظ احتج لكون أبي بكر أغلظهم و أشدهم محنه إلا بقوله لأنّه أقام بمكّه مدّه مقام الرسول ص بها و هذه الحجه لا تخصّ أبا بكر وحده لأنّ عليا ع أقام معه هذه المدّه و كذلك طلحه و زيد و عبد الرحمن و بلال و خباب و غيرهم و قد كان الواجب عليه أن يخصّ أبا بكر وحده بحجه تدلّ على أنّه كان أغلظ الجماعة و أشدهم محنه بعد رسول الله ص فالاحتجاج في نفسه فاسد.

ثمّ يقال له ما بالك أهملت أمر مبيت على ع على الفراش بمكّه ليله الهجره هل نسيته أم تناسيته فإنها المحنه العظيمه و الفضيله الشريفة التي متى امتحنها الناظر و أجال فكره فيها رأى تحتها فضائل متفرقه و مناقب متغايره و ذلك

٣٧٧٢

١٤،١- أَنَّهُ لَمَّا اسْتَقَرَّ الْخَبْرُ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص مُجْمَعٌ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ بَيْنِهِمْ لِلْهَجْرَةِ

ص: ٢٥٨

١- (١) سورة هود ٨٠.

٢- (٢) العثمانية ٤١.

إِلَى غَيْرِهِمْ قَصِدُوا إِلَى مُعَاجَلَتِهِ وَتَعَاقَدُوا عَلَى أَنْ يُبَيِّنُوهُ فِي فِرَاشِهِ وَ أَنْ يَضْرِبُوهُ بِأَسْيَافٍ كَثِيرَةٍ بِيَدِ كُلِّ صَاحِبِ قَبِيلَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ سَيْفٌ مِنْهَا لِيَضْرِبَ دُمُهُ بَيْنَ الشُّعُوبِ وَ يَتَفَرَّقَ بَيْنَ الْقَبَائِلِ وَ لَا يَطْلُبَ بَنُو هَاشِمٍ بِدَمِهِ قَبِيلَةً وَاحِدَةً بَعَيْنِهَا مِنْ بَطُونِ قُرَيْشٍ وَ تَحَالَفُوا عَلَى تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَ اجْتَمَعُوا عَلَيْهَا فَلَمَّا عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ص ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ دَعَا أَوْثَقَ النَّاسِ عِنْدَهُ وَ أَمَثَلَهُمْ فِي نَفْسِهِ وَ أَبَدَلَهُمْ فِي ذَاتِ الْبَالِ لِمُهْجَتِهِ وَ أَسْرَعَهُمْ إِجْرَابَهُ إِلَى طَاعَتِهِ فَقَالَ لَهُ إِنَّ قُرَيْشًا قَدْ تَحَالَفَتْ عَلَى أَنْ تُبَيِّنَنِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ فَأَمُضِ إِلَى فِرَاشِي وَ نَمْ فِي مَضْجَعِي وَ التَّفَّ فِي بُرْدِي الْحَضْرَمِيِّ لِيَرَوْا أَنِّي لَمْ أَخْرُجْ وَ إِنِّي خَارِجٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

فمنعه أولاً من التحرز و أعمال الحيلة و صده عن الاستظهار لنفسه بنوع من أنواع المكاييد و الجهات التي يحتاط بها الناس لنفوسهم و ألجأه إلى أن يعرض نفسه لطبات السيوف الشحيذه من أيدي أرباب الحنق و الغيظه فأجاب إلى ذلك سامعاً مطيعاً طيبه بها نفسه و نام على فراشه صابراً محتسباً و اقياً له بمهجته ينتظر القتل و لا نعلم فوق بذل النفس درجه يلتمسها صابر و لا يبلغها طالب و الجود بالنفس أقصى غايه الجود و لو لا أن رسول الله ص علم أنه أهل لذلك لما أهله و لو كان عنده نقص في صبره أو في شجاعته أو في مناصحته لابن عمه و اختيار لذلك لكان من اختاره ص منقوضاً في رأيه مضراً في اختياره و لا يجوز أن يقول هذا أحد من أهل الإسلام و كلهم مجتمعون على أن الرسول ص عمل الصواب و أحسن في الاختيار.

ثم في ذلك إذا تأمله المتأمل و جوه من الفضل منها أنه و إن كان عنده في موضع الثقة فإنه غير مأمون عليه ألا يضبط السر فيفسد التدبير بإفشائه تلك الليله إلى من يليقه إلى الأعداء.

و منها أنه و إن كان ضابطاً للسر و ثقة عند من اختاره فغير مأمون عليه الجبن عند

مفاجأه المكروه و مباشره الأهوال فيفر من الفراش فيفطن لموضع الحيله و يطلب رسول الله ص فيظفر به.

و منها أنه و إن كان ضابطا للسر شجاعا نجدا فلعله غير محتمل للمبيت على الفراش لأن هذا أمر خارج عن الشجاعه إن كان قد قامه مقام المكتوف الممنوع بل هو أشدّ مشقه من المكتوف الممنوع لأن المكتوف الممنوع يعلم من نفسه أنه لا سبيل له إلى الهرب و هذا يجد السبيل إلى الهرب و إلى الدفع عن نفسه و لا يهرب و لا يدافع.

و منها أنه و إن كان ثقه عنده ضابطا للسر شجاعا محتملا للمبيت على الفراش فإنه غير مأمون أن يذهب صبره عند العقوبه الواقعه و العذاب النازل بساحته حتى ييوح بما عنده و يصير إلى الإقرار بما يعلمه و هو أنه أخذ طريق كذا فيطلب فيؤخذ فلهذا قال علماء المسلمين إن فضيله على ع تلك الليله لا نعلم أحدا من البشر نال مثلها إلا ما كان من إسحاق و إبراهيم عند استسلامه للذبح و لو لا أن الأنبياء لا يفضلهم غيرهم لقلنا إن محنه على أعظم لأنه قد روى أن إسحاق تلكاً لما أمره أن يضطجع و بكى على نفسه و قد كان أبوه يعلم أن عنده في ذلك وقفه و لذلك قال له فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَى (١) و حال على ع بخلاف ذلك لأنه ما تلكاً و لا تتعع و لا تغير لونه و لا اضطربت أعضاؤه و لقد كان أصحاب النبي ص يشيرون عليه بالرأى المخالف لما كان أمر به و تقدم فيه فيتركه و يعمل بما أشاروا به كما جرى يوم الخندق في مصانعه الأحزاب بثلت تمر المدينة فإنهم أشاروا عليه بترك ذلك فتركه و هذه كانت قاعدته معهم و عادته بينهم و قد كان لعلى ع أن يعتل بعله و أن يقف و يقول يا رسول الله أكون معك أحميك من العدو و أذب بسيفي عنك فلست

ص: ٢٦٠

مستغنيا في خروجك عن مثلي و نجعل عبدا من عبيدنا في فراشك قائما مقامك يتوهم القوم برؤيته نائما في بردك أنك لم تخرج و لم تفارق مركزك فلم يقل ذلك و لا تجس و لا توقف و لا تلثم و ذلك لعلم كل واحد منهما ص أن أحدا لا يصبر على ثقل هذه المحنة و لا يتورط هذه الهلكة إلا من خصه الله تعالى بالصبر على مشقتها و الفوز بفضيلتها و له من جنس ذلك أفعال كثيرة

٣٧٧٣

١،١٤- كَيَوْمَ دَعَا عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدِّ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمُبَارَزَةِ فَأَحْجَمَ النَّاسُ كُلَّهُمْ عَنْهُ لِمَا عَلِمُوا مِنْ بَأْسِهِ وَ شِدَّتِهِ ثُمَّ كَرَّرَ النَّدَاءَ فَقَامَ عَلِيٌّ ع فَقَالَ أَنَا أُبْرَزُ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص إِنَّهُ عَمْرُو قَالَ نَعَمْ وَ أَنَا عَلِيٌّ فَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ ص بَرَزَ الْإِيمَانُ كُلَّهُ إِلَى الشَّرِكِ كُلِّهِ

٣٧٧٤

١،١٤- وَ كَيَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ حَمَى رَسُولَ اللَّهِ ص مِنْ أَبْطَالِ قُرَيْشٍ وَ هُمْ يَقْصِدُونَ قَتْلَهُ فَقَتَلَهُمُ دُونَهُ حَتَّى قَالَ جَبْرِئِيلُ ع يَا مُحَمَّدُ إِنَّ هَذِهِ هِيَ الْمَوَاسَاةُ فَقَالَ إِنَّهُ مِنِّي وَ أَنَا مِنْهُ فَقَالَ جَبْرِئِيلُ وَ أَنَا مِنْكُمْ .

و لو عددنا أيامه و مقاماته التي شرى فيها نفسه لله تعالى لأطلنا و أسهبنا قال الجاحظ فإن احتج محتج لعلی ع بالمبيت علی الفراش فيبين الغار و الفراش فرق واضح لأن الغار و صحبه أبي بكر للنبي ص قد نطق به القرآن فصار كالصلاه و الزكاه و غيرهما ممّا نطق به الكتاب و أمر علی ع و نومه علی الفراش و إن كان ثابتا صحيحا إلا- أنه لم يذكر في القرآن و إنما جاء مجيء الروايات و السير و هذا لا يوازن هذا و لا يكايله (١).

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله هذا فرق غير مؤثر لأنه قد ثبت بالتواتر حديث

ص: ٢٦١

(١-١) العثمانيه ٤٤.

الفراش فلا- فرق بينه و بين ما ذكر في نص الكتاب و لا- يجحده إلا- مجنون أو غير مخالط لأهل الملة أ رأيت كون الصلوات خمسا و كون زكاه الذهب ربع العشر و كون خروج الريح ناقضا للطهاره و أمثال ذلك مما هو معلوم بالتواتر حكمه هل هو مخالف لما نص في الكتاب عليه من الأحكام هذا مما لا يقوله رشيد و لا عاقل على أن الله تعالى لم يذكر اسم أبي بكر في الكتاب و إنما قال إِذ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ (١) و إنما علمنا أنه أبو بكر بالخبر و ما ورد في السيره و قد قال أهل التفسير إن قوله تعالى وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٢) كناية عن علي ع لأنه مكر بهم و أول الآيه وَ إِذِ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣) أنزلت في ليله الهجره و مكرهم كان توزيع السيوف على بطون قريش و مكر الله تعالى هو منام علي ع على الفراش فلا- فرق بين الموضوعين في أنهما مذكوران كناية لا تصريحاً و قد روى المفسرون كلهم أن قول الله تعالى وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ (٤) أنزلت في علي ع ليله المبيت على الفراش فهذه مثل قوله تعالى إِذ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا فرق بينهما.

قال الجاحظ و فرق آخر و هو أنه لو كان مبيت علي ع على الفراش جاء مجيء كون أبي بكر في الغار لم يكن له في ذلك كبير طاعه لأن الناقلين

٣٧٧٥

نَقُلُوا أَنَّهُ ص قَالَ لَهُ نَمْ فَلَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ.

و لم ينقل ناقل أنه

ص: ٢٤٢

١-١) سورة التوبة ٤٠.

٢-٢) سورة الأنفال ٣٠.

٢-٣) سورة الأنفال ٣٠.

قال لأبي بكر في صحبته إياه و كونه معه في الغار مثل ذلك و لا قال له أنفق و أعتق فإنك لن تفتقر و لن يصل إليك مكروه (١).

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله هذا هو الكذب الصراح و التحريف و الإدخال في الرواية ما ليس منها و المعروف المنقول

٣٧٧٦

أَنَّهُ ص قَالَ لَهُ اذْهَبْ فَاصْطَبِجْ فِي مَضْجَعِي وَ تَغَشَّ بِبُرْدِي الْحَضْرَمِيِّ فَإِنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونَنِي وَ لَا يَشْهَدُونَ مَضْجَعِي فَلَعَلَّهُمْ إِذَا رَأَوْكَ يُسْكِنُهُمْ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحُوا فَإِذَا أَصْبَحَتْ فَأَعِدْ فِي أَدَاءِ أَمَانَتِي.

و لم ينقل ما ذكره الجاحظ و إنما ولده أبو بكر الأصم و أخذه الجاحظ و لا أصل له و لو كان هذا صحيحا لم يصل إليه منهم مكروه (٢).

٣٧٧٧

١٤، ١- وَ قَدْ وَقَعَ الْإِتِّفَاقُ عَلَى أَنَّهُ ضَرِبَ وَ رُمِيَ بِالْحِجَارَةِ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا مَنْ هُوَ حَتَّى تَصَوَّرَ وَ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ رَأَيْنَا تَصَوَّرَكَ فَإِنَّا كُنَّا نَزْمِي مُحَمَّداً وَ لَا يَتَصَوَّرُ

و لأن لفظه المكروه إن كان قالها إنما يراد بها القتل فهب أنه أمن القتل كيف يأمن من الضرب و الهوان و من أن ينقطع بعض أعضائه و بأن سلمت نفسه أ ليس الله تعالى قال لنبيه بلغ ما أنزل إليك من ربك و إن لم تفعل فلما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس (٣) و مع ذلك فقد كسرت رباعيته و شج وجهه و أدميت ساقه و ذلك لأنها عصمه من القتل خاصه و كذلك المكروه الذي أو من على ع منه و إن كان صح ذلك في الحديث إنما هو مكروه القتل.

ثم يقال له و أبو بكر لا- فضيله له أيضا في كونه في الغار لأن النبي ص قال له لا تحزن إن الله معنا و من يكن الله معه فهو آمن لا محاله من كل سوء فكيف قلت و لم ينقل ناقل أنه قال لأبي بكر في الغار مثل ذلك فكل ما يجيب به عن هذا فهو جوابنا عما أورده فنقول له هذا ينقلب عليك في النبي ص

ص: ٢٦٣

١- ١) العثمانيه ٤٥.

١- ٢) العثمانيه ٤٥.

لأن الله تعالى وعده بظهور دينه و عاقبه أمره فيجب على قولك ألا يكون مثابا عند الله تعالى على ما يحتمله من المكروه و لا ما يصيبه من الأذى إذ كان قد أيقن بالسلامه و الفتح في عدته.

□
قال الجاحظ و من جحد كون أبي بكر صاحب رسول الله ص فقد كفر لأنه جحد نص الكتاب ثم انظر إلى قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا (١) من الفضيله لأبى بكر لأنه شريك رسول الله ص في كون الله تعالى معه و إنزال السكينه قال كثير من الناس إنه في الآيه مخصوص بأبى بكر لأنه كان محتاجا إلى السكينه لما تداخله من رقه الطبع البشرى و النبى ص كان غير محتاج إليها لأنه يعلم أنه محروس من الله تعالى فلا معنى لنزول السكينه عليه و هذه فضيله ثالثه لأبى بكر .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله إن أبا عثمان يجر على نفسه ما لا طاقه له به من مطاعن الشيعة و لقد كان في غنيه عن التعلق بما تعلق به لأن الشيعة تزعم أن هذه الآيه بأن تكون طعنا و عيبا على أبى بكر أولى من أن تكون فضيله و منقبه له لأنه لما قال له لا تَحْزَنْ دل على أنه قد كان حزن و قنط و أشفق على نفسه و ليس هذا من صفات المؤمنين الصابرين و لا يجوز أن يكون حزنه طاعه لأن الله تعالى لا ينهى عن الطاعه فلو لم يكن ذنبا لم ينه عنه و قوله إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا أى إن الله عالم بحالنا و ما نضمه من اليقين أو الشك كما يقول الرجل لصاحبه لا تضمّن سوءا و لا تنوين قبيحا فإن الله تعالى يعلم ما نسره و ما نعلنه و هذا مثل قوله تعالى وَ لَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا (٢) أى هو عالم بهم و أمّا السكينه

ص: ٢٦٤

١-١ (١) سورة التوبه ٤٠.

٢-٢ (٢) سورة المجادله ٧.

فكيف يقول إنها ليست راجعه إلى النبي ص و بعدها قوله وَ أَيْدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا أ ترى المؤيد بالجنود كان أبا بكر أم رسول الله ص .

و قوله إنّه مستغن عنها ليس بصحيح و لا يستغنى أحد عن ألطف الله و توفيقه و تأييده و تثبيت قلبه و قد قال الله تعالى فى قصه حين وَ ضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ (١) ص .

و أمّا الصحبه فلا- تدلّ إلا- على المرافقه و الاصطحاب لا- غير و قد يكون حيث لا- إيمان كما قال تعالى قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَ هُوَ يُحَادِّثُهَا أَ كَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ (٢) و نحن و إن كنا نعتقد إخلاص أبى بكر و إيمانه الصحيح السليم و فضيلته التامه إلا أنا لا نحتج له بمثل ما احتج به الجاحظ من الحجج الواهيه و لا نتعلق بما يجر علينا دواهى الشيعة و مطاعنها.

قال الجاحظ و إن كان المبيت على الفراش فضيله فأين هى من فضائل أبى بكر أيام مكّه من عتق المعذيين و إنفاق المال و كثره المستجيبين مع فرق ما بين الطاعتين لأن طاعه الشاب الغرير و الحدث الصغير الذى فى عزّ صاحبه عزه ليست كطاعه الحليم الكبير الذى لا يرجع تسويد صاحبه إلى رهطه و عشيرته.

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله أما كثره المستجيبين فالفضل فيها راجع إلى المجيب

ص: ٢٦٥

١- ١) سورة التوبه ٢٦، ٢٥.

٢- ٢) سورة الكهف ٣٤.

لا إلى المجاب على أنا قد علمنا أن من استجاب لموسى ع أكثر ممن استجاب لنوح ع و ثواب نوح أكثر لصبره على الأعداء و مقاساه خلافهم و عنتهم و أما إنفاق المال فأين محنه الغنى من محنه الفقر و أين يعتدل إسلام من أسلم و هو غنى إن جاع أكل و إن أعيار كعب و إن عرى لبس قد وثق بيساره و استغنى بماله و استعان على نوائب الدنيا بثروته ممن لا يجد قوت يومه و إن وجد لم يستأثر به فكان الفقر شعاره و فى ذلك قيل الفقر شعار المؤمن و

٣٧٧٨

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى يَا مُوسَى إِذَا رَأَيْتَ الْفَقْرَ مُقْبِلًا فَقُلْ مَرْحَبًا بِشِعَارِ الصَّالِحِينَ.

و

٣٧٧٩

فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْفُقَرَاءَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ.

و

٣٧٨٠

كَانَ النَّبِيُّ ص يَقُولُ

اللَّهُمَّ احْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْفُقَرَاءِ .

و لذلك أرسل الله محمدا ص فقيرا و كان بالفقر سعيدا فقاسى محنه الفقر و مكابده الجوع حتى شد الحجر على بطنه و حسبك بالفقر فضيله فى دين الله لمن صبر عليه فإنك لا تجد صاحب الدنيا يتمناه لأنه مناف لحال الدنيا و أهلها و إنما هو شعار أهل الآخرة.

و أما طاعه على ع و كون الجاحظ زعم أنها كانت لأن فى عز محمد عزه و عز رهطه بخلاف طاعه أبى بكر فهذا يفتح عليه أن يكون جهاد حمزه كذلك و جهاد عبيده بن الحارث و هجره جعفر إلى الحبشه بل لعل محاماه المهاجرين من قريش على رسول الله ص كانت لأن فى دولته دولتهم و فى نصرته استجداد ملك لهم و هذا يجر إلى الإلحاد و يفتح باب الزندقه و يفضى إلى الطعن فى الإسلام و النبوه.

قال الجاحظ و على أنا لو نزلنا إلى ما يريدونه جعلنا الفراش كالغار و خلصت فضائل أبى بكر فى غير ذلك عن معارض.

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله قد بينا فضيله المبيت على الفراش على فضيله الصحبه

ص: ٢٦٦

فى الغار بما هو واضح لمن أنصف و نزيد هاهنا تأكيدا بما لم نذكره فيما تقدم فنقول إن فضيله المبيت على الفراش على الصببه فى الغار لوجهين أحدهما أن عليا ع قد كان أنس بالنبي ص و حصل له بمصاحبه قديما أنس عظيم و إلف شديد فلما فارقه عدم ذلك الأنس و حصل به أبو بكر فكان ما يجده على ع من الوحشه و ألم الفرقه موجبا زياده ثوابه لأن الثواب على قدر المشقه.

و ثانيهما أن أبا بكر كان يؤثر الخروج من مكه و قد كان خرج من قبل فردا فازداد كراهيه للمقام فلما خرج مع رسول الله ص وافق ذلك هوى قلبه و محبوب نفسه فلم يكن له من الفضيله ما يوازي فضيله من احتمال المشقه العظيمه و عرض نفسه لوقع السيوف و رأسه لرضخ الحجاره لأنه على قدر سهوله العباده يكون نقصان الثواب

٣٧٨١

١٤- قَالَ الْجَاحِظُ ثُمَّ الَّذِي لَقِيَ أَبُو بَكْرٍ فِي مَسْجِدِهِ الَّذِي بَنَاهُ عَلَيَّ بِابِي فِي بَنِي جُمَحٍ فَقَدْ كَانَ بَنِي مَسْجِدًا يُصَيِّمِي فِيهِ وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَكَانَ لَهُ صَوْتُ رَقِيقٍ وَوَجْهُ عَتِيقٌ وَكَانَ إِذَا قَرَأَ بَكَى فَيَقِفُ عَلَيْهِ الْمَيَّارَةُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ وَالْعَبِيدِ فَلَمَّا أُودِيَ فِي اللَّهِ وَ مُنِعَ مِنْ ذَلِكَ الْمَسْجِدِ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ ص فِي الْهَجْرَةِ فَأُذِنَ لَهُ فَأَقْبَلَ يُرِيدُ الْمَدِينَةَ فَتَلَقَّاهُ الْكِنَانِيُّ (١) فَعَقَدَ لَهُ جِوَارًا وَقَالَ وَاللَّهِ لَا أَدْعُ مِثْلَكَ يَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ فَرَجَعَ إِلَيْهَا وَعَادَ لِيَصِيَّبَهُ فِي الْمَسْجِدِ فَمَشَتْ قُرَيْشٌ إِلَى جَارِهِ الْكِنَانِيِّ وَاجْتَلَبُوا عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ دَعِ الْمَسْجِدَ وَادْخُلْ بَيْتَكَ وَاصْنَعْ فِيهِ مَا بَدَأَ لَكَ (٢)

ص: ٢٤٧

١- (١) الكنانى؛ هو مالك بن الدغنه، أحد بنى الحارث بن بكر بن عبد مناه.

٢- (٢) العثمانيه ٢٩، ٢٨ مع تصرف و اختصار.

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله كيف كانت بنو جمح تؤذى عثمان بن مظعون و تضربه و هو فيهم ذو سطوه و قدر و تترك أبا بكر بيني مسجدا يفعل فيه ما ذكرتم و أنتم الذين رويتم عن ابن مسعود أنه قال ما صلينا ظاهرين حتى أسلم عمر بن الخطاب و الذي تذكرونه من بناء المسجد كان قبل إسلام عمر فكيف هذا.

و أما ما ذكرتم من رقه صوته و عتاق وجهه فكيف يكون ذلك

٣٧٨٢

وَ قَدْ رَوَى الْوَاقِدِيُّ وَ غَيْرُهُ أَنَّ عَائِشَةَ رَأَتْ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ خَفِيفَ الْعَارِضَيْنِ مَعْرُوقَ الْخَدَّيْنِ غَائِرَ الْعَيْنَيْنِ أَجْنَأً (١) لَا يُمَسِّكُ إِزَارَهُ فَقَالَتْ مَا رَأَيْتُ أَشْبَهَ بِأَبِي بَكْرٍ مِنْ هَذَا. فَلَا نَرَاهَا دَلَّتْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْجَمَالِ فِي صِفَتِهِ.

قال الجاحظ و حيث رد أبو بكر جوار الكنانى و قال لا أريد جارا سوى الله لقي من الأذى و الذل و الاستخفاف و الضرب ما بلغكم و هذا موجود فى جميع السير و كان آخر ما لقي هو و أهله فى أمر الغار و قد طلبته قريش و جعلت فيه مائه بعير كما جعلت فى النبى ص فلقى أبو جهل أسماء بنت بكر [أبى بكر]

فسألها فكتمته فلطمها حتى رمت قرطا كان فى أذنها (٢).

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله هذا الكلام و هجر السكران سواء فى تقارب المخرج و اضطراب المعنى و ذلك أن قريشا لم تقدر على أذى النبى ص و أبو طالب حى يمنعه فلما مات طلبته لتقتله فخرج تاره إلى بنى عامر و تاره إلى ثقيف و تاره إلى بنى شيبان و لم يكن يتجاسر على المقام بمكّه إلا مستترا حتى أجاره مطعم بن عدى ثم خرج إلى المدينة فبذلت فيه مائه بعير لشده حنقها عليه حين فاتها فلم تقدر عليه فما بالها بذلت فى أبى بكر مائه بعير أخرى و قد كان ردّ الجوار و بقى بينهم فردا لا ناصر له

ص: ٢٦٨

١-١) الأجنأ، من الجنأ و هو ميل الظهر.

٢-٢) العثمانية ٢٩، مع تصرف و اختصار.

ولا دافع عنده يصنعون به ما يريدون إما أن يكونوا أجهل البريه كلها أو يكون العثمانيه أكذب جيل فى الأرض و أوقحه وجهها فهذا ممّا لم يذكر فى سيره و لا روى فى أثر و لا سمع به بشر و لا سبق الجاحظ به أحد.

قال الجاحظ ثم الذى كان من دعائه إلى الإسلام و حسن احتجاجه حتى أسلم على يديه طلحه و الزبير و سعد و عثمان و عبد الرحمن لأنه ساعه أسلم دعا إلى الله و إلى رسوله (١).

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله ما أعجب هذا القول إذ تدعى العثمانيه لأبى بكر الرفق فى الدعاء و حسن الاحتجاج و قد أسلم و معه فى منزله ابنه عبد الرحمن فما قدر أن يدخله فى الإسلام طوعا برفقه و لطف احتجاجه و لا كرها بقطع النفقه عنه و إدخال المكروه عليه و لا كان لأبى بكر عند ابنه عبد الرحمن من القدر ما يطيعه فيما يأمره به و يدعوه إليه

٣٧٨٣

١٤,١- كَمَا رُوِيَ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ فَقَدَ النَّبِيَّ ص يَوْمًا وَ كَانَ يَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ قُرَيْشٍ أَنْ يَغْتَالُوهُ فَخَرَجَ وَ مَعَهُ ابْنُهُ جَعْفَرٌ يَطْلُبَانِ النَّبِيَّ ص فَوَجَدَهُ قَائِمًا فِي بَعْضِ شِعَابِ مَكَّةَ يُصَلِّي وَ عَلَيْهِ عَمَامَةٌ مَعَهُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَمَّا رَأَاهُمَا أَبُو طَالِبٍ قَالَ لِجَعْفَرٍ تَقَدَّمَ وَ صَلِّ جَنَاحِ ابْنِ عَمِّكَ فَصَامَ جَعْفَرٌ عَنْ يَسَارِ مُحَمَّدٍ ص فَلَمَّا صَارُوا ثَلَاثَةَ تَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ تَأَخَّرَ الْأَخْوَانُ فَبَكَى أَبُو طَالِبٍ وَ قَالَ إِنَّ عَلِيًّا وَ جَعْفَرًا ثَقَتِي

ص: ٢٦٩

(١-١) العثمانيه ٣١ مع تصرف و اختصار.

فتذكر الرواه أن جعفرًا أسلم منذ ذلك اليوم لأن أباه أمره بذلك و أطاع أمره و أبو بكر لم يقدر على إدخال ابنه عبد الرحمن في الإسلام حتى أقام بمكّه على كفره ثلاث عشرة سنة و خرج يوم أحد في عسكر المشركين ينادى أنا عبد الرحمن بن عتيق هل من مبارز ثم مكث بعد ذلك على كفره حتى أسلم عام الفتح و هو اليوم الذي دخلت فيه قريش في الإسلام طوعا و كرها و لم يجد أحد منها إلى ترك ذلك سيلا و أين كان رفق أبي بكر و حسن احتجاجه عند أبيه أبي قحافه و هما في دار واحده هلا رفق به و دعاه إلى الإسلام فأسلم

٣٧٨٤

١٤- وَ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ بَقِيَ عَلَى الْكُفْرِ إِلَى يَوْمِ الْفَتْحِ فَأَخْضَرَهُ ابْنُهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ص وَ هُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ رَأْسُهُ كَالثَّغَامَةِ (١) فَفَقَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْهُ وَ قَالَ عَمِيرُوا هَذَا فَخَضُّوهُ ثُمَّ جَاءُوا بِهِ مَرَّةً أُخْرَى فَأَسْلَمَ

و كان أبو قحافه فقيرا مدقعا سيئ الحال و أبو بكر عندهم كان مثريا فائض المال فلم يمكنه استمالته إلى الإسلام بالنفقة و الإحسان و قد كانت امرأه أبي بكر أم عبد الله ابنه و اسمها نمله بنت عبد العزى بن أسعد بن عبد بن ود العامريه لم تسلم و أقامت على شركها بمكّه و هاجر أبو بكر و هي كافره فلما نزل قوله تعالى وَ لَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ (٢) فطلقها أبو بكر فمن عجز عن ابنه و أبيه و امرأته فهو عن غيرهم من الغرماء أعجز و من لم يقبل منه أبوه و ابنه و امرأته لا- برفق و احتجاج و لا خوفا من قطع النفقه عنهم و إدخال المكروه عليهم فغيرهم أقل قبولا منه و أكثر خلافا عليه.

قال الجاحظ و قالت أسماء بنت أبي بكر ما عرفت أبي إلا و هو يدين بالدين و لقد رجع إلينا يوم أسلم فدعانا إلى الإسلام فما رمنا حتى أسلمنا و أسلم أكثر جلسائه و لذلك قالوا من أسلم بدعاء أبي بكر أكثر ممن أسلم بالسيف و لم يذهبوا في ذلك إلى العدد بل عنوا الكثرة في القدر لأنه أسلم على يديه خمسة من أهل الشورى

ص : ٢٧٠

(١-١) الثغام: كسحاب: ضرب من النبات أبيض.

(٢-٢) سورة الممتحنه ١٠.

كلهم يصلح للخلافه و هم أكفاء على ع و منازعوه الرئاسة و الإمامه فهؤلاء أكثر من جميع الناس (١).

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله أخبرونا من هذا الذي أسلم ذلك اليوم من أهل بيت أبي بكر إذا كانت امرأته لم تسلم و ابنه عبد الرحمن لم يسلم و أبو قحافة لم يسلم و أخته أم فروه لم تسلم و عائشه لم تكن قد ولدت في ذلك الوقت لأنها ولدت بعد مبعث النبي ص بخمس سنين و محمّد بن أبي بكر ولد بعد مبعث رسول الله ص بثلاث و عشرين سنه لأنه ولد في حجه الوداع و أسماء بنت أبي بكر التي قد روى الجاحظ هذا الخبر عنها كانت يوم بعث رسول الله ص بنت أربع سنين و في روايه من يقول بنت سنتين فمن الذي أسلم من أهل بيته يوم أسلم نعوذ بالله من الجهل و الكذب و المكابره و كيف أسلم سعد و الزبير و عبد الرحمن بدعاء أبي بكر و ليسوا من رهطه و لا- من أتراه و لا- من جلسائه و لا كانت بينهم قبل ذلك صداقه متقدمه و لا أنس و كيد و كيف ترك أبو بكر عتبه بن ربيعه و شيبه بن ربيعه لم يدخلهما في الإسلام برفقه و حسن دعائه و قد زعمتم أنهما كانا يجلسان إليه لعلمه و طريف حديثه و ما باله لم يدخل جبير بن مطعم في الإسلام و قد ذكرت أنه أدبه و خرجه و منه أخذ جبير العلم بأنساب قريش و مآثرها فكيف عجز عن هؤلاء الذين عدوناهم و هم منه بالحال التي وصفنا و دعا من لم يكن بينه و بينه أنس و لا معرفه إلا معرفه عيان و كيف لم يقبل منه عمر بن الخطاب و قد كان شكله و أقرب الناس شبها به في أغلب أخلاقه و لئن رجعتم إلى الإنصاف لتعلمن أن هؤلاء لم يكن إسلامهم إلا بدعاء الرسول ص لهم و على يديه أسلموا و لو فكرتم في حسن التأتى في الدعاء ليصحن لأبى طالب في ذلك

ص: ٢٧١

على شركه أضعاف ما ذكرتموه لأبي بكر لأنكم رويتم أن أبا طالب قال لعلي ع يا بني الزمه فإنه لن يدعوك إلا إلى خير و قال لجعفر صل جناح ابن عمك فأسلم بقوله و لأجله أصفق بنو عبد مناف على نصره رسول الله ص بمكة من بني مخزوم و بني سهم و بني جمح و لأجله صبر بنو هاشم على الحصار في الشعب و بدعائه و إقباله على محمد ص أسلمت امرأته فاطمه بنت أسد فهو أحسن رفقا و أيمن نقيبه من أبي بكر و غيره و إنما منعه عن الإسلام أن ثبت أنه لم يسلم إلا تقيه و أبو بكر لم يكن له إلا ابن واحد و هو عبد الرحمن فلم يمكنه أن يدخله في الإسلام و لا أمكنه إذ لم يقبل منه الإسلام أن يجعله كبعض مشركي قريش في قلبه الأذى لرسول الله ص و فيه أنزل و الَّذِي قَالَ لَوِ الْإِسْلَامُ بِأَبِي بَكْرٍ لَكُنَّا أَتَعِدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ وَ قَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَ هُمَا يَسْتَتِيغِيَانِ اللَّهَ وَيَلْتَكِمَ آمِنْ إِنْ وَعِدَ اللَّهُ حَقُّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١) و إنما يعرف حسن رفق الرجل و تأتبه بأن يصلح أولا أمر بيته و أهله ثم يدعو الأقرب فالأقرب فإن رسول الله ص لما بعث كان أول من دعا زوجته خديجه ثم مكفوله و ابن عمه علي ع ثم مولاه زيدا ثم أم أيمن خادمته فهل رأيتم أحدا ممن كان يأوى إلى رسول الله ص لم يسارع و هل التاث عليه أحد من هؤلاء فهكذا يكون حسن التأتى و الرفق في الدعاء هذا و رسول الله مقل و هو من جملة عيال خديجه حين بعثه الله تعالى و أبو بكر عندكم كان موسرا و كان أبوه مقترا و كذلك ابنه و امرأته أم عبد الله و الموسر في فطره العقول أولى أن يتبع من المقتر و إنما حسن التأتى و الرفق في الدعاء ما صنعه مصعب بن عمير لسعد بن معاذ لما دعاه و ما صنع سعد بن معاذ بينى عبد الأشهل لما دعاهم و ما صنع بريده بن الحصيبي بأسلم لما دعاهم قالوا أسلم بدعائه ثمانون بيتا من قومه

ص: ٢٧٢

و أسلم بنو عبد الأشهل بدعاء سعد في يوم واحد و أمّا من لم يسلم ابنه و لا امرأته و لا أبوه و لا أخته بدعائه فهيئات أن يوصف و يذكر بالرفق في الدعاء و حسن التأتي و الأناة قال الجاحظ ثم أعتق أبو بكر بعد ذلك جماعه من المعذبين في الله و هم ست رقاب منهم بلال و عامر بن فهيره و زنيره النهديه و ابنتها و مر بجاريه يعذبها عمر بن الخطاب فابتاعها منه و أعتقها و أعتق أبا عيسى فأنزل الله فيه فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَ اتَّقَى وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسُئِرَهُ لِلْإِسْرَى (١) إلى آخر السوره.

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله

٣٧٨٥

١٤- أمّا بلال و عيامر بن فهيره فإني أعتقهما رسول الله ص روى ذلك الواقدي و ابن إسحاق و غيرهما . و أمّا باقى مواليتهم الأربعة فإن سامحناكم في دعواكم لم يبلغ ثمنهم في تلك الحال لشده بغض مواليتهم لهم إلا مائه درهم أو نحوها فأى فخر في هذا و أمّا الآيه فإن ابن عباس قال في تفسيرها فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَ اتَّقَى وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسُئِرَهُ لِلْإِسْرَى أى لأن يعود.

و قال غيره نزلت في مصعب بن عمير قال الجاحظ و قد علمتم ما صنع أبو بكر في ماله و كان ماله أربعين ألف درهم فأنفقه في نوائب الإسلام و حقوقه و لم يكن خفيف الظهر قليل العيال و النسل فيكون فاقدا جميع اليسارين بل كان ذا بنين و بنات و زوجه و خدم و حشم و يعول والديه و ما ولدا و لم يكن النبي ص قبل ذلك عنده مشهورا فيخاف العار في ترك مواساته فكان إنفاقه على الوجه الذي لا نجد في غايه الفضل مثله و لقد

٣٧٨٦

قَالَ النَّبِيُّ ص مَا نَفَعَنِي مَالٌ كَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ .

ص: ٢٧٣

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله أخبرونا على أي نواب الإسلام أنفق هذا المال و في أي وجه وضعه فإنه ليس بجائر أن يخفى ذلك و يدرس حتى يفوت حفظه و ينسى ذكره و أنتم فلم تقفوا على شيء أكثر من عتقه بزعمكم ست رقاب لعلها لا يبلغ ثمنها في ذلك العصر مائة درهم و كيف يدعى له الإنفاق الجليل

٣٧٨٧

١٤- وَ قَدْ بَاعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص بَعِيرَيْنِ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى يَثْرِبَ وَ أَخَذَ مِنْهُ الثَّمَنَ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْحَالِ .

و روى ذلك جميع المحدثين

٣٧٨٨

وَ قَدْ رَوَيْتُمْ أَيْضاً أَنَّهُ كَانَ حَيْثُ كَانَ بِالْمَدِينَةِ غَتِيًّا مُوسِرًا .

٣٧٨٩

وَ رَوَيْتُمْ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ هَاجَرَ أَبُو بَكْرٍ وَ عِنْدَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ .

٣٧٩٠

وَ قُلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ فِيهِ وَ لَا- يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلَى الْقُرْبَى (١) قُلْتُمْ هِيَ فِي أَبِي بَكْرٍ وَ مَسِيحِ بْنِ آثَاةَ . فَأَيْنَ الْفَقْرَ الَّذِي زَعَمْتُمْ أَنَّهُ أَنْفَقَ حَتَّى تَخْلَلَ بِالْعِبَاءِ

٣٧٩١

١- وَ رَوَيْتُمْ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى فِي سِمَائِهِ مَلَائِكَةً قَدْ تَخَلَّلُوا بِالْعِبَاءِ وَ أَنَّ النَّبِيَّ ص رَأَاهُمْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ فَسَأَلَ جَبْرَائِيلَ عَنْهُمْ فَقَالَ هَؤُلَاءِ مَلَائِكَةٌ تَأْسَوْنَ بِأَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ صَدِيقِكَ فِي الْأَرْضِ فَإِنَّهُ سَيَنْفِقُ عَلَيْكَ مَالَهُ حَتَّى يُخَلَّلَ عِبَاءَهُ فِي عُنُقِهِ .

٣٧٩٢

١،١٤- وَ أَنْتُمْ أَيْضاً رَوَيْتُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَنْزَلَ آيَةَ النَّجْوَى فَقَالَ (٢) أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ (٢) الْآيَةَ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَخِيَدُهُ . مع إقراركم بفقره و قله ذات يده و أبو بكر في الحال التي ذكرنا من السعة أمسك عن مناجاته فعاتب الله المؤمنين في ذلك فقال أَسْهَفْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صِدَقَاتٍ فإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فجعله سبحانه ذنبا يتوب عليهم منه و هو إمساكهم عن تقديم الصدقة فكيف سخت نفسه بإنفاق أربعين ألفا و أمسك عن مناجاه الرسول و إنما كان يحتاج فيها إلى إخراج درهمين .

و أما ما ذكر من كثره عياله و نفقته عليهم فليس في ذلك دليل على تفضيله لأن

١-١) سورة النور ٢٢.

٢-٢) سورة المجادلة ١٢.

نفقته على عياله واجبه مع أن أرباب السيره ذكروا أنه لم يكن ينفق على أبيه شيئاً و أنه كان أجيراً لابن جدعان على مائدته يطرد عنها الذبان.

قال الجاحظ وقد تعلمون ما كان يلقي أصحاب النبي ص ببطن مكة من المشركين و حسن صنيع كثير منهم كصنيع حمزه حين ضرب أبا جهل بقوسه ففلق هامته و أبو جهل يومئذ سيد البطحاء و رئيس الكفر و أمنع أهل مكة و قد عرفتم أن الزبير سل سيفه و استقبل به المشركين لما أرجف أن محمداً ص قد قتل و أن عمر بن الخطاب قال حين أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم و أن سعدا ضرب بعض المشركين بلحى جمل فأراق دمه فكل هذه الفضائل لم يكن لعلي بن أبي طالب فيها ناقه و لا جمل و قد قال الله تعالى لا يسئرتوى منكم من أنفق من قبل الفتح و قاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد و قاتلوا (١) فإذا كان الله تعالى قد فضل من أنفق قبل الفتح لأنه لا هجره بعد الفتح على من أنفق بعد الفتح فما ظنكم بمن أنفق من قبل الهجره و من لدن مبعث النبي ص إلى الهجره و إلى بعد الهجره (٢).

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله إننا لا ننكر فضل الصحابه و سوابقهم و لسنا كالإماميه الذين يحملهم الهوى على جحد الأمور المعلومه و لكننا ننكر تفضيل أحد من الصحابه على علي بن أبي طالب و لسنا ننكر غير ذلك و ننكر تعصب الجاحظ للعثمانيه و قصده إلى فضائل هذا الرجل و مناقبه بالرد و الإبطال و أما حمزه فهو عندنا ذو فضل عظيم و مقام جليل و هو سيد الشهداء الذين استشهدوا على عهد رسول الله ص

ص: ٢٧٥

١-١) سورة الحديد ٢٠.

٢-٢) العثمانيه ٣٧، مع تصرف و اختصار.

و أما فضل عمر فغير منكر وكذلك الزبير و سعد و ليس فيما ذكر ما يقتضى كون على ع مفضولا لهم أو لغيرهم إلا قوله و كل هذه الفضائل لم يكن لعلى ع فيها ناقه و لا جمل فإن هذا من التعصب البارد و الحيف الفاحش و قد قدمنا من آثار على ع قبل الهجرة و ما له إذ ذاك من المناقب و الخصائص ما هو أفضل و أعظم و أشرف من جميع ما ذكر لهؤلاء على أن أرباب السيره يقولون إن الشجّه التى شجها سعد و إن السيف الذى سلّه الزبير هو الذى جلب الحصار فى الشعب على النبى ص و بنى هاشم و هو الذى سير جعفرًا و أصحابه إلى الحبشه و سل السيف فى الوقت الذى لم يؤمر المسلمون فيه بسل السيف غير جائز قال تعالى أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ (١) فتبين أن التكليف له أوقات فمنها وقت لا يصلح فيه سل السيف و منها وقت يصلح فيه و يجب فأما قوله تعالى لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ فَقَدْ ذَكَرْنَا مَا عِنْدَنَا مِنْ دَعْوَاهُمْ لِأَبِي بَكْرٍ إِنْفَاقَ الْمَالِ وَ أَيْضًا إِنْفَاقَ الْمَالِ مَفْرَدًا وَ إِنَّمَا قَرْنَ بِهِ الْقِتَالَ وَ لَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ صَاحِبَ قِتَالٍ وَ حَرْبٍ فَلَا تَشْمَلُهُ الْآيَةُ وَ كَانَ عَلَى ع صَاحِبَ قِتَالٍ وَ إِنْفَاقٍ قَبْلَ الْفَتْحِ أَمَا قِتَالُهُ فَمَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ وَ أَمَا إِنْفَاقُهُ فَقَدْ كَانَ عَلَى حَسَبِ حَالِهِ وَ فَقْرِهِ وَ هُوَ الَّذِى أَطْعَمَ الْأَطْعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا وَ أَنْزَلَتْ فِيهِ وَ فِي زَوْجَتِهِ وَ ابْنِهِ سُورَةُ (٢) كَامِلَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَ هُوَ الَّذِى مَلَكَ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمٍ فَأَخْرَجَ مِنْهَا دَرَاهِمًا سَرًّا وَ دَرَاهِمًا عَلَانِيَةً لَيْلًا ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهَا فِي النَّهَارِ دَرَاهِمًا سَرًّا وَ دَرَاهِمًا عَلَانِيَةً فَأَنْزَلَ فِيهِ قَوْلَهُ تَعَالَى الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً (٣) وَ هُوَ الَّذِى قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاهُ صَدَقَهُ

ص: ٢٧٤

١-١) سورة النساء ٧٧.

٢-٢) زعم بعض غلاة الشيعة، أنه أنزلت فيهم سورة مختلفه، و انظر فصل الخطاب لحسين بن محمد الطبرسى ١٥٦، و حواشى ملحق العثمانيه ٣١٩.

٣-٣) سورة البقره ٢٤٧.

دون المسلمين كافة و هو الذى تصدق بخاتمه و هو راع فأنزل الله فيه إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (١).

قال الجاحظ و الحجة العظمى للقائلين بتفضيل على ع قتله الأقران و خوضه الحرب و ليس له فى ذلك كبير فضيله لأن كثره القتل و المشى بالسيف إلى الأقران لو كان من أشد المحن و أعظم الفضائل و كان دليلا على الرئاسه و التقدم لوجب أن يكون للزبير و أبى دجانه و محمّد بن مسلمه و ابن عفراء و البراء بن مالك من الفضل ما ليس لرسول الله ص لأنه لم يقتل بيده إلا رجلا-واحدا و لم يحضر الحرب يوم بدر و لا- خالط الصفوف و إنما كان معتزلا عنهم فى العريش و معه أبو بكر و أنت ترى الرجل الشجاع قد يقتل الأقران و يجندل الأبطال و فوقه من العسكر من لا يقتل و لا يبارز و هو الرئيس أو ذوى الرأى و المستشار فى الحرب لأن للرؤساء من الأ-كتراث و الاهتمام و شغل البال و العناية و التفقد ما ليس لغيرهم و لأن الرئيس هو المخصوص بالمطالبة و عليه مدار الأمور و به يستبصر المقاتل و يستنصر و باسمه ينهزم العدو و لو لم يكن له إلا أن الجيش لو ثبت و فر هو لم يغن ثبوت الجيش كله و كانت الدبره عليه و لو ضيع القوم جميعا و حفظ هو لانتصر و كانت الدوله له و لهذا لا يضاف النصر و الهزيمه إلا- إليه ففضل أبى بكر بمقامه فى العريش مع رسول الله يوم بدر أعظم من جهاد على ع ذلك اليوم و قتله أبطال قريش .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله لقد أعطى أبو عثمان مقولا و حرم معقولا إن كان

ص: ٢٧٧

يقول هذا على اعتقاد و جد و لم يذهب به مذهب اللعب و الهزل أو على طريق التفاسح و التشادق و إظهار القوه و السلاطه و ذلاقه اللسان و حده الخاطر و القوه على جدال الخصوم أ لم يعلم أبو عثمان أن رسول الله ص كان أشجع البشر و أنه خاض الحروب و ثبت فى المواقف التى طاشت فيها الألباب و بلغت القلوب الحناجر فمنها

٣٧٩٣

١٤,١- يَوْمَ أُحُدٍ وَ وَقُوفُهُ بَعِيدٌ أَنْ فَرَّ الْمُسَيْلِمُونَ بِأَجْمَعِهِمْ وَ لَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا أَرْبَعَةٌ عَلِيٌّ وَ الزُّبَيْرُ وَ طَلْحَةُ وَ أَبُو دُجَانَةَ فَقَاتَلَ وَ رَمَى بِالنَّبِيلِ حَتَّى فَنِيَتْ نَبْلُهُ وَ انْكَسِرَتْ سَيْمُهُ قَوْسِهِ وَ انْقَطَعَ وَ تَرَاهُ فَاَمَرَ عَكَاشَهُ بِنِ مِحْصَنِ أَنْ يُوتِرَهَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا يَبْلُغُ الْوَتْرَ فَقَالَ أُوتِرَ مَا بَلَغَ قَالَ عَكَاشَهُ فَوَ الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَقَدْ أُوتِرْتُ حَتَّى بَلَغَ وَ طَوَيْتُ مِنْهُ شَيْبَةً عَلَى سَيْمِهِ الْقَوْسِ ثُمَّ أَخَذَهَا فَمَا زَالَ يَزِمِيهِمْ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى قَوْسِهِ قَدْ تَحَطَّمَتْ وَ بَارَزَ أَبِي بِنِ خَلْفٍ فَقَالَ لَهُ أَضِيحَابُهُ إِنْ شِئْتُمْ عَطَفَ عَلَيْهِ بَعْضُنَا فَأَبَى وَ تَنَاوَلَ الْحَزْبَةَ مِنْ آلِ خَارِثِ بِنِ الصَّمَةِ ثُمَّ انْتَقَضَ بِأَضِيحَابِهِ كَمَا يَنْتَقِضُ الْبُعِيرُ فَالُوا فَتَطَايَرْنَا عَنْهُ تَطَايِرَ الشَّعَارِيرِ (١) فَطَعَنَهُ بِالْحَزْبَةِ فَجَعَلَ يَخُورُ كَمَا يَخُورُ الثَّوْرُ وَ لَوْ لَمْ يَدُلَّ عَلَى ثَبَاتِهِ حِينَ انْهَزَمَ أَضِيحَابُهُ وَ تَرَكَوهُ إِلَّا قَوْلُهُ تَعَالَى إِذْ تُصِىءُ عُدُونَ وَ لَا تَلُؤُونَ عَلَى أُحُدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِى أُخْرَاكُمْ

(٢)

فكونه ع فى أخراهم و هم يصعدون و لا يلوون هاربين دليل على أنه ثبت و لم يفر

٣٧٩٤

١٤,١- وَ تَبَيَّتْ يَوْمَ حُتَيْنٍ فِى تَشِيْعِهِ مِنْ أَهْلِهِ وَ رَهْطِهِ الْمَأْدُنِينَ وَ قَدْ فَرَّ الْمُسَيْلِمُونَ كُلَّهُمْ وَ النَّفَرُ الشَّيْعَةُ مُخِِدْفُونَ بِه الْعَبَّاسُ آخِذٌ بِحَكْمِهِ بَعْلَتِهِ وَ عَلِيٌّ بَيْنَ يَدَيْهِ مُصِيبَتْ سَيْفُهُ وَ الْيَأْقُونَ حَوْلَ بَعْلِهِ رَسُولِ اللَّهِ ص يَمْنَهُ وَ يَسِيرَةَ وَ قَدْ انْهَزَمَ الْمُهَاجِرُونَ وَ الْأَنْصَارُ وَ كَلَّمَا فَرُّوا أَقْدَمَ هُوَ ص يَمْنَهُ وَ يَسِيرَةَ وَ قَدْ انْهَزَمَ الْمُهَاجِرُونَ وَ الْأَنْصَارُ وَ كَلَّمَا فَرَّ وَ أَقْدَمَ هُوَ ص وَ صِيَمَمَ مُسْتَقْدِمًا يَلْقَى الشُّيُوفَ وَ النَّبَالَ بِنَحْرِهِ وَ صَدْرِهِ ثُمَّ أَخَذَ كَفًّا مِنْ

ص: ٢٧٨

١- (١) الشعارير: ما يجتمع على دبره البعير من الذبان، فإذا هيجت تطايرت عنها.

٢- (٢) سورة آل عمران ١٥١.

١١٤- الخَبْرُ الْمَشْهُورُ عَنْ عَلِيٍّ ع وَ هُوَ أَشْجَعُ الْبَشَرِ كُنَّا إِذَا اشْتَدَّ الْبَأْسُ وَ حَمِيَ الْوَطِيسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ص وَ لُذْنَا بِهِ .

فكيف يقول الجاحظ إنه ما خاض الحرب ولا خالط الصفوف وأى فريه أعظم من فريه من نسب رسول الله ص إلى الإحجام واعتزال الحرب ثم أى مناسبه بين أبى بكر و رسول الله ص فى هذا المعنى ليقيسه و ينسبه إلى رسول الله ص صاحب الجيش و الدعوه و رئيس الإسلام و المله و الملحوظ بين أصحابه و أعدائه بالسياده و إليه الإيماء و الإشاره و هو الذى أحقق قريشا و العرب و ورى أكبادهم بالبراءه من آلهتهم و عيب دينهم و تضليل أسلافهم ثم وترهم فيما بعد بقتل رؤسائهم و أكابرهم و حقّ لمتله إذا تنحى عن الحرب و اعتزلها أن يتنحى و يعتزل لأمن ذلك شأن الملوك و الرؤساء إذا كان الجيش منوطا بهم و ببقائهم فمتى هلك الملك هلك الجيش و متى سلم الملك أمكن أن يبقى عليه ملكه و إن عطب جيشه فإنه يستجد جيشا آخر و لذلك نهى الحكماء أن يباشر الملك الحرب بنفسه و خطئوا الإسكندر لما بارز قوسرا ملك الهند و نسبوه إلى مجانبه الحكمه و مفارقه الصواب و الحزم فليقل لنا الجاحظ أى مدخل لأبى بكر فى هذا المعنى و من الذى كان يعرفه من أعداء الإسلام ليقصده بالقتل و هل هو إلا واحد من عرض المهاجرين حكمه حكم عبد الرحمن بن عوف و عثمان بن عفان و غيرهما بل كان عثمان أكثر منه صيتا و أشرف منه مركبا و العيون إليه أطمح و العدو إليه أحق و أكلب و لو قتل أبو بكر فى بعض تلك المعارك هل كان يؤثر قتله فى الإسلام ضعفا أو يحدث فيه وهنا أو يخاف على المله لو قتل أبو بكر فى بعض تلك الحروب أن تندرس و تعفى آثارها و ينطمس منارها ليقول الجاحظ إن أبا بكر كان حكمه حكم رسول الله ص فى مجانبه الحروب و اعتزالها نعوذ بالله من الخذلان و قد علم العقلاء كلهم ممن له

بالسير معرفه و بالأثار و الأخبار ممارسه حال حروب رسول الله ص كيف كانت و حاله ع فيها كيف كان و وقوفه حيث وقف و حربيه حيث حارب و جلوسه فى العريش يوم جلس و إن وقوفه ص وقوف رئاسه و تدبير و وقوف ظهر و سند يتعرف أمور أصحابه و يحرس صغيرهم و كبيرهم بوقوفه من ورائهم و تخلفه عن التقدم فى أوائلهم لأنهم متى علموا أنه فى أخراهم اطمأنت قلوبهم و لم تتعلق بأمره نفوسهم فيشتغلوا بالاهتمام به عن عدوهم و لا يكون لهم فئه يلجئون إليها و ظهر يرجعون إليه و يعلمون أنه متى كان خلفهم تفقد أمورهم و علم مواقفهم و آوى كل إنسان مكانه فى الحمايه و النكايه و عند المنازله فى الكر و الحمله فكان وقوفه حيث وقف أصلح لأمرهم و أحمى و أحرس لبيضتهم و لأنه المطلوب من بينهم إذ هو مدبر أمورهم و والى جماعتهم ألا ترون أن موقف صاحب اللواء موقف شريف و أن صلاح الحرب فى وقوفه و أن فضيلته فى ترك التقدم فى أكثر حالاته فللرئيس حالات الأولى حاله يتخلف و يقف آخرًا ليكون سندا و قوه و رداء و عده و ليتولى تدبير الحرب و يعرف مواضع الخلل.

و حاله الثانيه يتقدم فيها فى وسط الصف ليقوى الضعيف و يشجع الناكص (١).

و حاله ثالثه و هى إذا اصطدم الفيلقان و تكافح السيفان اعتمد ما تقتضيه الحال من الوقوف حيث يستصلح أو من مباشره الحرب بنفسه فإنها آخر المنازل و فيها تظهر شجاعه الشجاع النجد و فساله الجبان المموه.

فأين مقام الرئاسة العظمى لرسول الله ص و أين منزله أبى بكر ليسوى بين المتزلتين و يناسب بين الحاليتين.

و لو كان أبو بكر شريكا لرسول الله ص فى الرساله و ممنوحا من الله

ص : ٢٨٠

(١ - ١) ب: «الناكص».

بفضيله النبوه و كانت قريش و العرب تطلبه كما تطلب محمدا ص و كان يدبر من أمر الإسلام و تسريب العساكر و تجهيز السرايا و قتل الأعداء ما يدبره محمد ص لكان للجاحظ أن يقول ذلك فأما و حاله حاله و هو أضعف المسلمين جنانا و أقلهم عند العرب تره لم يرم قط بسهم و لا سل سيفا و لا أراق دما و هو أحد الأتباع غير مشهور و لا معروف و لا طالب و لا مطلوب فكيف يجوز أن يجعل مقامه و منزلته مقام رسول الله ص و منزلته

٣٧٩٦

١٤- وَ لَقَدْ خَرَجَ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ فَرَأَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَامَ مَغِيظًا عَلَيْهِ فَسَلَّ مِنَ السَّيْفِ مِقْدَارَ إصْبَعٍ يُرِيدُ الْبُرُوزَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص يَا أَبَا بَكْرٍ شِمٌّ سَيْفِكَ (١) وَ أَمْتَعْنَا بِنَفْسِكَ .

و لم يقل له و أمتعنا بنفسك إلا لعلمه بأنه ليس أهلا للحرب و ملاقاته الرجال و أنه لو بارز لقتل.

و كيف يقول الجاحظ لا فضيله لمباشره الحرب و لقاء الأقران و قتل أبطال الشرك و هل قامت عمدة الإسلام إلا على ذلك و هل ثبت الدين و استقر إلا- بذلك أتراه لم يسمع قول الله تعالى إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صِفًا كَانَهُمْ بَيِّنَاتٍ مَرْصُوصٌ (٢) و المحبه من الله تعالى هي إرادته الثواب فكل من كان أشد ثبوتا في هذا الصف و أعظم قتالا كان أحب إلى الله و معنى الأفضل هو الأكثر ثوابا فعلى ع إذا هو أحب المسلمين إلى الله لأنه أثبتهم قدما في الصف المرصوص لم يفر قط بإجماع الأمة و لا بارزه قرن إلا قتله.

أتراه لم يسمع قول الله تعالى وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٣) و قوله إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ

ص: ٢٨١

١- ١) شم سيفك، أى أغمده؛ و هو من الأضداد.

٢- ٢) سورة الصف ٤.

٣- ٣) سورة النساء ٩٥.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ

(١)

ثم قال سبحانه مؤكدا لهذا البيع و الشراء و مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٢)
و قال الله تعالى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصَدِّقُونَ بِيَعْتَهُمْ ظَمًا وَ لَا نَصَبًا وَ لَا مَحْمَصَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا يَطُؤُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَ لَا يَتَأَلَوْنَ مِنْ
عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ (٣).

فمواقف الناس في الجهاد على أحوال و بعضهم في ذلك أفضل من بعض دلف إلى الأقران و استقبال السيوف و الأسنة
كان أثقل على أكتاف الأعداء لشده نكايته فيهم ممن وقف في المعركة و أعان و لم يقدم و كذلك من وقف في المعركة و
أعان و لم يقدم إلا أنه بحيث تناله سهام و النبل أعظم غناء و أفضل ممن وقف حيث لا يناله ذلك و لو كان الضعيف و الجبان
يستحقان الرئاسة بقله بسط الكف و ترك الحرب و أن ذلك يشاكل فعل النبي ص لكان أوفر الناس حظا في الرئاسة و أشدهم
لها استحقاقا حسان بن ثابت و إن بطل فضل على ع في الجهاد لأن النبي ص كان أقلهم قتالا كما زعم الجاحظ لبيطلن على هذا
القياس فضل أبي بكر في الإنفاق لأن رسول الله ص كان أقلهم مالا.

و أنت إذا تأملت أمر العرب و قريش و نظرت السير و قرأت الأخبار عرفت أنها كانت تطلب محمدا ص و تقصد قصده و تروم
قتله فإن أعجزها و فاتها طلبت عليا ع و أرادت قتله لأنه كان أشبههم بالرسول حالا و أقربهم منه قريبا و أشدهم عنه دفعا و أنهم
متى قصدوا عليا فقتلوه أضعفوا أمر محمد ص و كسروا شوكته إذ كان أعلى من ينصره في البأس و القوه و الشجاعة

ص: ٢٨٢

١-١) سورة التوبة ١١١.

١-٢) سورة التوبة ١١١.

١٤,١- قَوْلِ عْتَبَةَ بِنِ رَبِيعَةَ يَوْمَ يَدْرِ وَ قَدْ خَرَجَ هُوَ وَ أَخُوهُ شَيْبَةُ وَ ابْنُهُ الْوَلِيدُ بِنُ عْتَبَةَ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ الرَّسُولَ نَفْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَاسْتَنْسَبُوا لَهُمْ فَأَتَسَّ بِوَا لَهُمْ فَصَالُوا ارْجِعُوا إِلَى قَوْمِكُمْ ثُمَّ نَادَوْا يَا مُحَمَّدُ أَخْرِجِ إِلَيْنَا أَكْفَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا فَقَالَ النَّبِيُّ ص لِأَهْلِهِ الْأَذْنِينَ قَوْمُوا يَا بَنِي هَاشِمٍ فَأَنْصُرُوا حَقَّكُمْ الَّذِي آتَاكُمْ اللَّهُ عَلَى بَاطِلٍ هَؤُلَاءِ قُمْ يَا عَلِيُّ قُمْ يَا حَمْزَةُ قُمْ يَا عُبَيْدُهُ

ألا ترى ما جعلت هند بنت عتبة لمن قتله يوم أحد لأنه اشترك هو و حمزه في قتل أبيها يوم بدر ألم تسمع قول هند ترثي أهلها ما كان عن عتبة لى من صبر

و ذلك لأنه قتل أخاها الوليد بن عتبة و شرك في قتل أبيها عتبة و أما عمها شيبه فإن حمزه تفرد بقتله.

١٤,١- وَقَالَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ لَوْحِيَّتِي مَوْلَاهُ يَوْمَ أُحُدٍ إِنْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا فَأَنْتَ حُرٌّ وَإِنْ قَتَلْتَ عَلِيًّا فَأَنْتَ حُرٌّ وَإِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ فَأَنْتَ حُرٌّ فَقَالَ أَمَّا مُحَمَّدٌ فَسَيَمْنَعُهُ أَصِيحَابُهُ وَ أَمَّا عَلِيُّ فَرَجُلٌ حَيِّدٌ كَثِيرُ الْإِلْتِمَاتِ فِي الْحَرْبِ وَ لَكِنِّي سَأَقْتُلُ حَمْزَةَ فَفَعِدَ لَهُ وَ زَرَفَهُ بِالْحَرْبِ فَفَتَلَهُ

و لما قلنا من مقاربه حال على ع في هذا الباب لحال رسول الله ص و مناسبتها إياها ما وجدناه في السير و الأخبار من إشفاق رسول الله ص و حذره عليه و دعائه له بالحفظ و السلامه

١٤,١- قَالَ ص يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَ قَدْ بَرَزَ عَلِيُّ إِلَى عَمْرٍو وَ رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ بِمَحْضَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخَذْتَ مِنِّي

يَوْمَ أُحُدٍ وَ عُبَيْدَةَ يَوْمَ بَدْرٍ فَاحْفَظْ الْيَوْمَ عَلَيَّ عَلِيًّا رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (١) وَإِذْ لَكَ ضَنْ بِهٍ عَنِ مُبَارَزِهِ عَمْرٍو حِينَ دَعَا عَمْرٍو النَّاسَ إِلَى نَفْسِهِ مِرَارًا فِي كُلِّهَا يَحْجُمُونَ وَيُقَدِّمُ عَلَيَّ فَيَسْأَلُ الْإِذْنَ لَهُ فِي الْبِرَازِ حَتَّى قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص إِنَّهُ عَمْرٍو فَقَالَ وَ أَنَا عَلِيُّ فَأَذْنَاهُ وَقَبَّلَهُ وَ عَمَّمَهُ بِعِمَامَتِهِ وَ خَرَجَ مَعَهُ خُطَوَاتٍ كَالْمُودِّعِ لَهُ الْقَلِقِ لِحَالِهِ الْمُنْتَظِرِ لِمَا يَكُونُ مِنْهُ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ ص رَافِعًا يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ مُسْتَقْبِلًا لَهَا بِوَجْهِهِ وَ الْمُسْلِمُونَ صِيمُوتُ حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمْ الطَّيْرُ حَتَّى ثَارَتِ الْعَبْرَةُ وَ سَمِعُوا التَّكْبِيرَ مِنْ تَحْتِهَا فَعَلِمُوا أَنَّ عَلِيًّا قَتَلَ عَمْرٍو فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ كَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ تَكْبِيرَهُ سَمِعَهَا مِنْ وَرَاءِ الْخَنْدَقِ مِنْ عَسَاكِرِ الْمَشْرِكِينَ

٣٨٠٠

١- وَ لِذَلِكَ قَالَ حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ لَوْ قَسِمْتُ فَصِيلَهُ عَلِيٌّ ع بِقَتْلِ عَمْرٍو يَوْمَ الْخَنْدَقِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِأَجْمَعِهِمْ لَوْ سَعْتُهُمْ .

٣٨٠١

١- وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ قَالَ بَعْلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

(٢)

قال الجاحظ على أن مشى الشجاع بالسيف إلى الأقران ليس على ما توهمه من لا يعلم باطن الأمر لأن معه في حال مشيه إلى الأقران بالسيف أمورا أخرى لا يبصرها الناس و إنما يقضون على ظاهر ما يرون من إقدامه و شجاعته فربما كان سبب ذلك الهوج و ربما كان الغراره و الحدائه و ربما كان الإحراج و الحميه و ربما كان لمحبه النفخ و الأحداثه و ربما كان طباعا كطباع القاسى و الرحيم و السخى و البخيل (٣)

ص: ٢٨٤

١-١) سورة الأنبياء ٨٩.

٢-٢) سورة الأحزاب ٢٥.

٣-٣) العثمانية ٤٧، مع تصرف و اختصار.

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله فيقال للجاحظ فعلى أيها كان مشى على بن أبي طالب إلى الأقران بالسيف فأيا قلت من ذلك بانت عداوتك لله تعالى و لرسوله و إن كان مشيه ليس على وجه ممّا ذكرت و إنّما كان على وجه النصره و القصد إلى المسابقه إلى ثواب الآخره و الجهاد فى سبيل الله و إعزاز الدين كنت بجميع ما قلت معاندا و عن سبيل الإنصاف خارجا و فى إمام المسلمين طاعنا و إن تطرق مثل هذا الوهم على على ع ليتطرقن مثله على أعيان المهاجرين و الأنصار أرباب الجهاد و القتال الذين نصرّوا رسول الله ص بأنفسهم و وقوه بمهجهم و فدوه بأبنائهم و آبائهم فلعل ذلك كان لعله من العلل المذكوره و فى ذلك الطعن فى الدين و فى جماعه المسلمين .

و لو جاز أن يتوهم هذا فى على ع و فى غيره لما

٣٨٠٢

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص حِكَايَةُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَهْلِ بَدْرٍ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ.

و لا

٣٨٠٣

قَالَ لِعَلِيِّ ع بَرَزَ الْإِيمَانُ كُلُّهُ إِلَى الشُّرْكِ كُلِّهِ.

و لا قال أوجب طلحه (١) .

و قد علمنا ضروره من دين الرسول ص تعظيمه لعلى ع تعظيما دينيا لأجل جهاده و نصرته فالطاعن فيه طاعن فى رسول الله ص إذ زعم أنه قد يمكن أن يكون جهاده لا لوجه الله تعالى بل لأمر آخر من الأمور التى عددها و بعثه على التفوه بها إغواء الشيطان و كيده و الإفراط فى عداوه من أمر الله بمحبته و نهى عن بغضه و عداوته.

ص: ٢٨٥

(١-١) أوجب طلحه، أى عمل عملا يدخله الجنه.

أ ترى رسول الله ص خفى عليه من أمر على ع ما لاح للجاحظ و العثمانيه فمدحه و هو غير مستحق للمدح.

قال الجاحظ فصاحب النفس المختاره المعتدله يكون قتاله طاعه و فراره معصيه لأن نفسه معتدله كالميزان فى استقامه لسانه و كفتيه فإذا لم يكن كذلك كان إقدامه طباعا و فراره طباعا (١).

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله فيقال له فلعل إنفاق أبي بكر على ما تزعم أربعين ألف درهم لا ثواب له لأن نفسه ربما تكون غير معتدله لأنه يكون مطبوعا على الجود و السخاء و لعل خروج مع النبي ص يوم الهجرة إلى الغار لا ثواب له فيه لأن أسبابه كانت له مهيجه و دواعيه غالبه محبه الخروج و بغض المقام و لعل رسول الله ص فى دعائه إلى الإسلام و إكبابه على الصلوات الخمس فى جوف الليل و تدبيره أمر الأمة لا ثواب له فيه لأنه قد تكون نفسه غير معتدله بل يكون فى طباعه الرئاسه و حبها و العباده و الالتذاذ بها و لقد كنا نعجب من مذهب أبي عثمان أن المعارف ضروره و أنها تقع طباعا و فى قوله بالتولد و حركه الحجر بالطبع حتى رأينا من قوله ما هو أعجب منه فرعم أنه ربما يكون جهاد على ع و قتله المشركين لا ثواب له فيه لأنه فعله طبعا و هذا أطرف من قوله فى المعرفه و فى التولد.

قال الجاحظ و وجه آخر أن عليا لو كان كما يزعم شيعته ما كان له بقتل الأقران كبير فضيله و لا عظيم طاعه لأنه قد

٣٨٠٤

رُويَ عَنِ النَّبِيِّ ص أَنَّهُ قَالَ لَهُ

ص: ٢٨٦

(١ - ١) انظر العثمانيه ٤٧،٤٨.

سَتَقَاتِلُ بَعْدِي النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ .

فإذا كان قد وعده بالبقاء بعده فقد وثق بالسلامه من الأقران و علم أنه منصور عليهم و قاتلهم فعلى هذا يكون جهاد طلحه و الزبير أعظم طاعه منه (١) .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله هذا راجع على الجاحظ في النبي ص لأن الله تعالى قال له وَاللَّهُ يَعْصِي مَمَّكَ مِنَ النَّاسِ (٢) فلم يكن له في جهاده كبير طاعه و كثير طاعه و

٣٨٠٥

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَزِيءُ عَنْهُ ص افْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ .

فوجب أن يبطل جهادهما و

٣٨٠٦

قَدْ قَالَ لِلزُّبَيْرِ سَتَقَاتِلُ عَلِيًّا وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ .

فأشعره بذلك أنه لا يموت في حياه رسول الله ص و قال في الكتاب العزيز لطلحه و مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لَا أَنْ تَنْكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ قَالُوا نَزَلَتْ فِي طَلْحَةَ فَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ أَنَّهُ يَبْقَى بَعْدَهُ فُوجِبَ أَلَا يَكُونُ لَهُمَا كَبِيرُ ثَوَابٍ فِي الْجِهَادِ وَ الَّذِي صَحَّ عِنْدَنَا مِنَ الْخَبَرِ

٣٨٠٧

وَ هُوَ قَوْلُهُ سَتَقَاتِلُ بَعْدِي النَّاكِثِينَ .

أنه قال لما وضعت الحرب أوزارها و دخل الناس في دين الله أفواجا و وضعت الجزية و دانت العرب قاطبه.

قال الجاحظ ثم قصد الناصرون لعلى و القائلون بتفضيله إلى الأقران الذين قتلهم فأطروهم و غلوا فيهم و ليسوا هناك فمنهم عمرو بن عبد ود تركتموه أشجع من عامر بن الطفيل و عتبه بن الحارث و بسطام بن قيس و قد سمعنا بأحاديث حروب الفجار و ما كان بين قريش و دوس و حلف الفضول فما سمعت لعمرو بن عبد ود ذكرا في ذلك (٣) .

ص: ٢٨٧

١- (١) انظر العثمانية ٤٩،٥٠.

٢- (٢) سورة المائدة ٦٧.

٣- (٣) انظر العثمانية ٤٩،٥٠.

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله أمر عمرو بن عبد ود أشهر و أكثر من أن يحتج له فلنتمح كتب المغازى و السير و لينظر ما رثته به شعراء قريش لما قتل فمن ذلك ما ذكره محمّد بن إسحاق فى مغازيه قال و قال مسافع بن عبد مناف بن زهره بن حذافه بن جمح ييكى عمرو بن عبد الله بن عبد ود حين قتله على بن أبى طالب ع مبارزه لما جزع المذاد (١) أى قطع الخندق عمرو بن عبد كان أول فارس

و قال هبيرة بن أبى وهب المخزومى يعتذر من فراره عن على بن أبى طالب و تركه عمرا يوم الخندق و يبكيه

ص: ٢٨٨

١ - ١) المذاد، بالذال المعجمه: موضع بالمدينه حيث حفر الخندق، و فى ط: «المزار» تصحيف، و جزع، أى قطع.

لعمرك ما وليت ظهري محمدا

وقال هبيرة بن أبي وهب أيضا يرثي عمرا و يبيكيه لقد علمت عليا لؤي بن غالب

ص: ٢٨٩

فيا لهف نفسي إن عمرا لكائن

و قال حسان بن ثابت الأنصاري يذكر عمرا أمسى الفتى عمرو بن عبد ناظرا

و قال حسان أيضا لقد شقيت بنو جمح بن عمرو

فهذه الأشعار فيه بل بعض ما قيل فيه (١).

و أما الآثار و الأخبار فموجوده في كتب السير و أيام الفرسان و وقائعهم و ليس

ص: ٢٩٠

١-١) روايه البيت في ابن هشام: أمسى الفتى عمرو بن عبد يبتغى بجنوب يثرب ثأره لم ينظر.

أحد من أرباب هذا العلم يذكر عمرا إلا قال كان فارس قريش و شجاعها و إنما قال له حسان و لقد لقيت غداه بدر عصبه لأنه شهد مع المشركين بدرا و قتل قوما من المسلمين ثم فر مع من فر و لحق بمكّه و هو الذى كان قال و عاهد الله عند الكعبه ألا يدعوه أحد إلى واحده من ثلاث إلا أجابه و آثاره فى أيام الفجار مشهوره تنطق بها كتب الأيام و الوقائع و لكنه لم يذكر مع الفرسان الثلاثة و هم عتبه و بسطام و عامر لأنهم كانوا أصحاب غارات و نهب و أهل بادية و قريش أهل مدينه و ساكنو مدر و حجر لا يرون الغارات و لا ينهبون غيرهم من العرب و هم مقتصرون على المقام ببلدتهم و حمايه حرمهم فلذلك لم يشتهر اسمه كاشتهار هؤلاء.

و يقال له إذا كان عمرو كما تذكر ليس هناك فما باله

٣٨٠٨

١- لَمَّا جَزَعَ الْخَنْدَقَ (١) فِي سِتِّهِ فُرْسَانٍ هُوَ أَحَدُهُمْ فَصَارَ مَعَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص عَلَى أَرْضٍ وَاحِدَةٍ وَ هُمْ ثَلَاثَةٌ آلَافٍ وَ دَعَاهُمْ إِلَى الْبِرَازِ مِرَارًا لَمْ يَتْنَدِبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِلْخُرُوجِ إِلَيْهِ وَ لَا سَمِعَ مِنْهُمْ أَحَدٌ بِنَفْسِهِ حَتَّى وَبَّخَهُمْ وَ قَرَعَهُمْ وَ نَادَاهُمْ أَلَسْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا فِإِلَى النَّارِ وَ مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ فِإِلَى الْجَنَّةِ أَفَلَا يَشْتَأِقُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ يُقَدِّمَ عِدْوَهُ إِلَى النَّارِ فَجَبُّنَا كُلَّهُمْ وَ نَكَلُوا وَ مَلَكَهُمْ الرُّعْبُ وَ الْوَهْلُ فِيمَا أَنْ يَكُونَ هَذَا أَشْجَعَ النَّاسِ كَمَا قِيلَ عَنْهُ أَوْ يَكُونَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ أَجْبَنَ الْعَرَبِ وَ أَذْلَهُمْ وَ أَفْسَلَهُمْ وَ قَدْ رَوَى النَّاسُ كُلُّهُمْ الشُّعْرَ الَّذِي أَنْشَدَهُ لَمَّا نَكَلَ الْقَوْمُ بِجَمْعِهِمْ عَنْهُ وَ أَنَّهُ جَالَ بِفَرَسِهِ وَ اسْتَدَارَ وَ ذَهَبَ يَمْنَةً ثُمَّ ذَهَبَ يَسْرَةً ثُمَّ وَقَفَ تُجَاهَ الْقَوْمِ فَقَالَ وَ لَقَدْ بَحَحْتُ مِنَ النَّدَاءِ بِجَمْعِهِمْ هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ

ص: ٢٩١

١- (١) جزع الخندق، أى عبره.

وَوَقَفْتُ إِذْ جَبَنَ الْمُشَيِّعُ

فَلَمَّا بَرَزَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ أَجَابَهُ فَقَالَ لَهُ لَا تَعْجَلَنَّ فَقَدْ أَتَاكَ

و لعمرى لقد سبق الجاحظ بما قاله بعض جهال الأنصار

٣٨٠٩

١٤- لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ يَدْرِ وَقَالَ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ شَهِدَ مَعَهُ بَدْرًا إِنْ قَتَلْنَا إِلَّا عَجَائِزَ صُلَمَاءَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ص لَا تَقُلْ ذَلِكَ يَا ابْنَ أَخٍ أَوْلَيْكَ الْمَلَأُ

قال الجاحظ وقد أكثروا فى الوليد بن عتبة بن ربيعة قتيله يوم بدر و ما علمنا الوليد حضر حربا قط قبلها و لا ذكر فيها (١).

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله كل من دون أخبار قريش و آثار رجالها وصف الوليد بالشجاعه و البساله و كان مع شجاعته أنه يصارع الفتیان فيصرعهم و ليس لأنه لم يشهد حربا قبلها ما يجب أن يكون بطلا شجاعا فإن عليا ع لم يشهد قبل بدر حربا و قد رأى الناس آثاره فيها.

ص: ٢٩٢

قال الجاحظ وقد ثبت أبو بكر مع النبي ص يوم أحد كما ثبت على فلا فخر لأحدهما على صاحبه في ذلك اليوم.

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله أما ثباته يوم أحد فأكثر المؤرخين و أرباب السير ينكرونه

٣٨١٠

١٤١- وَ جُمُهورُهُمْ يَزَوِي أَنَّهُ لَمْ يَتَّقِ مَعَ النَّبِيِّ ص إِلَّا- عَلِيٌّ وَ طَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ وَ أَبُو دُجَانَةَ وَ قَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ وَ لَهُمْ خَامِسٌ وَ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَثْبَتَ سَادِساً وَ هُوَ الْمَقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو .

٣٨١١

١٤١- وَ رَوَى يَحْيَى بْنُ سَلَمَةَ بْنِ كَهَيْلٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي كَمْ ثَبَّتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ اثْنَانِ قُلْتُ مَنْ هُمَا قَالَ عَلِيٌّ وَ أَبُو دُجَانَةَ

و هب أن أبا بكر ثبت يوم أحد كما يدعيه الجاحظ أ يجوز له أن يقول ثبت كما ثبت على فلا فخر لأحدهما على الآخر و هو يعلم آثار على ع ذلك اليوم

٣٨١٢

١٤١- وَ أَنَّهُ قَتَلَ أَصْحَابَ الْأُلُوِيَةِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ مِنْهُمْ طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ الَّذِي رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ص فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ مُرَدِفٌ كَبِشاً فَمَاوَلَهُ وَ قَالَ كَبِشُ الْكَتِيبَةِ نَقُتْلُهُ فَلَمَّا قَتَلَهُ عَلِيٌّ ع مَيَّارِزَهُ وَ هُوَ أَوَّلُ قَتِيلٍ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ذَلِكَ الْيَوْمَ كَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ قَالَ هَذَا كَبِشُ الْكَتِيبَةِ.

وَ مَا كَانَ مِنْهُ مِنَ الْمُحَامِيَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ قَدْ فَرَّ النَّاسُ وَ اسْلَمُوهُ فَتَضَمُّدَ لَهُ كَتِيبَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَيَقُولُ يَا عَلِيُّ اكْفِنِي هَيْدِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا فَيَهْرُمُهَا وَ يَقْتُلُ عَمِيدَهَا حَتَّى سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ وَ الْمُشْرِكُونَ صَوْتاً مِنْ قِبَلِ السَّمَاءِ لَا سَيْفٍ إِلَّا دُو الْفَقَارِ وَ لَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ وَ حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ ص عَنْ جِبْرَائِيلَ مَا قَالَ

أ تكون هذه آثاره و أفعاله ثم يقول الجاحظ لا فخر لأحدهما على صاحبه.

ص: ٢٩٣

قال الجاحظ و

٣٨١٣

١٤- لِأَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَقَامٌ مَشْهُورٌ خَرَجَ ابْنُهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَارِسًا مُكْفَرًا (٢) فِي الْحَدِيدِ يَسْأَلُ الْمُبَارَزَةَ وَيَقُولُ أَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتِيقٍ فَنَهَضَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ يَسْعَى بِسَيْفِهِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ص شِمَّ سَيْفِكَ وَارْجِعْ إِلَى مَكَانِكَ وَتَتَّعْنَا بِنَفْسِكَ

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله ما كان أعناك يا أبا عثمان عن ذكر هذا المقام المشهور لأبي بكر فإنه لو تسمعه الإمامية لأضافته إلى ما عندها من المثالب لأن قول النبي ص ارجع دليل على أنه لا يحتمل مبارزه أحد لأنه إذا لم يحتمل مبارزه ابنه و أنت تعلم حنو الابن على الأب و تبجيله له و إشفاقه عليه و كفه عنه لم يحتمل مبارزه الغريب الأجنبي.

و قوله له و متعنا بنفسك إيدان له بأنه كان يقتل لو خرج و رسول الله كان أعرف به من الجاحظ فأين حال هذا الرجل من حال الرجل الذي صلى بالحرب و مشى إلى السيف بالسيف فقتل الساده و القاده و الفرسان و الرجاله.

قال الجاحظ على أن أبا بكر و إن لم تكن آثاره في الحرب كآثار غيره فقد بذل الجهد و فعل ما يستطيعه و تبلغه قوته و إذا بذل المجهود فلا حال أشرف من حاله (٤).

ص: ٢٩٤

١-١) سورة الأعراف ٨٩.

٢-٢) أي مستترا.

٣-٣) العثمانية ٦٢.

٤-٤) العثمانية ٦٢.

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله أما قوله إنه بذل الجهد فقد صدق و أما قوله لا حال أشرف من حاله فخطأ لأن حال من بلغت قوته فأعملها في قتل المشركين أشرف من حال من نقصت قوته عن بلوغ الغايه ألا ترى أن حال الرجل أشرف في الجهاد من حال المرأه و حال البالغ الأيد أشرف من حال الصبيّ الضعيف.

فهذه جمله ما ذكره الشيخ أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي رحمه الله في نقض العثمانيه اقتصرنا عليها هاهنا و سنعود فيما بعد إلى ذكر جمله أخرى من كلامه إذا اقتضت الحال ذكره (1)

ص: ٢٩٥

١ - ١) قام الأستاذ عبد السلام هارون بطبع كتاب العثمانيه، طبعه علميه محققه، و ألحق بها ما عثر عليه من نقضها للاسكافي؛ و طبعت في دار الكتاب العربي سنه ١٩٥٥.

اشاره

و هو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينع ليقبل هتف الناس باسمه للخلافه بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل فقال ع يا
إِبْنَ عَبَّاسٍ مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحًا بِالْغُرَبِ أَقْبِلْ وَ أَدْبِرْ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدَمَ ثُمَّ هُوَ الْآنَ
يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ وَ اللَّهُ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِمًا .

ينبع

على يفعل مثل يحلم و يحكم اسم موضع كان فيه نخل لعلى بن أبى طالب ع و ينبع الآن بلد صغير من أعمال المدينة .

و هتف الناس باسمه نداؤهم و دعاؤهم و أصله الصوت يقال هتف الحمام يهتف هتفا و هتف زيد بعمر و هتافا أى صاح به و
قوس هتافه و هتفى أى ذات صوت .

و الناضح البعير يستقى عليه و قال معاوية لقيس بن سعد و قد دخل عليه

فى رهط من الأنصار ما فعلت نواضحكم يهزأ به فقال أنصباها فى طلب أيبك يوم بدر .

و الغرب الدلو العظيمه .

قوله أقبل و أدبر أى يقول لى ذلك كما يقال للناضح و قد صرح العباس بن مرداس بهذه الألفاظ فقال أراك إذا أصبحت للقوم ناضحا يقال له بالغرب أدبر و أقبل .

قوله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثما يحتمل أن يريد بالغت و اجتهدت فى الدفاع عنه حتى خشيت أن أكون آثما فى كثره مبالغتى و اجتهادى فى ذلك و إنه لا يستحق الدفاع عنه لجرائمه و أحداثه و هذا تأويل من ينحرف عن عثمان و يحتمل أن يريد لقد دفعت عنه حتى كدت أن ألقى نفسى فى الهلكه و أن يقتلنى الناس الذين ثاروا به فخفت الإثم فى تغريرى بنفسى و توريطها فى تلك الورطه العظيمه و يحتمل أن يريد لقد جاهدت الناس دونه و دفعتهم عنه حتى خشيت أن أكون آثما بما نلت منهم من الضرب بالسوط و الدفع باليد و الإعانه بالقول أى فعلت من ذلك أكثر مما يجب

وصيه العباس قبل موته لعلی

٣٨١٤

١- قرأت فى كتاب صيئفه أبو حيان التوحيدى فى تقریظ الجاحظ قال نقلت من خط الصولى قال الجاحظ إن العباس بن عبد المطلب أوصى على بن أبى طالب ع فى علقته التى ميات فيها فقال أى بنى إنى مشف على الطعن عن الدنيا إلى الله الذى فاقبى إلى عفوه و تجوزره أكثر من حاجتى إلى ما أنصحك فيه و أشير عليك به

ص: ٢٩٧

وَ لَكِنَّ الْعِرْقَ نَبِيْوُصٌ (١) وَ الرَّحِمَ عَرُوْصٌ وَ اِذَا قَضَيْتَ حَقَّ الْعُمُوْمِهٖ فَلَا اَبَالِيْ بَعِيْدٍ اِنَّ هٰذَا الرَّجُلَ يَغْنِيْ عُثْمَانَ قَدْ جَاءَنِيْ مِرَارًا بِحَيْدِيْكَ وَ نَاطِرِنِيْ مُلَابِنًا وَ مُخَاشِيَةً نَا فِيْ اَمْرِكَ وَ لَمْ اَجِدْ عَلَيْكَ اِلَّا مِثْلَ مَا اَجِدُ مِنْكَ عَلَيَّ وَ لَا رَاَيْتُ مِنْهُ لَكَ اِلَّا مِثْلَ مَا اَجِدُ مِنْكَ لَهُ وَ لَسْتُ تُؤْتِيْ مِنْ قَلْبِهِ عِلْمٌ وَ لَكِنَّ مِنْ قَلْبِهِ قَبُوْلٌ وَ مَعَ هٰذَا كُلِّهِ فَالرَّأْيُ الَّذِيْ اُوْدِعُكَ بِهِ اَنْ تُمَسِكَ عَنْهُ لِسَانَكَ وَ يَدَكَ وَ هَمَزَكَ وَ غَمَزَكَ فَاِنَّهُ لَا يَبْدُوْكَ مَا لَمْ تَبْدَاْهُ وَ لَا يُجِيْبُكَ عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ وَ اَنْتَ الْمُتَجَنِّيْ وَ هُوَ الْمُتَأَنِّيْ وَ اَنْتَ الْعَائِبُ وَ هُوَ الصَّامِتُ فَاِنْ قُلْتَ كَيْفَ هٰذَا وَ قَدْ جَلَسَ مَجْلِسًا اَنَا بِهِ اَحَقُّ فَقَدْ قَارَبْتَ وَ لَكِنَّ ذَاكَ بِمَا كَسَبْتَ يَدَاكَ وَ نَكَصَ عَنْهُ عُقْبَاكَ لِاَنَّكَ بِالْاَمْسِ الْاٰذَنِيْ هَزَوْلْتَ اِلَيْهِمْ تَظُنُّ اَنَّهُمْ يَحْلُوْنَ جِيْدَكَ وَ يَخْتِمُوْنَ اِضْبَاعَكَ وَ يَطُوْنُ عَقِبَكَ وَ يَرُوْنَ الرُّشْدَ بِكَ وَ يَقُوْلُوْنَ لَا بُدَّ لَنَا مِنْكَ وَ لَا مَعِيْدَ لَنَا عَنْكَ وَ كَانَ هٰذَا مِنْ هَفْوَاتِكَ الْكُبْرِ وَ هَنَاتِكَ الَّتِيْ لَيْسَ لَكَ مِنْهَا عِيْدٌ وَ الْاَنَ بَعِيْدٌ مَا ثَلَّثْتَ عَرَشَكَ بِيَدِكَ وَ نَبَذْتَ رَاْيَ عَمَّكَ فِي الْبَيْدَاءِ يَتَدَهَّدُ (٢) فِي السَّافِيَاءِ (٣) خُذْ بِاِحْزَمٍ مِمَّا يَتَوَضَّحُ بِهِ وَجْهَ الْاَمْرِ لَا تُشَارَّ (٤) هٰذَا الرَّجُلُ وَ لَا تُمَارِهِ (٥) وَ لَا يَبْلُغْنَهُ عَنْكَ مَا يَحْنِقُهُ عَلَيْكَ فَاِنَّهُ اِنْ كَاشَفَكَ اَصَابَ اَنْصَارًا وَ اِنْ كَاشَفْتَهُ لَمْ تَرَ اِلَّا ضِرَارًا وَ لَمْ تَسْتَلِجْ (٦) اِلَّا عَثَارًا وَ اَعْرِفْ مَنْ هُوَ بِالشَّامِ لَهُ وَ مَنْ هَاهُنَا حَوْلَهُ مَنْ يُطِيعُ اَمْرَهُ وَ يَمْتَثِلُ قَوْلَهُ لَا تَغْتَرِرْ بِنَاسٍ يُطِيفُوْنَ بِكَ وَ يَدْعُوْنَ الْحَنُوْ عَلَيْكَ وَ الْحُبَّ لَكَ فَاِنَّهُمْ بَيْنَ مَوْلَى جَاهِلٍ وَ صَاحِبٍ مُتَمَنٍّ وَ جَلِيْسٍ يَرْعَى الْعَيْنَ وَ يَبْتَدِرُ الْمُحْضَرَ وَ لَوْ ظَنَّ النَّاسُ بِكَ مَا تَظُنُّ بِنَفْسِكَ لَكَانَ الْاَمْرُ لَكَ وَ الزَّمَامُ فِي يَدِكَ وَ لَكِنَّ هٰذَا حَدِيْثُ يَوْمِ مَرِيْضِ رَسُوْلِ اللّٰهِ ص فَاتَ [فَمَاتَ]

ثُمَّ حُرِّمَ الْكَلَامَ فِيْهِ حِيْنَ مَاتَ فَعَلَيْكَ الْاَنَ بِالْعُرُوْفِ عَنْ شَيْءٍ عَرَضَكَ

ص: ٢٩٨

١-١) كذا في ا،و نبوض: من نبض العرق ينبض نبوضاً، وهو ضرباته و في ب: «يبوض».

٢-٢) يتدهده: يتدحرج.

٣-٣) السافياء: الريح التي تحمل التراب.

٤-٤) يقال: شاراه مشاراه، إذا لاجه.

٥-٥) تماره: تجادله.

٦-٦) تستلج: تدخل.

لَهُ رَسُولٌ اللَّهُ ص فَلَمْ يَتَّعْ وَ تَصَدَّقَتْ لَهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَلَمْ يَسْتَقِمَّ وَ مَنْ سَاوَرَ الدَّهْرَ غَلِبَ وَ مَنْ حَرَصَ عَلَى مَمْنُوعٍ تَعَبَ فَعَلَى ذَلِكَ فَقَدْ أَوْصِيَتْ عَبْدَ اللَّهِ بِطَاعَتِكَ وَ بَعَثْتُهُ عَلَى مُتَابَعَتِكَ وَ أَوْجَزْتُهُ مَحَبَّتِكَ وَ وَجَدْتُ عِنْدَهُ مِنْ ذَلِكَ ظَنِّي بِهِ لَكَ لَا تُوتِرُ قَوْسَكَ إِلَّا بَعِيدَ الثَّقَةِ بِهَا وَ إِذَا أَعْجَبْتِكَ فَانظُرْ إِلَى سَبِيَّتِهَا ثُمَّ لَا تَفُوقُ إِلَّا بَعِيدَ الْعِلْمِ وَ لَا تُغْرِقُ فِي النَّزْعِ إِلَّا لِتَصِيْبِ الرِّمِيَّةِ وَ انظُرْ لَا تَطْرِفْ يَمِينَكَ عَيْنَكَ وَ لَا تُجِنِّ شِمَالَكَ شَيْئَكَ وَ دَعْنِي بِآيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْكَهْفِ وَ قُمْ إِذَا بَدَأَ لَكَ .

قلت الناس يستحسنون رأى العباس لعلى ع فى ألا يدخل فى أصحاب الشورى و أمّا أنا فإنى أستحسنه إن قصد به معنى و لا أستحسنه إن قصد به معنى آخر و ذلك لأنه إن أجرى بهذا رأى إلى ترفعه عليهم و علو قدره عن أن يكون مماثلا- لهم أو أجرى به إلى زهده فى الإمارة و رغبته عن الولاية فكل هذا رأى حسن و صواب و إن كان منزعه فى ذلك إلى أنك إن تركت الدخول معهم و انفردت بنفسك فى دارك أو خرجت عن المدينة إلى بعض أموالك فإنهم يطلبونك و يضربون إليك آباط الإبل حتى يولوك الخلافة و هذا هو الظاهر من كلامه فليس هذا رأى عندى بمستحسن لأنه لو فعل ذلك لولوا عثمان أو واحدا منهم غيره و لم يكن عندهم من الرغبة فيه ع ما يبعثهم على طلبه بل كان تأخره عنهم قره أعينهم و واقعا يثارهم فإن قريشا كلها كانت تبغضه أشدّ البغض و لو عمر عمر نوح و توصل إلى الخلافة بجميع أنواع التوصل كالزهد فيها تاره و المناشده بفضائله تاره و بما فعله فى ابتداء الأمر من إخراج زوجته و أطفاله ليلا إلى بيوت الأنصار و بما اعتمده إذ ذاك من تخلفه فى بيته و إظهار أنه قد انعكف على جمع القرآن و بسائر أنواع الحيل فيها لم تحصل له إلا بتجريد السيف كما فعل فى آخر الأمر و لست ألوّم العرب لا- سيما قريشا فى بغضها له و انحرافها عنه فإنه و ترها و سفك دماءها و كشف القناع فى منابذتها و نفوس العرب و أكبادهم كما تعلم

و ليس الإسلام بمانع من بقاء الأحقاد فى النفوس كما نشاهده اليوم عيانا و الناس كالناس الأول و الطباع واحده فأحسب أنك كنت من سنتين أو ثلاث جاهليا أو من بعض الروم و قد قتل واحد من المسلمين ابنك أو أخاك ثم أسلمت أ كان إسلامك يذهب عنك ما تجده من بغض ذلك القاتل و شنآنه كلا إن ذلك لغير ذاهب هذا إذا كان الإسلام صحيحا و العقيدة محققة لا كإسلام كثير من العرب فبعضهم تقليدا و بعضهم للطمع و الكسب و بعضهم خوفا من السيف و بعضهم على طريق الحميه و الانتصار أو لعداوه قوم آخرين من أضداد الإسلام و أعدائه.

و اعلم أن كل دم أرافقه رسول الله ص بسيف على ع و بسيف غيره فإن العرب بعد وفاته ع عصبت تلك الدماء بعلى بن أبى طالب ع وحده لأنه لم يكن فى رهطه من يستحق فى شرعهم و سنتهم و عادتهم أن يعصب به تلك الدماء إلا بعلى وحده و هذه عادة العرب إذا قتل منها قتلى طالبت بتلك الدماء القاتل فإن مات أو تعذرت عليها مطالبته طالبت بها أمثل الناس من أهله.

لما قتل قوم من بنى تميم أخا لعمر بن هند قال بعض أعدائه يحرض عمرا عليهم (١) من مبلغ عمرا بأن

ص: ٣٠٠

١ - ١) هو عمرو بن ملقط الطائى، و الأبيات فى تاريخ ابن الأثير ١: ٣٣٥، ضمن خبره عن يوم أواره الثانى، و هى أيضا فى اللسان ١١١: ٦.

فأمره أن يقتل زراره بن عدس رئيس بنى تميم و لم يكن قاتلا أخا الملك و لا حاضرا قتله.

و من نظر فى أيام العرب و وقائعها و مقاتلها عرف ما ذكرناه.

سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبى زيد رحمه الله فقلت له إننى لأعجب من على ع كيف بقى تلك المده الطويله بعد رسول الله ص و كيف ما اغتيل (١) و فتكك به فى جوف منزله مع تلظى الأكباد عليه.

فقال لو لا أنه أرغم أنفه بالتراب و وضع خده فى حضيض الأرض لقتل و لكنه أخمل نفسه و اشتغل بالعباده و الصلاه و النظر فى القرآن و خرج عن ذلك الزى الأول و ذلك الشعار و نسى السيف و صار كالفاتك يتوب و يصير سائحا فى الأرض أو راهبا فى الجبال و لما أطاع القوم الذين ولوا الأمر و صار أذل لهم من الحذاء تركوه و سكتوا عنه و لم تكن العرب لتقدم عليه إلا بمواطاه من متولى الأمر و باطن فى السر منه فلما لم يكن لولاه الأمر باعث و داع إلى قتله وقع الإمساك عنه و لو لا ذلك لقتل (٢) ثم أجل بعد معقل حصين.

فقلت له أ حق ما يقال فى حديث خالد فقال إن قوما من العلويه يذكرون ذلك.

ثم قال و قد روى أن رجلا جاء إلى زفر بن الهذيل صاحب أبى حنيفه فسأله عما يقول أبو حنيفه فى جواز الخروج من الصلاه بأمر غير التسليم نحو الكلام و الفعل الكثير أو الحدث فقال إنه جائز قد قال أبو بكر فى تشهده ما قال فقال الرجل

ص: ٣٠١

١- ١) ب: «ما قتل»، و أثبت ما فى ا.

٢- ٢) ب: «لقتله».

و ما الذى قاله أبو بكر قال لا عليك فأعاد عليه السؤال ثانية و ثالثة فقال أخرجوه أخرجوه قد كنت أحدث أنه من أصحاب أبي الخطاب .

قلت له فما الذى تقوله أنت قال أنا أستبعد ذلك و إن روته الإمامية .

ثم قال أما خالد فلا أستبعد منه الإقدام عليه بشجاعته فى نفسه و لبغضه إياه و لكنى أستبعده من أبي بكر فإنه كان ذا ورع و لم يكن ليجمع بين أخذ الخلافه و منع فذك و إغضاب فاطمه و قتل على ع حاش لله من ذلك فقلت له أ كان خالد يقدر على قتله قال نعم و لم لا يقدر على ذلك و السيف فى عنقه و على أعزل غافل عما يراد به قد قتله ابن ملجم غيله و خالد أشجع من ابن ملجم .

فسألته عما ترويه الإمامية فى ذلك كيف ألفاظه فضحك و قال كم عالم بالشىء و هو يسائل.

ثم قال دعنا من هذا ما الذى تحفظ فى هذا المعنى قلت قول أبي الطيب نحن أدرى و قد سألنا بنجد

فاستحسن ذلك و قال لمن عجز البيت الذى استشهدت به قلت لمحمد بن هانىء المغربى و أوله فى كل يوم أستريد تجاربا كم عالم بالشىء و هو يسائل (١).

فبارك على مرارا ثم قال نترك الآن هذا و نتمم ما كنا فيه و كنت أقرأ عليه فى ذلك الوقت جمهره النسب لابن الكلبي فعدنا إلى القراءه و عدلنا عن الخوض عما كان اعترض الحديث فيه

ص: ٣٠٢

٢٤٠ و من كلام له ع اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجره النبي ص ثم لحاقه به

فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ص فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرْجِ فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ.

[قال الرضى رحمه الله تعالى قوله ع فأطأ ذكره من الكلام الذى رمى به إلى غايتى الإيجاز و الفصاحة أراد أنى كنت أعطى خبره ص من بدء خروجى إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع فكنى عن ذلك بهذه الكنايه العجيبه]

العرج

منزل بين مكه و المدينه إليه ينسب العرجى الشاعر و هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أميه بن عبد شمس .

٣٨١٥

١٤,١- قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي لَمْ يُعْلَمَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَا كَانَ عَزَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَّا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَ أَبَا بَكْرٍ بْنَ أَبِي قُحَافَةَ أَمَا عَلِيُّ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَخْبَرَهُ بِخُرُوجِهِ وَ أَمَرَهُ أَنْ يَبِيتَ عَلِيَّ

ص: ٣٠٣

فَرَّاشِهِ يُخَادِعُ الْمُشْرِكِينَ عَنْهُ لِيَرَوْا أَنَّهُ لَمْ يَبْرَحْ فَلَا يَطْلُبُوهُ حَتَّى تَبْعِدَ الْمَسَافَةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ وَ أَنْ يَتَخَلَّفَ بَعْدَهُ بِمَكَّةَ حَتَّى يُؤَدِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صِ الْوَدَائِعَ الَّتِي عِنْدَهُ لِلنَّاسِ وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صِ اسْتَوْدَعَهُ رِجَالٌ مِنْ مَكَّةَ وَ دَائِعَ لَهُمْ لِمَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ أَمَانَتِهِ وَ أَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَخَرَجَ مَعَهُ

و سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد الحسنى رحمه الله فقلت إذا كانت قريش قد محصت رأيها و ألقى إليها إبليس كما روى ذلك الرأى و هو أن يضربوه بأسياف من أيدي جماعه من بطون مختلفه ليضيع دمه فى بطون قريش فلا- تطلبه بنو عبد مناف فلما ذا انتظروا به تلك الليلة الصبح

٣٨١٦

١- فَإِنَّ الرُّوَايَةَ جَاءَتْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا تَسَوَّرُوا الدَّارَ فَعَايَنُوا فِيهَا شَخْصًا مَسِيحِيًّا بِالْبُرْدِ الْحَضْرَمِيِّ الْأَخْضَرِ فَلَمْ يَشْكُوا أَنَّهُ هُوَ فَرَصَدُوهُ إِلَى أَنْ أَصْبَحُوا فَوَجَدُوهُ عَلِيًّا .

و هذا طريف لأنهم كانوا قد أجمعوا على قتله تلك الليلة فما بهم لم يقتلوا ذلك الشخص المسجى و انتظارهم به النهار دليل على أنهم لم يكونوا أرادوا قتله تلك الليلة فقال فى الجواب

٣٨١٧

١- لَقَدْ كَانُوا هُمُومًا مِنَ النَّهَارِ بِقَتْلِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَ كَانَ إِجْمَاعُهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَ عَزْمُهُمْ فِي حَقِّهِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لِأَنَّ الَّذِينَ مَحَّضُوا هَذَا الرَّأْيَ وَ اتَّفَقُوا عَلَيْهِ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ وَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَ زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِي أَسِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى وَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ وَ أَخُوهُ الْحَارِثُ وَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ وَ نَبِيَّهُ وَ مُنَبِّهُ ابْنَا الْحَبَّاجِ وَ عَمْرُو بْنُ الْعِيَّاصِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِي سَيْهَمٍ وَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ وَ أَخُوهُ أُبَيُّ بْنُ خَلْفٍ هَؤُلَاءِ مِنْ بَنِي جَمِيحٍ فَتَمَّ هَذَا الْخَبْرُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَى عَتَمَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ فَلَقِيَ مِنْهُمْ قَوْمًا فَتَهَاهُمْ عَنْهُ وَ قَالَ إِنَّ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا تُمْسِكُ عَنْ دَمِهِ وَ لَكِنْ صَفَّدُوهُ

ص: ٣٠٤

فِي الْحَدِيدِ وَ أَحْسُوهُ فِي دَارٍ مِنْ دُورِكُمْ وَ تَرَبَّصُوا بِهِ أَنْ يَصْرِيَهُ مِنَ الْمَوْتِ مَا أَصَابَ أَمْثَالَهُ مِنَ الشَّعْرَاءِ وَ كَانَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ سَيِّدَ بَنِي عَدِيٍّ شَمْسٍ وَ رَبِيسَهُمْ وَ هُمْ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ مَنَافٍ وَ بَنُو عَمِّ الرَّجِيلِ وَ رَهْطُهُ فَأَحْجَمَ أَبُو جَهْلٍ وَ أَصْدَحَابُهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَنْ قَتْلِهِ إِحْجَامًا ثُمَّ تَسَوَّرُوا عَلَيْهِ وَ هُمْ يَظُنُّونَهُ فِي الدَّارِ فَلَمَّا رَأَوْا إِنْسَانًا مُسَجَّيًّا بِالْبُرْدِ الْأَخْضَرِ الْحَضْرَمِيِّ لَمْ يَشْكُوا أَنَّهُ هُوَ وَ اتَّخَمُوا فِي قَتْلِهِ فَكَانَ أَبُو جَهْلٍ يَدْمُرُهُمْ (١) عَلَيْهِ فَيَهْمُونَ ثُمَّ يُحْجَمُونَ ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ارْمُوهُ بِالْحِجَارِ فَرَمَوْهُ فَجَعَلَ عَلِيٌّ يَتَصَوَّرُ مِنْهَا وَ يَتَقَلَّبُ وَ يَتَأَوَّهُ تَأَوُّهَا خَفِيفًا فَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ فِي إِقْدَامِ عَلَيْهِ وَ إِحْجَامِ عَنْهُ لِمَا يُرِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ سَيِّئَاتِهِ وَ نَجَاتِهِ حَتَّى أَصْبَحَ وَ هُوَ وَقِيدٌ (٢) مِنْ رَمِي الْحِجَارِ

و لو لم يخرج رسول الله ص إلى المدينة و أقام بينهم بمكّه و لم يقتلوه تلك الليلة لقتلوه في الليلة التي تليها و إن شئت الحرب بينهم و بين عبد مناف فإن أبا جهل لم يكن بالذي ليمسك عن قتله و كان فاقد البصيره شديد العزم على الولوغ في دمه.

قلت للنقيب أفعلم رسول الله ص و على ع بما كان من نهى عتبه لهم قال لا أَنَّهُمَا لَمْ يَعْلَمَا ذَلِكَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَ إِنَّمَا عَرَفَاهُ مِنْ بَعْدِ

٣٨١٨

١٤- وَ لَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَوْمَ بَدْرٍ لَمَّا رَأَى عُتْبَةَ وَ مَا كَانَ مِنْهُ إِذْ يَكُنُّ فِي الْقَوْمِ خَيْرٌ فَنَفَى صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ .

و لو قدرنا أن عليا ع علم ما قال لهم عتبه لم يسقط ذلك فضيلته في المبيت لأنه لم يكن على ثقة من أنهم يقبلون قول عتبه بل كان ظنّ الهلاك و القتل أغلب.

٣٨١٩

١,١٤- وَ أَمَّا حَالُ عَلِيٍّ ع فَلَمَّا أَدَّى الْوَدَائِعَ خَرَجَ بَعْدَ ثَلَاثٍ مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ص

ص: ٣٠٥

١-١) يذمرهم: يحضهم.

٢-٢) الوقيد: المشرف على الهلاك.

فَجَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَاجِعًا قَدْ تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ فَصَادَفَ رَسُولَ اللَّهِ ص نَازِلًا بِقُبَاءَ عَلَى كُثُومِ بْنِ الْهَدْمِ فَنَزَلَ مَعَهُ فِي مَنْزِلِهِ وَكَانَ أَبُو
بَكْرٍ نَازِلًا - بِقُبَاءَ أَيْضًا فِي مَنْزِلِ حَبِيبِ بْنِ يَسَافٍ ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَهُمَا مَعَهُ مِنْ قُبَاءَ حَتَّى نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ عَلَى أَبِي أَيُّوبَ
خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيِّ وَابْنَتِي الْمَسْجِدِ

فَاعْمَلُوا وَ أَنْتُمْ فِي نَفْسِ الْبَقَاءِ وَ الصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ وَ التَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ وَ الْمُدْبِرُ يُدْعَى وَ الْمُسَيِّءُ يُرْجَى قَبْلَ أَنْ يَخْتُمَدَ الْعَمَلُ وَ يَنْقَطِعَ الْمَهْلُ وَ يَنْقُضِيَ الْأَجَلَ [تَنْقُضِيَ الْمُدَّةَ]

وَ يُسَدُّ بَابَ التَّوْبَةِ وَ تَصْعَدُ الْمَلَائِكَةُ فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَ أَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ وَ مِنْ فَاِنٍ لِبَاقٍ وَ مِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ امْرُؤٌ خَافَ اللَّهَ وَ هُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ وَ مَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا وَ زَمَّهَا بِزِمَامِهَا فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعْاصِي اللَّهِ وَ قَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ .

في نفس البقاء

بفتح الفاء أى فى سعته تقول أنت فى نفس من أمرك أى فى سعه.

و الصحف منشوره

أى و أنتم بعد أحياء لأنه لا تطوى صحيفه الإنسان إلا إذا مات و التوبه مبسوطه لكم غير مقبوضه عنكم و لا مردوده عليكم إن فعلتم كما ترد على الإنسان توبته إذا احتضر.

و المدبر يدعى

أى من يدبر منكم و يولى عن الخير يدعى إليه و ينادى يا فلان أقبل على ما يصلحك.

ص: ٣٠٧

و المسىء ىرعى

أى ىرعى عوده و إقلاعه.

قبل أن ىجمد العمل

استعاره ملحه لأن المىء ىجمد عمله و ىقف و ىروى ىخمد بالخاء من خمدت النار و الأول أحسن.

و ىنقطع المهمل

أى العمر الذى أمهلم فىه.

و تصعد الملائكه

لأن الإنسان عند موته تصعد حفظته إلى السماء لأنه لم ىبق لهم شغل فى الأرض .

قوله فأخذ امرؤ ماض ىقوم مقام الأمر و قد تقدم شرح ذلك و المعنى أن من ىصوم و ىصلى فإنما يأخذ بعض قوه نفسه ممّا ىلقى من المشقه لنفسه أى عده و ذخيره لنفسه يوم القىامه و كذلك من ىتصدق فإنه يأخذ من ماله و هو جار مجرى نفسه لنفسه.

و أخذ من حى لمىء

أى من حال الحىاه لحال الموت و لو قال من مىء لحوى كان جىدا أيضا لأن الحى فى الدنيا لىس بحى على الحقىقه و إنما الحىاه حىاه الآخره كما قال الله تعالى وَ إِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهى الحىوان (١).

و روى أمسكها بلجامها بغير فاء

ص: ٣٠٨

١-١) سورة العنكبوت ٦٤.

إشارة

جُفَاهُ طَعَامٌ وَ عَبِيدٌ أَقْرَامٌ جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَ تُلْقَطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ مِمَّنْ يَتَّبِعِي أَنْ يُفَقَّهَ وَ يُؤَدَّبَ وَ يُعَلَّمَ وَ يُدَرَّبَ وَ يُؤَلَّى عَلَيْهِ وَ يُؤَخَذَ عَلَى يَدَيْهِ لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ لَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ أَلَا وَ إِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تُحِبُّونَ [يُحِبُّونَ]

وَ إِنَّكُمْ اخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ وَ إِنَّمَّا عَهَدُكُمْ بِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْمَأْمَسِ يَقُولُ إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطَّعُوا أَوْتَارَكُمْ وَ شِيمُوا سُيُوفَكُمْ فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ وَ إِنْ كَانَ كَاذِبًا فَقَدْ لَزِمْتُهُ الَّتِي هُمُ [الَّتِي هُمُ]

فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَ خُدُّوا مَهْلَ الْأَيَّامِ وَ حُوِّطُوا قَوَاصِي الْإِسْلَامِ أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْرَى وَ إِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى .

جفاه

جمع جاف أى هم أعراب أجلاف و الطغام أوغاد الناس الواحد و الجمع فيه سواء.

و يقال للأشرار و اللثام عبيد و إن كانوا أحرارا-

و الأقرام بالزاي رذال الناس و سفلتهم و المسموع قزم الذكر و الأنثى و الواحد و الجمع فيه سواء لأنه فى معنى المصدر قال الشاعر و هم إذا الخيل جالوا فى كتائبها فوارس الخيل لا ميل و لا قزم (١).

و لكنه ع قال أقزام ليوازن بها قوله طعام و قد روى قزام و هى روايه جيده و قد نطقت العرب بهذه اللفظه و قال الشاعر أحصنوا أمهم من عبدهم تلك أفعال القزام الوكعه (٢).

و جمعوا من كل أوب أى من كل ناحيه.

و تلتقطوا من كل شوب

أى من فرق مختلطه.

ثم وصف جهلهم و بعدهم عن العلم و الدين فقال ممن ينبغي أن يفقه و يؤدب أى يعلم الفقه و الأدب و يدرب أى يعود اعتماد الأفعال الحسنه و الأخلاق الجميله.

و يولى عليه

أى لا- يستحقون أن يولوا أمرا بل ينبغي أن يحجر عليهم كما يحجر على الصبى و السفيه لعدم رشده و روى و يولى عليه بالتخفيف و يؤخذ على يديه أى يمنع من التصرف .

قوله ع و لا- الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَ الْإِيْمَانَ ظاهر اللفظ يشعر بأن الأقسام ثلاثه و ليست إلا اثنين لأن الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَ الْإِيْمَانَ الأنصار و لكنه ع كرر ذكرهم تأكيدا و أيضا فإن لفظه الأنصار واقع على كل من كان من الأوس و الخزرج الذين أسلموا على عهد رسول الله ص و الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ

ص: ٣١٠

١-١) الصحاح ٥:٢٠١٠، و نسبه إلى زياد بن منقذ.

٢-٢) الصحاح ٥:٢٠١٠، من غير نسبه، و أحصنوا، أى زوجوا.

وَ الْإِيمَانَ فِي (١) الْآيَةِ قَوْمٌ مَخْصُوصُونَ مِنْهُمْ وَ هُمْ أَهْلُ الْإِخْلَاصِ وَ الْإِيمَانِ التَّامِ فَصَارَ ذِكْرُ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِ كَذِكْرِهِ تَعَالَى جَبْرِيلَ وَ مِيكَائِيلَ ثُمَّ قَالَ وَ الْمَلَائِكَةُ بَعِيدٌ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٢) وَ هُمَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ سَكَنُوهُمَا وَ إِنْ كَانَ الْإِيمَانُ لَا يَسْكُنُ كَمَا تَسْكُنُ الْمَنَازِلَ لَكُنْهُمْ لَمَّا ثَبَتُوا عَلَيْهِ وَ اطْمَأَنَّنُوا سَمَاءَ مَنْزِلِهِمْ وَ مَتَبَوَّأُوا وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ قَوْلِهِ وَ رَأَيْتَ زَوْجَكَ فِي الْوَعَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَ رِمْحًا (٣) .

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ أَهْلَ الشَّامِ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا يَحْبُونَهُ وَ هُوَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَ كَرَّرَ لَفْظَهُ الْقَوْمِ وَ كَانَ الْأَصْلُ أَنَّ يَقُولُ أَلَا- وَ إِنْ الْقَوْمِ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَهُمْ مِمَّا يَحْبُونُ فَأَخْرَجَهُ مَخْرَجَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤) وَ الَّذِي يَحِبُّهُ أَهْلُ الشَّامِ هُوَ الْإِنْتِصَارُ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ الظَّفَرُ بِهِمْ وَ كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَقْرَبَهُمْ إِلَى بُلُوغِ ذَلِكَ وَ الْوَصُولُ إِلَيْهِ بِمَكْرِهِ وَ حِيلَتِهِ وَ خِدَائِعِهِ وَ الْقَوْمِ فِي قَوْلِهِ ثَانِيًا أَقْرَبَ الْقَوْمِ بِمَعْنَى النَّاسِ كَأَنَّهُ قَالَ وَ اخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ النَّاسِ مِمَّا تَكْرَهُونَهُ وَ هُوَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَ اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ وَ الَّذِي يَكْرَهُهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ هُوَ مَا يَحِبُّهُ أَهْلُ الشَّامِ وَ هُوَ خِذْلَانُ عَسْكَرِ الْعِرَاقِ وَ انْكَسَارِهِمْ وَ اسْتِيْلَاءَ أَهْلِ الشَّامِ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ أَبُو مُوسَى أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى وَقُوعِ ذَلِكَ وَ هَكَذَا وَقَعَ لِبَلْهَةِ وَ غَفْلَتِهِ وَ فِسَادِ رَأْيِهِ وَ بَغْضِهِ عَلِيًّا مِنْ قَبْلِ .

ثُمَّ قَالَ أَنْتُمْ بِالْأَمْسِ يَعْنِي فِي وَقَعِهِ الْجَمْلُ قَدْ سَمِعْتُمْ أَبَا مُوسَى يَنْهَى أَهْلَ الْكُوفَةِ

ص: ٣١١

١- ١) وَ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَشْرِ ٩: وَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ .

٢- ٢) سُورَةُ التَّحْرِيمِ ٤ .

٣- ٣) لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِيِّ، كَمَا فِي حَوَاشِي ابْنِ الْقُوطِيَّةِ عَلَى الْكَامِلِ ١٨٩ (لَيْسَكْ)، وَ انْظُرْ أَمَالِي الْمُرْتَضَى ٢٦٠: ٢، وَ حَوَاشِي

شَرْحِ الْمُرْزُوقِيِّ لِلْحَمَاسَةِ ١١٤٧ .

٤- ٤) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ٧ .

عن نصرتي و يقول لهم هذه هي الفتنة التي وعدنا بها فقطعوا أوتار قسيكم و شَيِّمُوا سيوفكم أى أغمدوها فإن كان صادقا فما باله سار إلى و صار معى فى الصف و حضر حرب صفين و كثر سواد أهل العراق و إن لم يحارب و لم يسل السيف فإن من حضر فى إحدى الجهتين و إن لم يحارب كمن حارب و إن كان كاذبا فيما رواه من خبر الفتنة فقد لزمته التهمه و قبح الاختلاف إليه فى الحكومه و هذا يؤكد صحه إحدى الروايتين فى أمر أبى موسى فإنه قد اختلفت الروايه هل حضر حرب صفين مع أهل العراق أم لا فمن قال حضر قال حضر و لم يحارب و ما طلبه اليمانيون من أصحاب على ع ليجعلوه حكما كالأشعث بن قيس و غيره إلا و هو حاضر معهم فى الصف و لم يكن منهم على مسافه و لو كان على مسافه لما طلبوه و لكان لهم فيمن حضر غناء عنه و لو كان على مسافه لما وافق على ع على تحكيمه و لا كان على ع ممن يحكم من لم يحضر معه.

و قال الأكثرون إنه كان معتزلا للحرب بعيدا عن أهل العراق و أهل الشام .

فإن قلت فلم لا يحمل قوله ع فإن كان صادقا فقد أخطأ بسيره غير مستكره على مسيره إلى أمير المؤمنين ع و أهل العراق حيث طلبوه ليفوضوا إليه أمر الحكومه قلت لو حملنا كلامه ع على هذا لم يكن لازما لأبى موسى و كان الجواب عنه هينا و ذلك لأن أبا موسى يقول إنما أنكرت الحرب و ما سرت لأحارب و لا لأشهد الحرب و لا أغرى بالحرب و إنما سرت للإصلاح بين الناس و إطفاء نائره الفتنة فليس يناقض ذلك ما روئته عن الرسول من خبر الفتنة و لا ما قلته فى الكوفه فى واقعه الجمل قَطُّعُوا أَوْتَارَ قَسِيكُمُ.

قوله ع فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس يقال لمن يرام كفه عن أمر يتناول له ادفع في صدره و ذلك لأن من يقدم على أمر يبذنه في دفعه حقيقه فإنه يردّه أو يكاد فنقل ذلك إلى الدفع المعنوي.

قوله ع و خذوا مهل الأيام أي اغتموا سعه الوقت و خذوه مناهبه قبل أن يضيق بكم أو يفوت.

قوله ع و حوطوا قواصي الإسلام ما بعد من الأطراف و النواحي .

ثم قال لهم ألا ترون إلى بلادكم تغزى هذا يدلّ على أن هذه الخطبه بعد انقضاء أمر التحكيم لأن معاويه بعد أن تمّ على أبي موسى من الخديعه ما تمّ استعجل أمره و بعث السرايا إلى أعمال أمير المؤمنين على ع .

و تقول قد رمى فلان صفاه فلان إذا دهاه بداهيه قال الشاعر و الدهر يوتر قوسه يرمى صفاتك بالمعابل .

و أصل ذلك الصخره الملساء لا يؤثر فيها السهام و لا يرميها الرامي إلاّ بعد أن نبه غيرها يقول قد بلغت غارات أهل الشام حدود الكوفه التي هي دار الملك و سرير الخلافه و ذلك لا يكون إلاّ بعد الإثخان في غيرها من الأطراف

فصل في نسب أبي موسى و الرأي فيه عند المعتزله

و نحن نذكر نسب أبي موسى و شيئاً من سيرته و حاله نقلا من كتاب الإستيعاب لابن عبد البر المحدث و تتبع ذلك بما نقلناه من غير الكتاب المذكور

٣٨٢٠

١٤,١- قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ بْنِ سُلَيْمِ بْنِ حَضَارَةَ بْنِ حَزْبِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَنَزِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَامِرِ

ص: ٣١٣

بْنِ عُدْرِ بْنِ وَاثِلِ بْنِ نَاجِيَةَ بْنِ الْجُمَاهِرِ بْنِ الْأَشْعَرِ وَهُوَ نَبْتُ بِنِ أَدَدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ يَشْجَبَ بْنِ عَرِيْبِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأِ بْنِ يَشْجَبَ بْنِ يُعْرَبِ بْنِ قَحْطَانَ وَ أُمُّهُ امْرَأَةٌ مِنْ عَمَكِ أَسْلَمَتْ وَ مَاتَتْ بِالْمَدِينَةِ وَ اخْتَلَفَ فِي أَنَّهُ هَلْ هُوَ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ أَمْ لَا وَ الصَّحِيْحُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُمْ وَ لَكِنَّهُ أَسْلَمَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بِلَادِ قَوْمِهِ فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى قَدِمَ هُوَ وَ نَاسٌ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ عَلَى رَسُوْلِ اللَّهِ صَ فَوَافَقَ قُدُوْمُهُمْ قُدُوْمَ أَهْلِ السَّفِيْنَتَيْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ أَصْحَابِهِ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَوَافَقُوا رَسُوْلَ اللَّهِ صَ بِخَيْبَرَ فَظَنَّ قَوْمٌ أَنَّ أَبَا مُوسَى قَدِمَ مِنَ الْحَبَشَةِ مَعَ جَعْفَرٍ .

وَ قِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَهَاجِرْ إِلَى الْحَبَشَةِ وَ إِنَّمَا أَقْبَلَ فِي سَفِيْنِهِ مَعَ قَوْمٍ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ فَرَمَتْ الرِّيْحُ سَفِيْنَتَهُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَ خَرَجُوا مِنْهَا مَعَ جَعْفَرٍ وَ أَصْحَابِهِ فَكَانَ قُدُوْمُهُمْ مَعَ فَظَنَّ قَوْمٌ أَنَّهُ كَانَ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ .

قَالَ وَ وِلَايَةُ رَسُوْلِ اللَّهِ صَ مِنْ مَخَالِيْفِ الْيَمَنِ زُبَيْدٌ وَ وِلَايَةُ عَمْرِؤِ الْبَصِيْرَةِ لَمَّا عَزَلَ الْمُغِيْرَةَ عَنْهَا فَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهَا إِلَى صِيْدْرِ مِنْ خِلَافِهِ عُثْمَانُ فَعَزَلَهُ عُثْمَانُ عَنْهَا وَ وِلَايَتُهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ فَنَزَلَ أَبُو مُوسَى الْكُوفَةَ حِيْنَئِذٍ وَ سَكَنَهَا فَلَمَّا كَرِهَ أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعِيْدَ بْنَ الْعِيَاصِ وَ دَفَعُوهُ عَنْهَا وَوَلَّوْا أَبَا مُوسَى وَ كَتَبُوا إِلَى عُثْمَانَ يَسْأَلُوْنَهُ أَنْ يُؤَلِّيَهُ فَأَقْرَهُ عَلَى الْكُوفَةِ فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ عَزَلَهُ عَلِيٌّ عَ عَنْهَا فَلَمْ يَزَلْ وَاجِدًا لِذَلِكَ عَلَى عَلِيٍّ عَ حَتَّى جَاءَ مِنْهُ مَا قَالَ حُدَيْفَةُ فِيهِ فَقَدْ رَوَى حُدَيْفَةُ فِيهِ كَلَامًا كَرِهْتُ ذِكْرَهُ وَ اللَّهُ يُعْفِرُ لَهُ (١)

قلت الكلام الذى أشار إليه أبو عمر بن عبد البر و لم يذكره قوله فيه و قد ذكر عنده بالدين أما أنتم فتقولون ذلك و أما أنا فأشهد أنه عدو لله و لرسوله و حرب لهما فى الحياه الدنيا و يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ

ص: ٣١٤

سوء الدار و كان حذيفه عارفا بالمنافقين أسر إليه رسول الله ص أمرهم و أعلمه أسماءهم.

٣٨٢١

١٤- وَ رُوِيَ أَنَّ عَمَّارًا سِئِلَ عَنْ أَبِي مُوسَى فَقَالَ لَقَدْ سَمِعْتُ فِيهِ مِنْ حُدَيْفَةَ قَوْلًا عَظِيمًا سَمِعْتُهُ يَقُولُ صَاحِبُ الْبُرْنُسِ الْأَسْوَدِ ثُمَّ كَلَحَ كُلُّوْحًا عَلِمْتُ مِنْهُ أَنَّهُ كَانَ لَيْلَهُ الْعَقَبَةَ بَيْنَ ذَلِكَ الرَّهْطِ

٣٨٢٢

١٤- وَ رُوِيَ عَنْ سُؤْيَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ كُنْتُ مَعَ أَبِي مُوسَى عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ فَرَوَى لِي خَبْرًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ اخْتَلَفُوا فَلَمْ يَزَلِ الْإِخْتِلَافُ بَيْنَهُمْ حَتَّى بَعَثُوا حَكَمَيْنِ ضَالِّينِ ضَلًّا وَ أَضَلًّا مَنِ اتَّبَعَهُمَا وَ لَا يَنْفَكُ أَمْرُ أُمَّتِي حَتَّى يَبْعَثُوا حَكَمَيْنِ يَضُّ لَانَ وَ يَضُّ لَانَ مَنِ اتَّبَعَهُمَا فَقُلْتُ لَهُ احْذَرِ يَا أَبَا مُوسَى أَنْ تَكُونَ أَحَدَهُمَا قَالَ فَخَلَعَ قَمِيصَهُ وَ قَالَ أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ كَمَا أَبْرَأُ مِنْ قَمِيصِي هَذَا .

فأما ما تعتقده المعتزله فيه فأنا أذكر ما قاله أبو محمد بن متويه في كتاب الكفايه قال رحمه الله أما أبو موسى فإنه عظم جرمه بما فعله و أدى ذلك إلى الضرر الذي لم يخف حاله

٣٨٢٣

١- وَ كَانَ عَلِيُّ ع يَقْنُتُ عَلَيْهِ وَ عَلَى غَيْرِهِ يَقُولُ اللَّهُمَّ الْعَنْ مُعَاوِيَةَ أَوْلًا وَ عَمْرًا ثَانِيًا وَ أَبَا الْأَعْوَرِ السُّلَمِيَّ ثَالِثًا وَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ رَابِعًا .

٣٨٢٤

رُوِيَ عَنْهُ ع أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي أَبِي مُوسَى صُبْغَ بِالْعِلْمِ صَبْغًا وَ سَلِّحْ مِنْهُ سَلْحًا .

٣٨٢٥

١٤- قَالَ وَ أَبُو مُوسَى هُوَ الَّذِي رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ص أَنَّهُ قَالَ كَانَ فِي

ص: ٣١٥

بَنِي إِسْرَائِيلَ حَكَمَانَ ضَالًّا وَ سَيِّكُونَ فِي أُمَّتِي حَكَمَانَ ضَالًّا مَنِ اتَّبَعَهُمَا.

وَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ أَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ أَحَدَهُمَا فَقَالَ لَا أَوْ كَلَامًا مَا هَذَا مَعْنَاهُ فَلَمَّا بُلِيَ بِهِ قِيلَ فِيهِ الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ .

و لم يثبت في توبته ما ثبت في توبه غيره

٣٨٢٤

١,٢- وَ إِنْ كَانَ الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ قَدْ ذَكَرَ فِي آخِرِ كِتَابِ الْحَكَمِينَ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فِي مَرَضِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ فَقَالَ لَهُ أَجِئْتَنَا عَائِدًا أَمْ شَامِتًا فَقَالَ بَلْ عَائِدًا وَ حَدَّثَ بِحَدِيثٍ فِي فَضْلِ الْعِيَادَةِ .

قال ابن متويه و هذه أماره ضعيفه في توبته.

انتهى كلام ابن متويه و ذكرته لك لتعلم أنه عند المعتزله من أرباب الكبائر و حكمه حكم أمثاله ممن واقع كبيره و مات عليها.

٣٨٢٧

قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَ اخْتَلَفَ فِي تَارِيخِ مَوْتِهِ فَقِيلَ سَنَهُ اثْنَتَيْنِ وَ أَرْبَعِينَ وَ قِيلَ سَنَهُ أَرْبَعٍ وَ أَرْبَعِينَ وَ قِيلَ سَنَهُ خَمْسِينَ وَ قِيلَ سَنَهُ اثْنَتَيْنِ وَ خَمْسِينَ .

وَ اخْتَلَفَ فِي قَبْرِهِ فَقِيلَ مَاتَ بِمَكَّةَ وَ دُفِنَ بِهَا وَ قِيلَ مَاتَ بِالْكُوفَةِ وَ دُفِنَ بِهَا.

ص: ٣١٤

هُم عَيْشُ الْعِلْمِ وَ مَوْتُ الْجَهْلِ يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَ ظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ وَ صَمْتُهُمْ عَنْ حِكْمِ [حُكْمِ] مُنْطِقِهِمْ لَا- يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَ لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَ هُمْ دَعَائِمُ الْأَسْيَلَامِ وَ لَا يَبْجُ الْإِعْتِصَامِ بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ وَ انْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ [مَقَامِهِ]

وَ انْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنبِتِهِ عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وَعَايِهِ وَ رِعَايِهِ لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَ رِوَايِهِ فَإِنَّ رِوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَ رِعَايَتُهُ قَلِيلٌ .

يقول بهم يحيا العلم و يموت الجهل فسامهم حياه ذاك و موت هذا نظرا إلى السببيه يدلکم حلمهم و صفحهم عن الذنوب على علمهم و فضائلهم و يدلکم ما ظهر منهم من الأفعال الحسنه على ما بطن من إخلاصهم و يدلکم صمتهم و سكوتهم عما لا يعينهم عن حكمه منطقتهم و يروى و يدلکم صمتهم على منطقتهم و ليس فى هذه الروايه لفظه حكم .

لا يخالفون الحق

لا- يعدلون عنه و لا يختلفون فيه كما يختلف غيرهم من الفرق و أرباب المذاهب فمنهم من له فى المسأله قولان و أكثر و منهم من يقول قولاً ثم يرجع عنه و منهم من يرى فى أصول الدين رأياً ثم ينفيه و يتركه.

و دعائم الإسلام أركانها.

و الولاىء جمع وليءه و هى الموضع يدخل إليه و يستتر فيه و يعتصم به.

و عاد الحق إلى نصابه رءع إلى مستقره و موضعه و انزاح الباطل زال و انقطع لسانه انقطع حجته .

عقلوا الدين عقل رءايه

أى عرفوا الدين و علموه معرفه من وعى الشىء و فهمه و أتقنه و وعايه أى وعوا الدين و حفظوه و حاطوه ليس كما يعقله غيرهم
عن سماع و روايه فإن من يروى العلم و يسنده إلى الرجال و يأخذه من أفواه الناس كثير و من يحفظ العلم حفظ فهم و إدراك
أصالة لا تقليدا قليل تم الجزء الثالث عشر من شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد و يليه الجزء الرابع عشر

ص: ٣١٨

٢٢٤ و من كلام له عليه السلام فى وصف بيعته بالخلافه ٣

٢٢٥ من خطبه له عليه السلام يحث فيها على التقوى و يستطرد إلى وصف الزهاد ٥-٨

٢٢٦ من خطبه له عليه السلام خطبها بذى قار و هو متوجه إلى البصره ٩

٢٢٧ من كلام له عليه السلام كلم به عبد الله بن زمعه على إثر خلافته ١٠

٢٢٨ من كلام له عليه السلام فى وصف اللسان، و استطرد إلى وصف زمانه ١٢

٢٢٩ من كلام له عليه السلام، و قد ذكر عنده اختلا الناس ١٨

٢٣٠ من كلام له عليه السلام قاله و هو يلى غسل رسول الله و تجهيزه ٢٧-٤٣

٢٣١ من خطبه له عليه السلام فى تمجيد الله و توحيد، و ذكر رساله محمد عليه السلام، ثم استطرد إلى عجيب خلق الله لأصناف

الحيوان ٤٤-٦٦

٢٣٢ من خطبه له عليه السلام فى التوحيد ٦٩-٩١

٢٣٣ من خطبه له عليه السلام تختص بذكر الملاحم ٩٥

٢٣٤ من خطبه له عليه السلام يوصى الناس فيها بالتقوى و يذكرهم الموت و يحذرهم الغفله ٩٩

٢٣٥ من كلام له عليه السلام فى الإيمان ١٠١

٢٣٦ من خطبه له عليه السلام فى الحث على التقوى و يذكر الناس بأمر الآخرة ١١٠-١١١

٢٣٧ من خطبه له عليه السلام فى حمد الله و تمجيده و التزهيد فى الدنيا و الترغيب فى الآخرة ١١٥-١١٦

٢٣٨ من خطبه له عليه السلام، و هى التى تسمى الخطبه القاصعه، و تتضمن ذم إبليس، و يحذر الناس من سلوك طريقته ١٢٧

ص: ٣١٩

- ٢٣٩ من كلام له عليه السلام قاله لعبد الله بن عباس و قد جاءه برسالة من عثمان و هو محصور ٢٩٦
- ٢٤٠ من كلام له عليه السلام اقتصّ فيه ما كان منه بعد هجره النبيّ صلى الله عليه و سلم ثمّ لحاقه به ٣٠٣
- ٢٤١ من خطبه له عليه السلام فى الزهد ٣٠٧
- ٢٤٢ من خطبه له عليه السلام فى شأن الحكّمين و ذمّ أهل الشام ٣٠٩
- ٢٤٣ من خطبه له عليه السلام يذكر فيها آل محمّد عليه السلام ٣١٧

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات (١)

- عبد الله بن زعمه و نسبه ١٠-١١
- ذكر من أرتج عليهم أو حصروا عند الكلام ١٣-١٧
- ذكر طرف من سيره النبيّ عليه السلام عند موته ٢٧-٤٣
- من أشعار الشارح فى المناجاة ٥٠-٥٤
- فصل فى ذكر أحوال الذرّه و عجائب النملة ٥٧-٦٣
- ذكر غريب أحوال الجراد و ما احتوت عليه من صنوف الصنعة ٦٧-٦٨
- قصه وقعت لأحد الوعّاظ ببغداد ١٠٧-١٠٩
- فصل فى ذكر الأسباب التى دعت العرب إلى وأد البنات ١٧٤-١٧٧
- ذكر ما كان من صلّه علىّ برسول الله فى صغره ١٩٨-٢٠١
- ذكر حال رسول الله فى نشأته ٢٠١-٢١٢
- القول فى إسلام أبى بكر و علىّ و خصائص كل منهما ٢١٥-٢٩٥
- وصيّة العباس قبل موته لعليّ ٢٩٧-٢٩٩
- فصل فى نسب أبى موسى و الرأى فيه عند المعتزله ٣١٣-٣١٦

١-*) و هي الموضوعات الواردة في الشرح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩